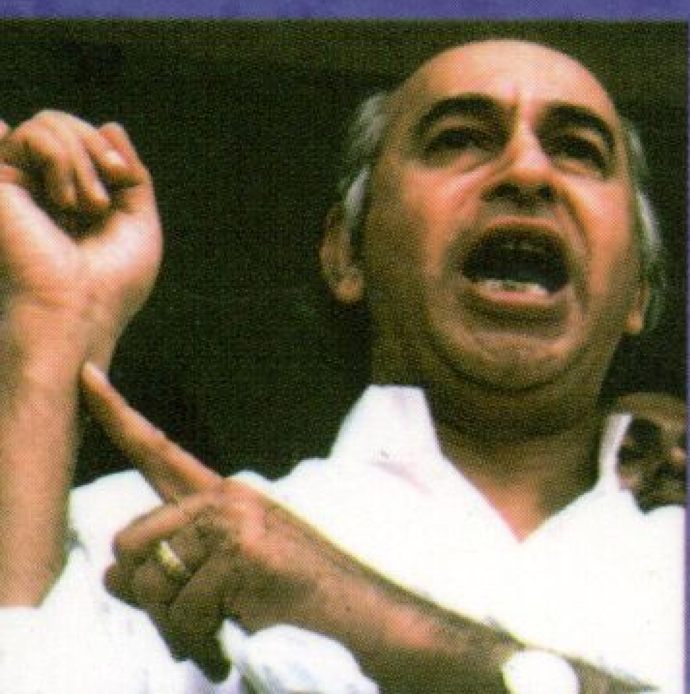
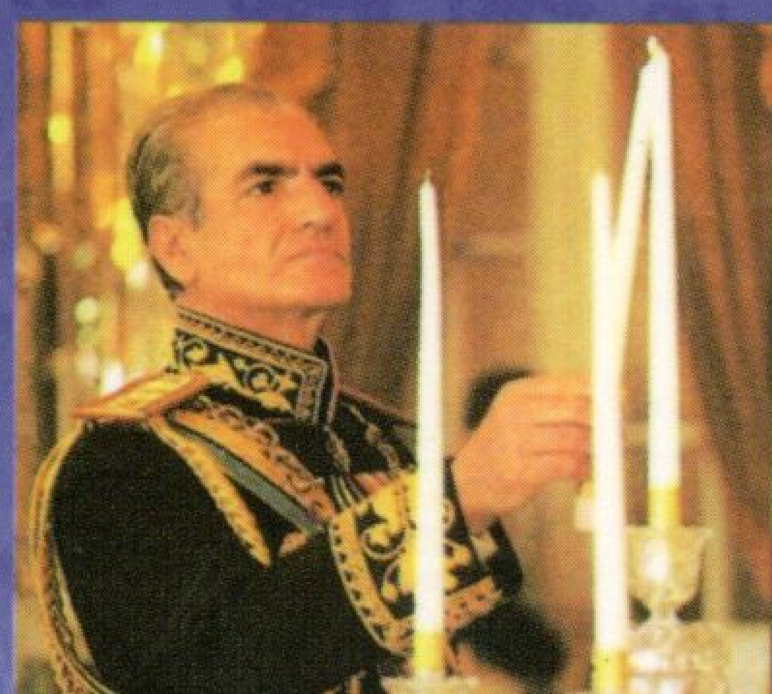
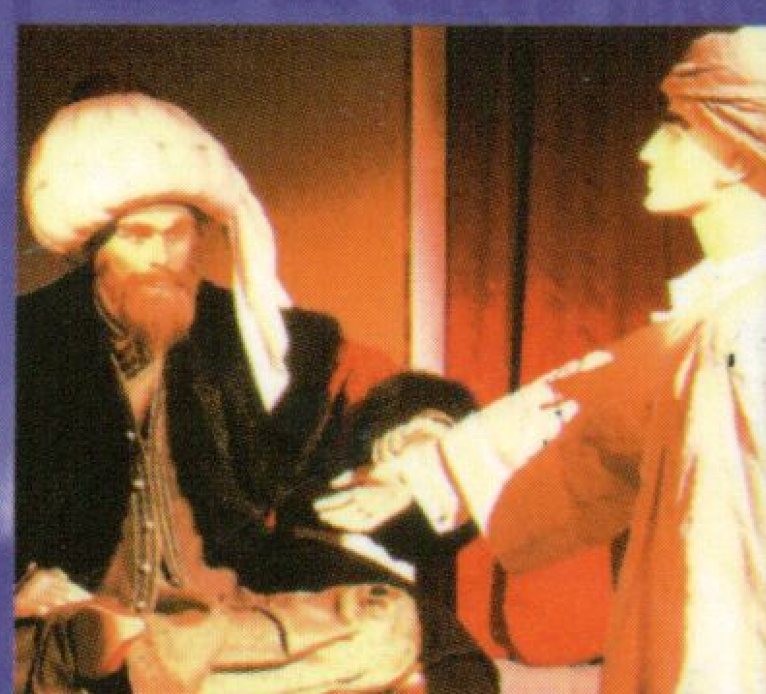
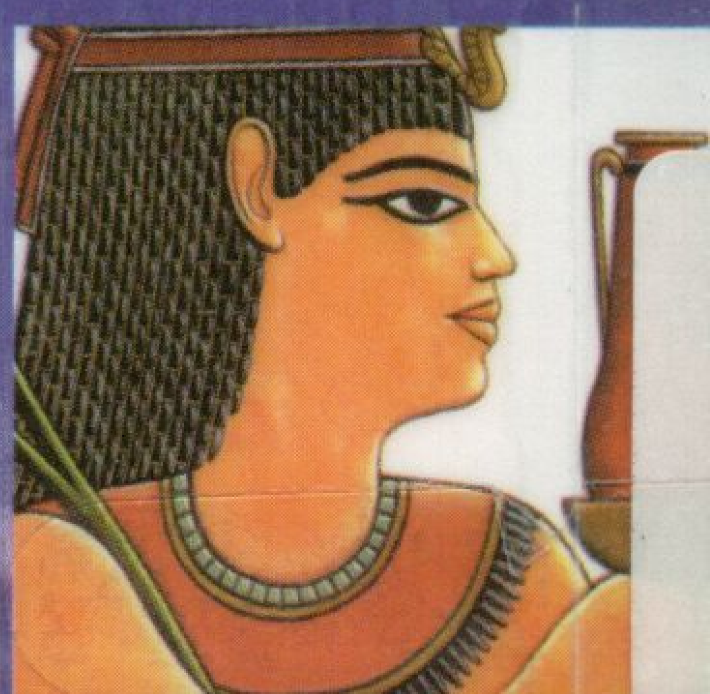
رمزي المنياوي

لحظة يقرر الزعيم مصيره بنفسه أو يقرره له غيره

لحظات فاصلة في حياة الزعماء

لحظة الانتحار.. الإعدام.. الاستسلام.. الهرب
التنازل عن العرش.. الاستقالة.. ولحظة الانتصار

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

لحظات فاصلة في حياة الزعماء

اسم الكتاب: لحظات فاصلة في حياة الزعماء
إعداد: رمزي المنياوي
المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠١٠/١٤٠٤٦
الترقيم الدولي: 3 - 575 - 376 - 977 - 978

تطلب كافة منشوراتنا:
حلب: دار الكتاب العربي - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٧٠
دمشق: مكتبة رياض العلبي - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨
مكتبة النوري - أمام البريد - ت: ٢٢١٠٣١٤
مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: ٢٢٢٨٢٢٢
مكتبة الفتال - فرع أول - ت: ٢٤٥٦٧٨٦
فرع ثاني - ت: ٢٢٢٢٣٧٣

الطبعة الأولى
٢٠١١

سوريا- دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودي تلفاكس: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٢٣٩١٦١٢٢/٢٣٩٣٣٦٧١
لبنان - تلفاكس: ٠٥/٤٣٤١٨٦ تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب ٣٠٤٣ الشويفات
darelkitab@yhoo.com darkitab.nassif@hotmail.com
عنوان الموقع: www-darketab-com - عنوان البريد الإلكتروني التابع للموقع: info@darketab-com

لحظاتٌ فاصلة

في حياةِ الزعماءِ

◆

رمزي المنياوي

◆

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

مقدمة

فى حياة كل سياسى لحظة حاسمة فارقة تضعه أمام خيارين لا ثالث لهما .. إما الثبات أوالممات .. إما الصعود أوالسقوط .. إما الحياة أوالموت .. إما حياة الذل والهوان أوالانتحار .. إما الأسر والاعتقال أوالهرب والفرار .. إما الاستقالة واتقاء المزيد من الفضائح أوالاستسلام لمسلسل الانهيار والمضى فيه قدما .

ولكن هناك لحظات لا خيار للسياسى فيها حيث يقررها طرف آخر يكون مصيره بيده، كلحظة إعدامه، أوقتله أوتصفيته سياسيا أوجسديا.

واللحظة الوحيدة ربما التى يتمناها كل سياسى فى أى زمان ومكان وعبر التاريخ هى لحظة الانتصار، اللحظة التى يتلقاه شعبه فيها بأكاليل الغار، فى الوقت الذى يتجرع فيها عدوه مرارة الهزيمة .

وفى هذا الكتاب لحظات فاصلة من كل هذا وذاك .. لحظات مرت فعلا بزعماء وقادة سياسيين بينهم ملوك وملكات، رؤساء ورؤساء وزارات، وكانت لحظة كل منهم الفاصلة تحمل الكثير والكثير من صرخات الانكسار، أوضحكات الانتصار، ولكنها جميعها تنطوى على الكثير والكثير من العبر والدروس .

فى هذا الكتاب سنجد لحظة التنازل عن العرش التى مر بها السلطان بايزيد الثانى الذى تنازل لابنه مكرها والسلطان محمد الرابع الذى تنازل لأخيه مجبرا، والملك إدوارد الثامن الذى تنازل عن عرشه بسبب مطلقة أحبها، ونابليون بونابرت وتنازله المذل بعد عظمة، وفاروق الأول ملك مصر الراحل الذى فضل حقن دماء شعبه على العرش .

وفى الكتاب أيضا لحظة الانتحاركما سنرى فى انتحاركليوباترا من أجل أنطونيو، وزنوبيا ملكة تدمر التى فضلت الموت على الأسر والذل، وعليسة التى انتحرت حماية لملكتها، وأدولف هتلر الذى فضل الموت بيده لا بيد أعدائه، ووزير دعايته وظله جوزيف غوبلز الذى انتحر بعد رحيل الأصل، والرئيس " روه موهيون " الذى انتحر بالقفز من فوق الجبل بعد الفضيحة، وهانيبال العظيم الذى اعتبر الموت أشرف له من مرارة الأسر .

وهناك بالكتاب لحظة الإعدام كما سنرى مع تشارلز الأول الذى سلم رأسه لأعدائه، ولويس السادس عشر آخر ملوك فرنسا وزوجته مارى أنطوانيت ونهايتهما تحت المقصلة، وزعيم باكستان ذوالفقار على بوتوالذى أزهقت روحه لحظة اشتهاء العسكر للسلطة، وبينيتوموسولينى ديكتاتور إيطاليا الرهيب الذى أعدموه وعلقوا جثته، وصدام حسين وأسرار اللحظة الأخيرة فى حياته والبطل الأسكتلندى ويليام والاس، الذى أعدموه فى لحظة بكت فيها الإنسانية، والمناضل الشهيد عمر المختار الذى لقى أعظم ميتة وأعظم شهادة، والمناضل الأممى تشى جيفارا الذى جعلوا لحظة إعدامه لحظة خلدت صاحبها، والرئيس العراقى عبد الكريم قاسم الذى أعدمه الانقلابيون فى لحظة انقلابية متكررة، والرومانى تشاوشيسكو ولحظة إعدامه التى بكى فيها كالأطفال .

وفى الكتاب أيضا سنطالع لحظة الاستسلام فى حياة الزعماء والقادة السياسيين مثل الإمبراطور العتيد هيروهيتو، الذى وقع وثيقة الاستسلام بدموعه. وأيضا لحظة الاستقالة القهرية مثل الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون الذى فضل الاستقالة على السجن، ووزير الدفاع البريطانى جون بروفمو الذى

استقال فى لحظة خزى وعار، ومن قبله مواطنه أنطونى إيدن الذى دفع ثمن فشل العدوان الثلاثى، ومن بعده الصهيونية جولدا مائير التى استقالت بعد نصر أكتوبر ١٩٧٣ فى لحظة استفاقة مهينة، وجون ميجور رئيس الوزراء البريطانى الذى استقال فى لحظة الاعتراف بالرذيلة، وبيتر روبنسون فى لحظة اعتراف بخيانة زوجته السيدة الأولى ، والإسرائيلى إيهود أولمرت فى لحظة أسموها لحظة جنوب لبنان !!

وهناك فى الكتاب سنطالع لحظة الهروب فى حياة الزعماء والقادة السياسيين شاه إيران الذى هرب ولم يبك عليه أحد والكونغولى موبوتوسى سيكوالذى فر من أجل حياته وهربا من المساءلة، عند سقوط نظامه .

وفى نهاية الكتاب نقدم لحظة الانتصار وكيف ذاقها رجال عظماء مثل محمد الفاتح ..لحظة تحقق البشارة النبوية على يديه بفتحه القسطنطينية فى نصر إسلامى مدوٍّ، وطارق بن زياد ولحظة فتحه الأندلس التى لن ينساها التاريخ، وفرانكلين روزفلت ولحظة الانتصار على الخوف وعلى ألمانيا النازية فى الحرب العالمية الثانية !!

هذا الكتاب هوكتاب اللحظة لمن يقرأه الآن، واللحظة لمن يريد أن يتابع مسيرة التاريخ من خلال لحظات فاصلة غيرت مسار أحداثه .

رمزى المنياوى

1

الفصل الأول

لحظة التنازل عن العرش

(١)

السلطان بايزيد الثانى ..

تنازل لابنه مكرها !!



ما أقسى أن يصل المرء إلى قمة السلطة فى بلاده، ولا يستطيع أحد من أعدائه الإطاحة به، ثم يأتى فلذة كبده، وأحب الناس إليه " ابنه " ويفعلها، فيضطر على غير إرادته للتنازل له عن العرش .. وهذا هو ما حدث مع السلطان العثمانى الشهير " بايزيد الثانى " !!

وبايزيد الثانى بن محمد الفاتح هو ثامن السلاطين العثمانيين، وعاش بين عامى ١٤٤٧ و١٥١٢، وتقلد الحكم منذ عام ١٤٨١.

ولد بايزيد فى القرن التاسع الهجرى، وكان أكبر أولاد أبيه السلطان محمد الفاتح. حكم فى عهد أبيه مقاطعة أماسيا. وتولى السلطنة خلفا لأبيه بعد أن نازعه أخوه " جم " عليها. وحدثت خلافات فى عهده بين دولته والدولة المملوكية وتحاربت الدولتان حربا تم إبرام صلح بعدها.

وصلت الغزوات فى عهده لدولة البندقية التى انتصر عليها، فاستنجدت بملك فرنسا والبابا، فقامت حروب صليبية بين الطرفين. ظهرت فى عهده دولة روسيا سنة ٨٨٦ هـ وأرسلت له سفيرها عام ٨٩٧ هـ.

وبعد مشوار طويل، جاءته الطعنة من الابن وبمساعدة الانكشارية وكانوا أقوى فرق الجيش العثمانى وأكثرها قوة و نفوذاً وامتيازات، حيث أُجبر با يزيد من قبل الانكشارية فى آخر حياته على التنازل عن الحكم لابنه سليم الأول سنة ٩١٨ هـ وهى نفس السنة التى توفى فيها.

وكان سليم الأول محارباً طموحاً فأراد أن يكون والياً على بعض المقاطعات فى أوربا ليمارس حروبه، وكان يؤيده فى ذلك الانكشارية والعسكريون عامة، ولكن السلطان رفض من ابنه ذلك،، ثم جمع جيشاً، وسار إلى أوروبا وحاول السلطان تهديد ولده الذى أصر على القتال، ونتيجة حبه للسلم تراجع عن قراره وعينه

على بعض المقاطعات الأوروبية عام ٩١٦، فطمع سليم وسار إلى أدرنه، وأعلن نفسه سلطاناً عليها، فحاربه أبوه وهزمه، وفر إلى القرم، ثم تدخلت الانكشارية فعفا السلطان عنه، وأعاده إلى أوروبا، فسار به الانكشارية إلى استانبول .

أما الأمير كركود، وهو الولد الكبير للسلطان فقد رأى أخاه سليماً يفرض رأيه لذا اتجه إلى مقاطعة صاروخان، واستلمها دون أمر أبيه، فحاربه وهزمه قبيل وفاته بقليل.

فى ١٨ صفر ٩١٨هـ الموافق ١٢٥ أبريل ١٥١٢م ترك با يزيد الثانى حكم الدولة لابنه سليم الأول وذلك بدعم من الجيش، الذى كان ينظر إليه على أنه الأمل المرتجى فى بعث النشاط الحربى للدولة العثمانية بصورة أوسع ودفع حركة الفتوحات إلى الأمام، ولذلك بادر الجيش إلى معارضة والده وطلبوا من السلطان التنازل للأمير سليم عن الحكم، فوافق واستقال عام ٩١٨ ، وانتقل السلطان ليعيش بعيداً عن الحكم فتوفى فى الطريق وهو ذاهب إلى ديمتوقة فنقل نعشه إلى إسلامبول حيث دفن بجوار جامعه الشريف.

عاش با يزيد الثانى سبعاً وستين عاماً، وكان قوى البنية، أحدب الأنف، أسود الشعر رقيق الطبع، محباً للعلوم، مواظباً للدرس، وشاعراً أديباً، ورعاً تقياً، يقضى العشرة الأخيرة من شهر رمضان فى العبادة والذكر والطاعة، وكان بارعاً فى رمى السهام، ويباشر الحروب بنفسه، وكان يجمع فى كل منزل حلّ من غزواته ما على ثيابه من الغبار ويحفظه .

ولما دنا أجل موته أمر بذلك الغبار فضرب منه لبنة صغيرة وأمر أن توضع معه فى القبر تحت خدّه الأيمن، ففعل ذلك، وكانت مدة ملكه إحدى وثلاثين سنة إلا أياماً.

(٢)

السلطان محمد الرابع ..

تنازل لأخيه مجبرا !!



كان من نتائج الهزائم المتتابعة التى لحقت بالدولة العثمانية فى أواخر عهد السلطان محمد الرابع أن ثار الجيش فى وجهه، مما اضطره للتنازل عن العرش لأخيه سليمان الثالث فى الثامن من نوفمبر عام ١٦٧٨، بعد أن دامت سلطنته نحو أربعين سنة، وكانت الدولة عند تنازله عن عرشه قد فقدت كثيرًا من أراضيها للبنادقة والنمساويين، وبتولى سليمان الثالث، لم ينصلح حال الدولة، بل دخلت عصر توقف الفتوح والانهيار .

كان السلطان محمد الرابع حين جلس على عرش الدولة فى السابعة من عمره، ولما كان صغيرًا فقد تولت جدته "كوسم مهبيكر" نيابة السلطنة، وأصبحت مقاليد الأمور فى يديها، واستمرت فترة نيابتها ثلاث سنوات، ساءت فيها أحوال الدولة وازدادت سوءًا على سوء، واستبد الانكشارية بالحكم، وسيطروا على شؤون الدولة، وتدخلوا فى تصريف أمورها، ولم يعد لمؤسسات الدولة معهم حول ولا قوة، وقد أطلق المؤرخون على هذه الفترة "سلطنة الأغوات".

وبعد وفاة السلطانة الجدة لم يكن محمد الرابع قد بلغ السن التى تمكنه من مباشرة سلطاته وتولى زمام الأمور، فتولت أمه السلطانة "خديجة تاريخان" نيابة السلطنة، وكانت شابة فى الرابعة والعشرين، اتصفت على صغرها برجاحة العقل واتزان الرأى، ذات رأى وتدبير، تحرص على مصالح الدولة العليا التى أصبحت تعصف بها أهواء الانكشارية، ولذا شغلت نفسها بالبحث عن الرجال الأكفاء الذين يأخذون بيد الدولة، ويعيدون إليها هيبتها، وكانت تأمل فى أن تجد صدرًا أعظم قديرًا يعتمد عليه السلطان فى جلائل الأعمال، حيث توالى على هذا المنصب كثير من رجال الدولة الذين عجزوا عن الخروج بدولتهم من محنتها الأليمة.

ووجدت السلطانة الشابة ضالتها المنشودة بعد خمس سنوات من البحث الدءوب فى محمد باشا كوبريللى، وهو من أصل ألبانى، قوى الشكيمة، ورجل

دولة من الطراز الأول، فاشترط لنفسه قبل أن يتولى هذا المنصب الرفيع أن يكون مطلق اليد فى مباشرة سلطاته وألا تُغلّ يده، فقبلت السلطانة هذا الشرط؛ حرصًا على مصالح الدولة.

باشر كوبريللى عمله وأعلن أن السلطان محمد قد بلغ سن الرشد، وانتهت بذلك نيابة السلطانة الوالدة التى دامت خمس سنوات، وتوارت إلى الظل.

كانت الدول الأوربية قد تألبت على الدولة العثمانية وأفزعها ما بلغته من قوة، فأخذت تتحرش بها، وكانت النمسا تقف فى مقدمة الدول المناوئة لها، فاتخذت الدولة قرارها بتوجيه ضربة قوية للنمسا حتى تكف يدها عن التدخل فى شؤون المجر التى كانت خاضعة للدولة العثمانية، ولكن جاءت الهزيمة .

تلقى محمد الرابع أنباء هذه الهزيمة المدوية ولم يفعل شيئًا سوى أن بعث بمن قتل قائده الصدر الأعظم قرة مصطفى باشا تحت تأثير بعض الوشاة والكارهين للصدر الأعظم، وحاول أن يسترد بعض ما فقدته الدولة فى المجر، لكنه لم ينجح، وتلقى صدره الأعظم سليمان باشا هزيمة منكرة فى سهل موهاكس.

وكان من نتائج الهزائم المتتابعة التى لحقت بالدولة العثمانية فى أواخر عهد محمد الرابع أن ثار الجيش فى وجهه، وأجبره على التنازل عن عرشه .

(٢)

الملك إدوارد الثامن ..

تنازل بسبب مطلقة أحبها !!



يقول الفيلسوف الوجودى جان بول سارتر : جعلوا الحب أعمى لكنه لديه عينان أفضل من عيوننا .. الحب ليس أعمى .

ولكن هناك من يؤمن بأن الحب فعلا أعمى وليس شرطا أن يكون سارتر مصيبا فيما توصل إليه .

وربما تكون هذه القصة خير دليل على أنه أعمى فعلا، لأنه يدفع صاحبه لاتخاذ قرارات ربما لو عاد به الزمن لما أقدم عليها .

حكاية الملك إدوارد الثامن ربما تكون نموذجا للحظة فاصلة فى حياة زعيم أمة وملك متوج على عرش إمبراطورية كبرى، أعماه الحب فتنازل فى هذه اللحظة عن العرش من أجل امرأة مطلقة !!

يعد إدوارد الثامن الحاكم البريطانى الوحيد الذى يتنازل متعمداً عن الحكم فى ١٠ ديسمبر ١٩٣٦ . كما جاء تنازله عن ملكية أيرلندا فى اليوم التالى.و تعتبر فترة حكم إدوارد الثامن ثالث أقصر الفترات فى تاريخ بريطانيا .

إدوارد الثامن اسمه بالكامل (إدوارد ألبيرت كريستيان جورج آندرو باتريك دايفيد وينزر) وكان ملك المملكة المتحدة ودول الكومونولث وأيرلندا والهند، منذ وفاة والده جورج الخامس فى ٢٠ يناير ١٩٣٦ حتى تنازله فى ١١ ديسمبر من نفس العام.

وقبل أن يصبح ملكاً، كانت له عدة تسميات: الأمير إدوارد من يورك، والأمير إدوارد من يورك وكورنول، ودوق كورنول، ودوق روثيساى، وأمير ويلز. وبعد تنازله عن الملكية عاد للقبه السابق "الأمير إدوارد"، ثم أصبح دوق وينزر فى ٨ مارس ١٩٣٧ و خلال الحرب العالمية الثانية كان حاكم جزر البهاما .

اما المرأة التى خلقت اللحظة الفاصلة فى حياة الملك فهى واليس سيمبسون، وقبل أن يتعرف عليها إدوارد الثامن ويتخلى عن العرش من أجلها، تزوجها إيرل وينفيلد سبنسر عام ١٩١٦، ثم طلقته عام ١٩٢٧ .

بعد ذلك تزوجت إيرل سيمبسون من عام ١٩٢٨ حتى طلاقهما فى ١٩٣٦ فى ذلك الوقت كانت تعيش فى بريطانيا حيث تعرفت بأمير ويلز عن طريق الأصدقاء.

اعتبرتها العائلة الحاكمة البريطانية غير مناسبة لزواجها بالأمير لكونها مطلقة وهذا ما جعل زواجها بالأمير أمراً صعباً، حيث كان زواج المطلقات حسب الكنيسة الإنجليزية "أمراً غير ممكن".

ولكنهما صمما على أن يتم الزواج بشكل شرعى. وتزوجا بالفعل فى ٣ يونيو ١٩٣٧ فى فرنسا بعد تنازل الأمير إدوارد الثامن عن الحكم.

لم تتقبلها العائلة الملكية البريطانية، رغم ذلك كان إدوارد الثامن يزور والدته وإخوته بعد تنازله. عاش الزوجان فى باريس بفرنسا معظم بقية حياتهما. بعد وفاة الدوق فى عام ١٩٧٢، عاشت فى عزلة حتى توفيت فى ٢٤ أبريل ١٩٨٦ بباريس.

لقد كانت قصة غرام الملك والمطلقة الأمريكية حديث العالم أجمع، بل واعتبرها كثيرون واحدة من أجمل قصص الحب فى القرن العشرين إن لم تكن الأجمل لتضمنها أكبر تضحية يمكن للمحب أن يقدمها من أجل المحبوب، وهل من تضحية أكبر من عرش إمبراطورية كانت الشمس بالكاد تغيب عنها فى ذلك الزمان .

لم تكن التقاليد لتسمح لملكة بريطانيا أن تكون مطلقة و... وأجنبية من طبقة العامة. لذلك حين وقع أمير ويلز فى هوى تلك السيدة التى تكبره سنا، إضافة إلى ذلك كله كان عليه أن يختار: إما العرش وإما القلب. تعرف أنه اختار القلب. وصار اختياره ذاك إنشودة يتغنى بها ملايين البشر بإكبار وإعجاب. أما هو فلم يخف طوال العقود التى عاشها بعد ذلك، سعادته بما فعل، معلنا أنه لم يندم على ذلك ولو لحظة.



واليس سيمبسون فى عام ١٩٣٦

ولا يزال العالم يتذكر وقع الزلزال السياسى العنيف فى ١١ ديسمبر ١٩٣٦، حين أذاع الملك إدوارد الثامن، ملك المملكة المتحدة وبريطانيا العظمى والدومنيون البريطانية وإمبراطور الهند، خطبة صدمت البريطانيين وأثارت مخيلات العالم، أعلن فيها أنه يتنازل عن العرش لصالح أخيه الدوق أوف يورك، الذى سيحمل منذ تلك اللحظة اسم جورج السادس.

وفى خطابه ذاك قال إدوارد الثامن - سابقا - مخاطبا البريطانيين: " أخيرا بات فى إمكانى أن أقول بضع كلمات تخصنى. أنا لم أشأ أبدا أن أسكت عن شىء قبل الآن، ولكن لم يكن فى إمكانى أن أتكلم، تبعا لما ينص عليه الدستور. منذ ساعات قليلة تخليت عن مهمتى وواجبى كملك وإمبراطور والآن إذ خلفنى -على العرش- أخى الدوق أوف يورك، ستكون أولى كلماتى إعلان الولاء له, وهو شىء سأفعله من كل قلبى.

إنكم جميعا تعرفون السبب الذى جعلنى أتخلى عن العرش، لكننى أريدكم أن تعرفوا أننى إذ اتخذت قرارى لم أنسَ أبداً البلد والإمبراطورية اللذين حاولت أن أخدمهما طوال ٢٥ سنة، أولا بوصفى أمير ويلز ثم بوصفى ملكا.

ولكن عليكم أن تصدقونى حين أقول لكم إننى وجدت من المستحيل أن أقوم بواجبى الثقيل وأن أتخلى عن مسئولياتى كملك لولا العون والدعم الذى قدمته إلىّ المرأة التى أحب" .

والحقيقة أن هذه العبارة الأخيرة هى التى فتنت البريطانيين والناس أجمعين. ذلك الاعتراف بالحب، فى أقصى درجات دراميته ورومانسيته. والحقيقة أيضا، إن هذه العبارة هى نفسها التى شغلت دائما بال المؤرخين وجعلتهم يميلون إلى تفحص المسائل عن قرب.

ليس ثمة أدنى شك فى أن العاشقين كانا متيمين ببعضهما بعضا . وليس ثمة من مجال للاشتباه بأن التنازل عن العرش كان يتماشى، حقا، مع دستور البلاد .

والحقيقة تقول لنا أيضا إن حياة العاشقين الزوجين، طوال سنوات بعد ذلك أكدت حبهما، وسعادتهما . وكان الملك العاشق قد أسر لزوجته، بعد أن سمع أول خطاب ألقاه أخوه الملك الجديد، قائلا : " إن عليك ألا تندمى أبدا ... فأنا لست نادما" .

الغريب أنه ومنذ ذلك الوقت، والجميع ينبش ليس فى حياة إدوارد الثامن وإنما فى حياة المطلقة الأمريكية، التى جعلته يتنازل عن العرش .

وقد كشفت دار الوثائق البريطانية، فى عام ٢٠٠٣، عما وصف بأنه فضيحة كبرى فى حياة الملك إدوارد الثامن الذى كان متوقعاً أن يكون ملك بريطانيا فى الثلاثينيات من القرن الماضى. وذلك على الرغم من أن حكومة هارولد ويلسون كانت قد قررت فى عام ١٩٦٧ عدم الإفراج عن هذه الوثائق حتى عام ٢٠٣٦، حيث كان من المتفق عليه أن هذه الوثائق ستبقى سرية فقط طوال حياة الملكة إليزابيث الأم، ربما بسبب الضغينة المزعومة بينها وبين مسز سيمبسون زوجة الأمير إدوارد .

وقد كشفت دار الوثائق البريطانية عن أسرار تخلى الأمير إدوارد عن العرش، وتتركز على واليس سيمبسون . ولكن فلننظر ماذا تقول هذه الوثائق ؟

قالت الوثائق إن اللقاء الأول الذى جمع بين مسز سيمبسون وإدوارد أمير ويلز فى عام ١٩٣١، كان حفلاً منزليّاً أقامته فيورنيس، خليلة الأمير وصديقة مسز سيمبسون فى ميلتون موبراى. وفيما بين عامى ١٩٣٢ و١٩٣٣ أصبحت مسز سيمبسون وزوجها الثانى إرنيست، وهو أمريكى المولد ويعمل سمساراً لأعمال الشحن، من الضيوف المعتادين لمنزل الأمير الريفى (فورت بيلفيدير). وكانا غالباً ما يقومان بدعوته إلى حفلات الكوكتيل التى يقيمانها فى شقتهما بلندن. وفى عام ١٩٣٤ قام الأمير بدعوة آل سيمبسون لقضاء إجازة معه فى (بياريتز)، إلا أن السيد سيمبسون لم يستطع المجىء بسبب انشغاله فى أعماله، بينما حرصت

مسز سيمبسون على تلبية دعوة الأمير. ومع نهاية العام قام الأمير إدوارد ومسز سيمبسون برحلة للتزلج سوياً على الجبال الجليدية فى النمسا.

لقدكان لدى أمير ويلز ولع بالنساء المتزوجات، اللاتى لديهن تعاطف تجاه ضعف كفاءته الجنسية، ويبدو أن مسز سيمبسون كانت من أراده تحديداً.

كانت مسز سيمبسون، كما جاء فى الوثائق التى أفرج عنها أخيراً، « شديدة الجاذبية وتنفق بإسراف على ملابسها ورفاهيتها الخاصة. على الرغم من ذلك، فقد ذكرت التقارير رفقتها المشبوهة بالليدى إميرالد كونراد، التى كانت مدمنة للمخدرات، وهى والدة نانسى كونراد التى عرفت بانحيازها للرجال السود».

وفى عام ١٩٣٦ أصبحت علاقة الملك بمسز سيمبسون قضية قومية بعدما تطورت علاقة الأمير إدوارد بمسز سيمبسون إلى الحد الذى دفع أحد الصحفيين الكبار فى صحيفة التايمز للاتصال بالملك مطالباً إياه بأن يعلن بياناً عاماً حول مستقبله الشخصى، ومستقبل الملكية.

وتورد الوثائق التى أفرج عنها مكتب السجلات العامة بالتفصيل محاولة الملك الأخيرة والواهنة لأن يتجاوز معارضة حكومة بالدوين لزواجه من «واليس سيمبسون»، وأن يتوجه بخطابه مباشرة إلى الشعب البريطانى.

تحت ستار الظلام قام الأمير إدوارد باستدعاء رئيس الوزراء ستانلى بالدوين إلى البوابة الخلفية لقصر باكنجهام فى محاولة منه لإقناعه بإلقاء خطابه للأمة، ولكن بالدوين كان قد عقد العزم على ألا يدع الملك يلقى خطابه الأخير.

وكان الأمير إدوارد قد قام بمساعدة من ونستون تشرشل، الذى كان فى تلك الفترة عضواً محافظاً فى البرلمان البريطانى، بإعداد خطاب ليلقيه فى راديو (بى بى سى) فى الرابع من ديسمبر عام ١٩٣٦، وفى هذا الخطاب كان الملك ينوى إعلان نيته للزواج من امرأة أمريكية طلقت للمرة الثانية - الأمر الذى كان محل شائعات احتلت صفحات الصحف الأجنبية. أما الصحف البريطانية فقد كانت الحكومة البريطانية تحكم سيطرتها عليها فى هذا الأمر.

وفى مسودة الخطاب، عرض إدوارد أن يترك البلاد لفترة بعد زواجه حتى تخفت حدة الخلافات التى أثارها أمر زواجه، ولكنه لم يذكر بأى شكل نيته للتخلى عن العرش. لقد كان من الواضح إذن أنه كان لا يزال يأمل فى إتمام زيجته ويحتفظ فى الوقت ذاته بمكانه فى العرش.

ولهذا استدعى الأمير إدوارد رئيس الوزراء بالدوين سراً لمناقشة إذاعة الخطاب فى الثالث من ديسمبر فى الساعة التاسعة مساءً إلى القصر الملكى. ورغم أنه وصل عن طريق المدخل الخلفى للقصر، إلا أن الصحفيين تمكنوا من التقاط بعض الصور. وفى اليوم التالى، أعطى بالدوين رده القاطع للملك، قائلاً له: «إن إلقاء الخطاب سيكون خرقاً خطيراً للمبادئ الدستورية. وإنه ـ أى إدوارد ـ لن يكون بعد ذلك ملكاً دستورياً».

وأضاف بالدوين، حجة جديدة لمعارضة إلقاء الملك لخطابه قائلاً: « إن هذا سيصدم الكثير من الناس ـ وخاصة النساء اللاتى يتميزن بالتعاطف الشديد تجاه الملكية ـ حينما يسمعن من الملك مباشرة نيته للزواج من امرأة لا تزال زوجة رجل آخر. إن الأمر بهذا الشكل سيثير الصحافة ويجعلها تبحث فى ماضى مسز سيمبسون، كما قد يؤدى الأمر إلى تدخل فى إجراءات طلاقها من زوجها التى لم تتم بعد وقد يتطور الأمر إلى حدوث اعتداءات جسدية على مسز سيمبسون». وقد أثار إصرار الملك على الزواج من سيمبسون قلقاً بالغاً لدى أعضاء البرلمان وعلى رأسهم بالدوين، الذى دعا إلى اجتماع سريع للبرلمان فى الساعة الحادية عشرة والنصف من يوم السابع والعشرين من نوفمبر. ويقول دوف كوبر وزير الحرب البريطانى، فى مذكراته عن هذه الفترة، إنه لا يتذكر بالتحديد السبب العاجل لانعقاد البرلمان، ولكن يبدو أن إحكام الحكومة السيطرة على الصحف قد بدأ فى الانفلات.لقد ذكر رئيس الوزراء أن صحيفة تدعى "كافالكاد" نشرت صورة مكبرة للملك مع مسز سيمبسون مصحوباً بتعليق يقول:

" الملك يسير على هواه "، وأن عضوًا من أعضاء حزب العمال قد علق مؤخراً قائلاً: « ترى، هل ترغبون فى ملكية فاشية؟».

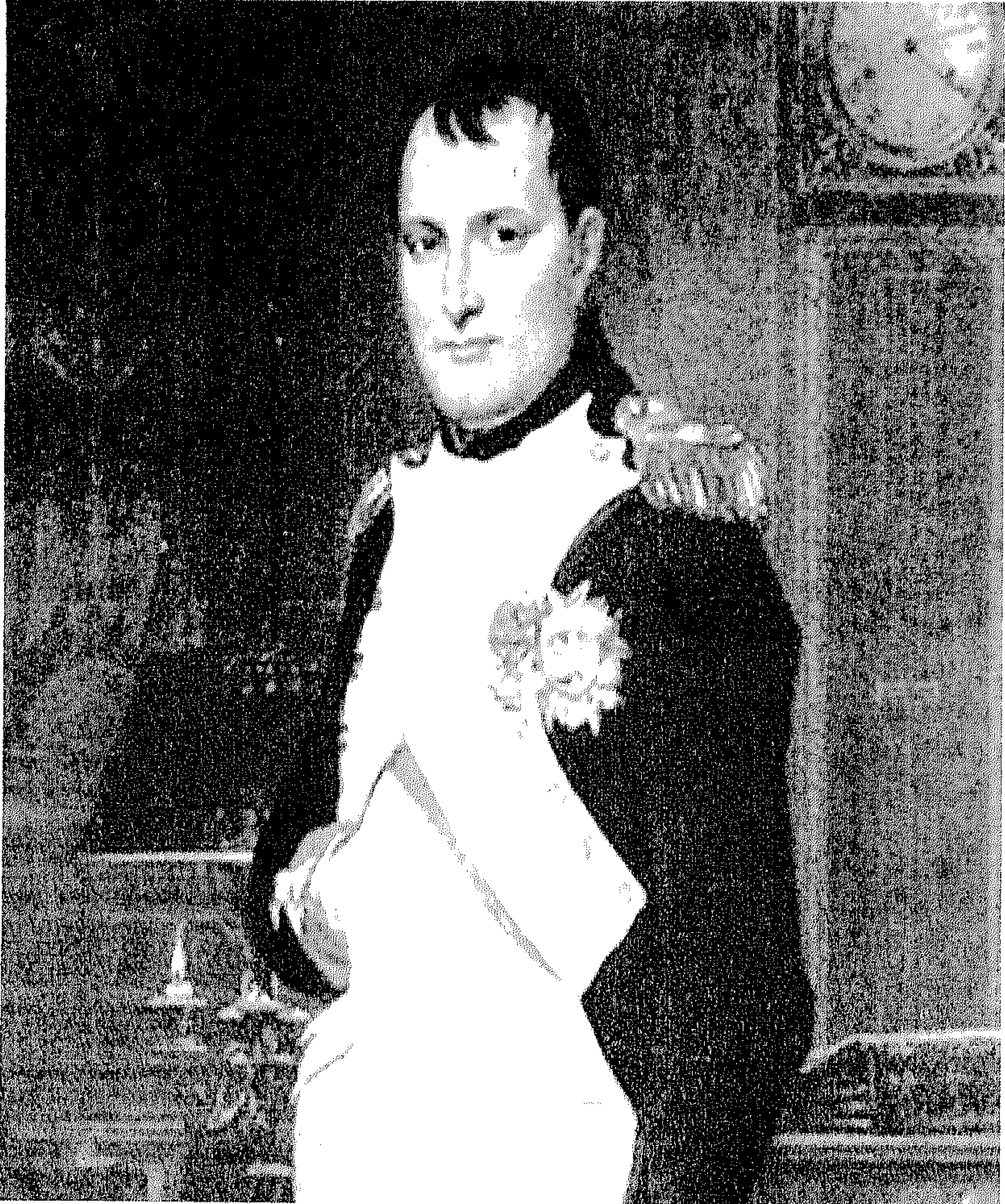
وبرغم رفضه الصارم لهذه الزيجة، فقد استشار بالدوين فى هذا الأمر كليمينت أتلى، رئيس حزب العمال، الذى رفض حتماً هو وحزبه مجرد النظر فى مسألة الزواج كحل لهذه الأزمة.

ويواصل كوبر فى مذكراته: «انعقدت جلسة تاريخية للبرلمان لمدة الساعة وربع الساعة. كانت هناك مناقشة قصيرة بعد انتهاء رئيس الوزراء من حديثه، وكان هناك إجماع عام بأن اقتراح الزواج أمر لا يمكن التفكير فيه. وقالوا إنه لم تكن هناك سابقة مماثلة. كنت فقط أحاول أن أشجعهم على إعطاء فرصة لكسب المزيد من الوقت. قلت لهم عادةً فى الحياة الخاصة حينما يريد شخصان غير مناسبين الزواج، فإن الوسيلة المثلى هى إقناعهما بالانتظار لمدة عام. وقلت لهم إننى حينما قابلت الملك قال لى إن واليس ستكون إما ملكة أو لا شىء.. رد رئيس الوزراء قائلاً إن الأمور قد زادت حدتها بدرجة لا تنفع معها مسألة التأجيل وأعتقد أن الجميع كان يوافقه الرأى».

(٤)

نابليون بونابرت ..

تنازل مذل بعد عظمة !!



بعد أن كان مجرد ذكر اسمه يثير الرعب فى قلب خصومه فى الداخل، وأعدائه فى الخارج، وبعد أن اعتلى العرش كإمبراطور فى بلاده، وقاد جيوشه لإسقاط ممالك، واحتلال أمم، وعلا صيته فى الآفاق، بعد كل ما تحقق له من سلطان وصولجان، ومجد وعظمة وأبهة ونفوذ، اضطر للتخلى عن كل ذلك، وراح فى لحظة انكسار يتنازل عن كل شىء، ليذهب حيث تنتظره المنية فى منفاه الأخير!!

هذا هو ما حدث لنابليون بونابرت، إمبراطور فرنسا وصاحب الانتصارات المتعددة وأعظم عبقرية عسكرية عرفها التاريخ، وما بين صعوده وسقوطه قصة أشبه بتراجيديا إغريقية .

ولد بونابرت فى ١٥ أغسطس عام ١٧٦٩ فى جزيرة كورسيكا التى كانت فرنسا قد استولت عليها قبل ولادته بخمسة عشر شهراً، وتلقى تعليمه وتدريبه العسكرى فى فرنسا، تخرج وهو فى السادسة عشرة من عمره عام ١٧٨٥ برتبة ملازم ثان فى الجيش الفرنسى، وفى سنة ١٧٩٦ اصبح قائداً للجيش الفرنسى فى إيطاليا، وبفضل انتصاراته فى الجبهة الإيطالية بين الأعوام ١٧٩٧ - ١٧٩٦ عاد إلى فرنسا بطلاً قوميا .

و فى سنة ١٧٩٨قام بحملته الشهيرة على مصر ومن ثم على فلسطين التى كانت نهايتها الفشل الذريع لنابليون وجيشه. بعد مغادرة نابليون مصر فى أعقاب فشله باحتلال عكا (١٧٩٩) عاد إلى فرنسا ليشارك فى انقلاب عسكرى كانت نتيجته قيام حكومة جديدة وتعيين نابليون القنصل الأول لفرنسا وسرعان ما أصبح حاكماً ديكتاتورياً لفرنسا .

وأثناء حكمه لفرنسا أدخل إصلاحات جوهرية، وخاصة فى النظام الإدارى والتشريعى واهتم كذلك بإصلاح النظام المالى والقضائى، وأنشأ بنك فرنسا .

ولعل أهم أعماله ماعرف بـ " دستور نابليون " . عرف عن نابليون قصر قامته وعشقه للنساء وفشله بحياته الزوجية وذكاؤه النادر، أحرز بفضل نبوغه وعبقريته انتصارات باهرة فى ميادين القتال والمعارك .

كما عرف عنه بأنه لم يكن يشرع فى رسم أية خطة حربية إلا وهو يمص أقراص السوس، كما كان خطه فى الكتابة رديئاً جداً، حتى أن البعض ظن أن رسائله رموز أو خرائط حربية .

وقال عنه المقربون منه إنه كان غريب الأطوار، وكان نابليون قائداً بارعاً للمدفعية، ووطنياً متطرفاً جاءت فرصته بشكل خاص فى سنة ١٧٩٣ عندما حاصر الفرنسيون مدينة تولون واستردوها من البريطانيين، وأصبحت انتصاراته فيما بعد كبيرة إذ حكم أوربا بأسرها تقريباً .

وأرسل نابليون حملة إلى مصر بهدف القضاء على تجارة إنكلترا مع الهند، لكن حملته انتهت بالفشل أمام الأسطول الإنكليزى فعاد إلى فرنسا وأعلن نفسه مستشاراً ثم لقب بالإمبراطور ودخل الحرب عام ١٨٠٥ ثانية ضد أعظم ثلاث قوى وهى بريطانيا والنمسا وروسيا، فنجح فى دحر النمسا وروسيا فى "أسترلتين" ثم هزم بروسيا عام ١٨٠٦ .

وتحدت روسيا حلف نابليون فهاجمها عام ١٨١٢ متغلباً على الجيش الروسى ولكنه عندما دخل موسكو كان أهلها قد دمروها وكان جيشه جائعاً تعباً من برد الشتاء فى روسيا،،وتبين أن عدد جنوده القتلى هناك حوالى ٢٥ ألفاً .

وكانت معركة واترلو التى وقعت عام ١٨١٥ قرب بروكسل آخر المعارك الخاصة بالقائد الفرنسى نابليون بونابرت، وقد وضعت هذه المعركة حداً لطموحاته السياسية التى كانت تهدف إلى حكم أوربا، وكانت هزيمته ساحقة وبعد تنازل نابليون عن منصبه، نفى إلى جزيرة إلبا قبالة ساحل إيطاليا .

وأمضى هناك أقل من سنة قبل أن يقرر العودة لحكم فرنسا لأنه وجد أن الحلفاء فى مؤتمر فيينا كانوا غير قادرين على تسوية خلافاتهم، وكان يأمل فى أن يستغل هذا الشقاق لاستعادة السلطة ولكن الحلفاء تكاتفوا ضده .

وسار نابليون إلى بلجيكا ليواجه ذلك التهديد، وتولى دوق ولنجتون قيادة

القوات المتحالفة لبلجيكا وبريطانيا وهانوفر وهولندا وتلقت القوات الفرنسية هزيمة ساحقة وبعد هذه الهزيمة فشل نابليون فى تجميع جيش جديد، لم يكن أمامه من خيار سوى التنحى عن منصبه مرة ثانية .

وتوفى نابليون بونابرت فى ٥ آيار عام ١٨٢١ بمنفاه فى جزيرة سانت هيلينا فى المحيط الأطلسى . حيث مات بسرطان المعدة.

وقد قيل إنه اعتل عن طريق طلاء جدران غرفته بالزرنيخ وتسبب ذلك له بقرحة معدية لازمته حتى وفاته ولذلك كان غالباً ما يضع يده داخل سترته فوق معدته .

(٥)

فاروق الأول..

خياران أحلاهما مرّ!!



أحيانا يفاضل الحاكم ما بين أمرين أحلاهما مر -كما يقولون - وهذا ما حدث لملك مصر السابق فاروق الأول . فقد كان عليه أن يختار ما بين البقاء فى قصره والدفاع عن عرشه ضد الانقلابيين حتى النهاية، مستعينا بقوات الاحتلال الإنجليزى الموجودة على مقربة منه والمرحبة بالتدخل حال طلبه، وبين حقن دماء شعبه، والتنازل عن عرش بلاده، فاختار كتابة النهاية بخط يده ورحل بإرادته !!

هذا هو ما فعله الملك فاروق، آخر ملوك مصر وآخر من حكم مصر من الأسرة العلوية الذى استمر حكمه مدة ست عشرة سنة إلى أن دفعته حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إلى التنازل عن العرش لابنه الطفل أحمد فؤاد والذى كان عمره حينها ستة شهور والذى ما لبث أن خلع، بتحويل مصر من ملكية إلى جمهورية.

فاروق، الذى رفض أن يقاوم حركة الضباط الأحرار بعد حصارهم قصره، وقرر الرحيل عن البلاد التى نشأ فيها، وتنازل عن العرش لابنه أحمد فؤاد الثانى، لم يبك عندما تنازل عن العرش، لكن دموعه انهمرت بمرارة، وهو يلقى نظرة الوداع على مصر، من فوق ظهر اليخت، الذى أقله لآخر مرة من الإسكندرية، فى طريقه إلى منفاه بإيطاليا .التى توفى فيها عام ١٩٦٥.

وبعد تنازله عن العرش فى لحظة فاصلة آثر فيها الاحتكام لعاطفته وحبه لشعبه، أقام الملك فاروق فى منفاه بروما عاصمة إيطاليا وكان يزور منها أحيانا سويسرا وفرنسا، وذلك إلى أن توفى بروما، ودفن فى المقبرة الملكية بمسجد الرفاعى بالقاهرة حسب وصيته.

نعم فى لحظة فاصلة، رفض الملك فاروق الأول الاستعانة بالحرس الملكى والذى كان له الأفضلية فى التسليح أو بالقوات البريطانية التى عرضت المساعدة عليه لإخماد الحركة العسكرية فى مهدها حيث فضل التنازل عن العرش لابنه لحقن دماء المصريين.

وطالب الملك فاروق أن يحافظ على كرامته فى وثيقة التنازل عن العرش،

فطمأنه على ماهر باشا وذكر له أنها ستكون على مثال الوثيقة التى تنازل بها ملك بلجيكا عن عرشه، اتصل على ماهر بالدكتور عبد الرازق السنهورى طالباً منه تحرير وثيقة التنازل.

أعدت الوثيقة وعرضت على محمد نجيب فوافق عليها، واقترح جمال سالم إضافة عبارة (ونزولاً على إرادة الشعب) على صيغة الوثيقة وتم تكليف سليمان حافظ بحمل الوثيقة وتوقيعها من الملك. استقبله الملك فاروق وقرأها أكثر من مرة، واطمأن للشكل القانونى لها وأراد إضافة كلمة (وإرادتنا) عقب عبارة ونزولاً على إرادة الشعب، لكنه أفهمه أن صياغة الوثيقة فى صورة أمر ملكى تنطوى على هذا المعنى، وأنها تمت بصعوبة كبيرة ولا تسمح بإدخال أى تعديل، وكان الملك فى حالة عصبية سيئة.

يذكر أن الملك فاروق وقع مرتين على الأمر الملكى مرة بجانب اسمه (أعلى الوثيقة) والمرة الثانية فى نهاية الأمر الملكى، ذهب البعض إلى أن الحالة العصبية السيئة التى كان عليها هى التى جعلته ينتحى هذا التصرف، ولكن البعض يقول إن العادة جرت على أن يوقع الملك فوق اسمه ثم يوقع تحت الأمر الملكى.

نص التنازل عن العرش:

أمر ملكى رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان

لما كنا نتطلب الخير دائما لأمتنا ونبتغى سعادتها ورقيها

ولما كنا نرغب رغبة أكيدة فى تجنيب البلاد المصاعب التى تواجهها فى هذه الظروف الدقيقة

ونزولاً على إرادة الشعب.

قررنا النزول عن العرش لولى عهدنا الأمير أحمد فؤاد وأصدرنا أمرنا بهذا إلى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه.

صدر بقصر رأس التين فى ٤ ذى القعدة ١٣٧١ هـ (٢٦ يوليو ١٩٥٢).

امر ملكى رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان

لما كنا نتطلب الخير دائما لأمتنا ونبغى سعادتها ورقيها

ولما كنا نرغب رغبة أكيدة فى تجنيب البلاد المصاعب التى تواجهها فى هذه الظروف الدقيقة

ونزولا على إرادة الشعب

قررنا النزول عن العرش لولى عهدنا الأمير أحمد فؤاد وأصدرنا أمرنا بهذا الى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه.

صدر بقصر رأس التين فى ٤ ذى القعدة ١٣٧١ (٢٦ يوليه ١٩٥٢).

صورة من وثيقة تنازل الملك فاروق عن عرش مصر

وفى تمام الساعة السادسة وواحد وعشرين دقيقة مساء يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ غادر الملك فاروق قصر رأس التين بالإسكندرية مرتدياً لباس أمير البحر على ظهر اليخت الملكى المحروسة بقيادة جلال علوبة (وهو نفس اليخت الذى غادر به جده الخديوى إسماعيل عند عزله عن الحكم) وقد تعهد بأن يقوم بإعادة المحروسة فور نزوله فى ميناء نابولى، وكان فى وداعه على ماهر باشا والسفير الأمريكى كافرى وأصيلة صادق والدة الملكة ناريمان واثنتان من أخواته الأميرة فايزة والأميرة فوزية وأطلقت المدفعية إحدى وعشرين طلقة لتحية الملك فاروق، وتم إنزال ساريه العلم الملكى. وقد وصل اللواء محمد نجيب متأخرا وذلك بسبب الازدحام ومعه أحمد شوقى وجمال سالم وحسين الشافعى وإسماعيل فريد ولحقوا بالمحروسة فى عرض البحر.



فاروق فى آخر أيامه ..

يقول محمد نجيب فى مذكراته: جئت متأخراً لوداع الملك بسبب ازدحام الطريق وكانت المحروسة فى عرض البحر، فأخذت لنشاً حربياً دار بنا دورة كاملة كما تقتضى التقاليد البحرية وصعدت للمحروسة وكان الملك ينتظرنى، أديت التحية فرد عليها، ثم سادت لحظة صمت بددتها قائلا للملك لعلك تذكر أننى كنت الضابط الوحيد الذى قدم استقالته من الجيش عقب حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ احتجاجاً. فرد الملك: نعم أذكر. قلت له: حينئذ كنت مستعداً أن أضحى برزقى وبرقبتى فى سبيلك، ولكن ها أنت ترى اليوم أننى نفسى أقف على رأس الجيش ضدك. فرد فاروق: إن الجيش ليس ملكى وإنما هو ملك مصر، ومصر وطنى، واذا كان الجيش قد رأى أن فى نزولى عن العرش ما يحقق لمصر الخير، فإنى أتمنى لها هذا، وقال له "أنتم سبقتمونى بما فعلتوه فيما كنت أريد أن أفعله"!!! وقال: إن مهمتك صعبة جدا، فليس من السهل حكم مصر. وكانت هذه آخر كلماته.

لاحظ الملك فاروق أن جمال سالم يحمل عصاه تحت إبطه وأمره قائلاً "أنزل عصاك أنت فى حضرة ملك" مشيرا إلى ابنه الرضيع الملك أحمد فؤاد الثانى. ولقد اعتذر محمد نجيب على تصرف جمال سالم. يذكر أن الضباط الأحرار كانوا قد قرروا الاكتفاء بعزله ونفيه من مصر بينما أراد بعضهم محاكمته وإعدامه كما فعلت ثورات أخرى مع ملوكها.

يرى البعض أنه عاش حياة البذخ والسهر فى منفاه، وأنه كان له العديد من العشيقات منهم الكاتبة البريطانية باربرا سكلتون، إلا أن آراء أخرى ترى أن فاروق كان محبا مخلصا لوطنه وشعبه.

ويروى عن الملكة فريدة وكذا ابنته فريال أن الملك فاروق لم يكن يملك الشىء الكثير بعد أن أخرجته ثورة يوليو من مصر وأثبت شهود العيان فى المحكمة التى عقدتها الثورة لمحاكمة حاشية فاروق ومعاونيه بعد خروجه من مصر أن الملك السابق حمل معه إلى إيطاليا ٢٢ حقيبة بها ملابسه وملابس زوجته ناريمان وملابس الأميرات الصغيرات بالإضافة إلى مبلغ ٥٠٠٠ جنيه مصرى علماً بأن حسابه البنكى فى سويسرا كان به ٢٠ ألف جنيه. بعد أقل من عامين فى المنفى طلبت الملكة ناريمان الطلاق من فاروق وسافرت إلى مصر دون إذنه، وأذنت لها حكومة الثورة بذلك وأعلن عن الطلاق أمام محكمة الأحوال المدنية وفى الصحف الرسمية.طلب فاروق أن يحل ضيفاً على إمارة موناكو وبالفعل عاش فيها معظم سنوات المنفى ومنحه الأمير رينيه جنسية موناكو وجواز سفر دبلوماسياً عام ١٩٦٠ قبل وفاته بخمس سنوات.

وتوفى الملك فاروق فى ليلة ١٨ مارس ١٩٦٥، فى الساعة الواحدة والنصف صباحاً، بعد تناوله لعشاء دسم فى مطعم ايل دى فرانس الشهير بروما وقد قيل إنه اغتيل بالسم (بأسلوب كوب عصير الجوافة) على يد إبراهيم البغدادى أحد أبرز رجال المخابرات المصرية والذى عمل جرسوناً بنفس المطعم، بتكليف من القيادة السياسية والتى كانت تخشى تحقق شائعة عودته لمصر وهذا ما نفاه إبراهيم البغدادى.

فى تلك الليلة أكل الملك فاروق وحده دستة من المحار وجراد البحر وشريحتين من لحم العجل مع بطاطس محمرة وكمية كبيرة من الكعك المحشو بالمربى والفواكه. بعدها شعر بضيق فى التنفس واحمرار فى الوجه ووضع يده فى حلقه، وحملته سيارة الإسعاف إلى المستشفى وقرر الأطباء الإيطاليون بأن رجلاً بديناً مثله يعانى ضغط الدم المرتفع وضيق الشرايين لابد أن يقتله الطعام.

بينما روت اعتماد خورشيد فى مذكراتها اعتراف صلاح نصر لها بتخطيطه لعملية القتل. ولكن لم تتم تحقيقات رسمية فى الجريمة، ورفضت أسرة الملك تشريح جثته مؤكدة أنه مات من التخمة. ربما لحرصهم أن تنفذ وصية الملك بأن يدفن فى مصر، وقد رفض جمال عبد الناصر هذا الطلب آنذاك، إلا أن إلحاحا من الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود بأن يدفن فى مصر قد سمح بذلك واشترط جمال عبدالناصر أن لا يدفن فى مدافن مسجد الرفاعى ونقل جثمانه إلى مصر فى منتصف الليل ودفن فى جامع إبراهيم باشا بتكتم شديد، إلا أن الرئيس السادات قد سمح بذلك فى وقت لاحق، وتم نقل رفاته ليلا وتحت حراسة أمنية إلى المقبرة الملكية بمسجد الرفاعى فى القاهرة ودفن بجانب أبيه الملك فؤاد وجده الخديوى إسماعيل.

وكان فاروق قد ولد ونشأ فى القاهرة كابن وحيد بين عدد من الشقيقات أنجبهم الملك فؤاد الأول ثم أكمل تعليمه بفرنسا وإنجلترا، أصبح ولياً للعهد وهو صغير السن، واختار الملك الوالد فؤاد الأول لولى عهده لقب أمير الصعيد.

وتحمل فاروق المسؤولية وهو صغير السن، حيث إنه تولى العرش فى السادسة عشرة من عمره بعد وفاة والده الملك فؤاد الأول، حيث خلف أباه على عرش مصر بتاريخ ٢٨ أبريل ١٩٣٦، ولأنه كان قاصراً فقد تم تشكيل مجلس وصاية رأسه ابن عمه الأمير محمد على ابن الخديوى توفيق أخ الملك فؤاد الأول وكان سبب اختياره هو من بين أمراء الأسرة العلوية بأنه كان أكبر الأمراء سناً، واستمرت

مدة الوصاية ما يقارب السنة وثلاثة شهور إذ إن والدته الملكة نازلى خافت أن يطمع الأمير محمد على فى الحكم ويأخذه لنفسه، فأخذت فتوى من شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغى بأن يحسب عمره بالتاريخ الهجرى، وأدّى ذلك إلى أن يتوج ملكاً رسمياً بتاريخ ٢٩ يوليو ١٩٣٧، وتم تعيين الأمير محمد على باشا ولياً للعهد وظل بهذا المنصب حتى ولادة ابنه أحمد فؤاد.

وتزوج فاروق مرتين، المرة الأولى كانت وهو فى سن الثامنة عشر بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٣٨ وذلك من صافيناز ذو الفقار وقد غير اسمها إلى فريدة بعد الزواج، وأنجبت له بناته الثلاث الأميرة فريال والأميرة فوزية والأميرة فادية، ثم طلقها عام ١٩٤٩ إثر خلافات كبيرة بينهما، ومن بين الخلافات هو عدم إنجابها وريثًا للعرش، وقد اعترض الشعب على الطلاق، لأنهم كانوا يحبونها ويشعرون بأنها لصيقة بطبقاتهم وبأحوالهم، وعندما طلقها غضبوا عليه بشدة، فطافت المظاهرات الشوارع بعد طلاقها تهتف "خرجت الفضيلة من بيت الرذيلة". لقد رأوا فيها وردة مصرية طاهرة نقية.

تزوج بعدها من زوجته الثانية ناريمان صادق وذلك بتاريخ ٦ مايو ١٩٥١ وكان حينها فى سن الواحدة والثلاثين، وهى التى أنجبت له ولى العهد الأمير أحمد فؤاد الذى تولى العرش وهو لم يتجاوز الستة أشهر تحت لجنة وصاية برئاسة الأمير محمد عبد المنعم بعد تنازله عن العرش مجبراً تحت رغبة الجيش المصرى بقيادة الضباط الأحرار وعلى رأسهم قائد مجلس قيادة الثورة اللواء محمد نجيب. غادرت ناريمان صادق مع الملك فاروق إلى المنفى بإيطاليا عقب قيام الثورة بتاريخ ٢٦ يوليو ١٩٥٢ وبعد خلافات كبيرة تم الطلاق بينهما فى فبراير ١٩٥٤.

ولكن تنازل فاروق عن العرش لم يكن تنازله الأول، ولكن كان قد تنازل من قبل لظروف مختلفة، دون تنفيذ هذا التنازل، وهو ما عرف بـ " حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢".

وملخص الحادثة أن قوات الاحتلال البريطانية قامت بمحاصرة الملك فاروق بقصر عابدين وأجبره السفير البريطانى فى القاهرة السير مايلز لامبسون على

التوقيع على قرار باستدعاء مصطفى النحاس باشا، زعيم حزب الوفد لتشكيل الحكومة بمفرده، أو التنازل عن العرش.

كانت القوات الألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية بقيادة روميل بالعلمين فى يوم ٢ فبراير ١٩٤٢، كان الموقف العسكرى مشحونا بالاحتمالات الخطيرة على مصر ولاتباع التقليد الدستورى الخاص بتشكيل وزارة ترضى عنها غالبية الشعب وتستطيع إحكام قبضة على الموقف الداخلى، وطلب السفير البريطانى من الملك فاروق تأليف وزارة تحرص على الولاء لمعاهدة ١٩٣٦ نصا وروحا قادرة على تنفيذها وتحظى بتأييد غالبية الرأى العام، وأن يتم ذلك فى موعد أقصاه ٣ فبراير ١٩٤٢ . استدعى الملك فاروق قادة الأحزاب السياسة فى محاولة لتشكيل وزارة قومية أو ائتلافية وكانوا جميعا عدا مصطفى النحاس مؤيدين فكرة الوزارة الائتلافية برئاسته فهى تحول دون انفراد الوفد بالحكم ولهم أغلبية بالبرلمان.

طلبت بريطانيا من سفيرها أن يلوح باستخدام القوة أمام الملك فاروق وفى صباح يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ طلب السفير مقابلة رئيس الديوان أحمد حسنين وسلمه إنذارا كان هذا نصه:

" إذا لم أعلم قبل الساعة السادسة مساء أن النحاس باشا قد دُعى لتأليف وزارة، فإن الملك فاروق يجب أن يتحمل تبعة ما يحدث " .

كان السفير جادا فى هذا الإنذار، ولا بد أن بريطانيا كانت تقوم بإعداد من يحتل العرش مكان الملك فاروق، وكان المرشح ولى العهد الأمير محمد على باشا توفيق الذى ظل حلم اعتلائه لعرش مصر يراوده لسنوات طويلة وهو أكبر أفراد أسرة محمد على سناً، إلا أن مصطفى النحاس رفض الإنذار.

وعند مساء ٤ فبراير ١٩٤٢ توجه السفير الإنجليزى ومعه الجنرال ستون قائد القوات البريطانية فى مصر ومعهما عدد من الضباط البريطانيين المسلحين بمحاصرة ساحة قصر عابدين بالدبابات والجنود البريطانيين ودخلا مكتب الملك فاروق وكان معه أحمد حسنين باشا. كانت أول وثيقة تنازل عن العرش فى تاريخ الملك فاروق هى التى وضعها أمامه السير مايلز لامبسون على مكتبه فى قصر عابدين فى التاسعة والربع مساء يوم الأربعاء ٤ فبراير ١٩٤٢.

" نحن فاروق الأول ملك مصر تقديرا منا لمصالح بلدنا فإننا هنا نتنازل عن العرش ونتخلى عن أى حق فيه لأنفسنا ولذريتنا، ونتنازل عن كل الحقوق والامتيازات والصلاحيات التى كانت عندنا بحكم الجلوس على العرش، ونحن هنا أيضًا نحل رعايانا من يمين الولاء لشخصنا " .

صدر فى قصر عابدين فى هذا اليوم الرابع من فبراير ١٩٤٢.

ويحكى السفير البريطانى أنه عندما وضع وثيقة التنازل أمام فاروق 'تردد الملك لثوان'. وأحسست للحظة أنه سوف يأخذ القلم ويوقع، لكن رئيس الديوان الملكى أحمد حسنين باشا تدخل باللغة العربية وقال شيئًا للملك ثم توقف الملك وبدا عليه نوع من الهلع وقد نظر إلى وسألنى بطريقة محزنة ومن دون أى ادعاءات مما كان يتظاهر به من قبل 'إذا كان فى الإمكان إعطاؤه فرصة أخرى أخيرة'. وقلت له: إننى لا بد أن أعرف فورا ومن دون مراوغة ما الذى ينوى عمله؟ وأجاب بأنه سوف يستدعى 'النحاس' على الفور وزاد فاقترح أن يدعو النحاس فى وجودى إذا أردت وأن يكلفه على مسمع منى بتشكيل الوزارة سألته: هل يفهم بوضوح أنه يجب أن تكون وزارة من اختيار النحاس وحده؟ فقال إنه يفهم. وقلت له إننى على استعداد لأن أعطيه فرصة أخيرة لأنى أريد أن أجنب بلاده تعقيدات قد لا تكون سهلة فى هذه الظروف، ولكن عليه أن يدرك أن تصرفه لا بد أن يكون فوريا. فقال مرة أخرى وبصوت مشوب بالانفعال إنه يستوعب أن ضرورات محافظته على شرفه وعلى مصلحة بلاده تقتضى أن يستدعى النحاس فورا وعلى هذا الأساس وافقت .

رأى فاروق فى وزارة النحاس تحديا سافرا لسلطته، ولم يسترح حتى طرد هذه الحكومة فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤م ولم يعترض الإنجليز على طردها بهذه الصورة؛ لأن الغرض منها قد استنفد ولم يعد هناك حاجة لبقائها. لقد أغضب الحادث عددا من الضباط وذهب ضابط برتبة صاغ (رائد) إلى حد تقديم استقالته احتجاجا وغضبا لأنه لم يتمكن من حماية ملكه الذى أقسم له يمين الولاء. وقد شكر المسؤولون فى قصر عابدين مشاعره ورفضوا تسلم استقالة هذا الضابط الذى كان اسمه محمد نجيب والذى كان فيما بعد قائد ثورة ٢٣

يوليو ١٩٥٢ التى قدمت لفاروق وثيقة تنازله الثانية ولكن هذه المرة وقعها وخرج من البلاد.

وفى عصر يوم ١٥ نوفمبر ١٩٤٣ كان الملك فاروق يقود السيارة التى أهداها له هتلر بسرعة كبيرة بجوار ترعة الإسماعيلية عائدا من رحلة صيد وفوجئ بمقطورة عسكرية إنجليزية، كانت قادمة من بنى غازى وقد انحرفت يسارا فجأة وسدت الطريق أمامه لكى تدخل المعسكر، وقام الملك بالانحراف لتفادى السقوط فى الترعة، واصطدمت مقدمة المقطورة بسيارته وطارت عجلاتها الأمامية، وحطمت الباب الأمامى ووقع الملك فاروق وسط الطريق.

كاد الحادث يودى بحياة الملك، وتم نقله إلى داخل المعسكر لإسعافه، ثم حملته السيارة الملكية إلى المستشفى العسكرى القريب فى القصاصين، وقامت الطبيبة الإنجليزية بفحص الصدر والبطن وأشار الملك إلى موضع الألم وقال: عندى كسر فى عظمة الحوض أسفل البطن !!

رغم ألمه الشديد كان سعيدا حينما شاهد ضباطا وجنودا مصريين من الجيش المرابط فى المنطقة، وقد أسرعوا من تلقاء أنفسهم وأحاطوا بالمستشفى لحراسته، وتم إبلاغ القصر الملكى وحضر الجراح على إبراهيم باشا بالطائرة من القاهرة، وكان أحد كبار الجراحين الإنجليز قد عرض إجراء العملية بصفة عاجلة، ولكن الملك فضل انتظار الجراح المصرى رغم خطورة إصابته.

وسرعان ما انتشر الخبر فى أرجاء مصر وزحفت الجماهير بالألوف وأحاطت بمستشفى القصاصين طوال إقامة الملك به بعد الجراحة الخطيرة التى ظل يعانى من آثارها طوال حياته وسببت له السمنة المفرطة بعد ذلك. وسرت شائعات بأن الحادث كان مدبرا للتخلص من الملك فاروق بسبب تفاقم الخلاف الحاد بينه وبين السفير البريطانى السير مايلز لامبسون بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢، ولكن الملك نجا بأعجوبة.

2

الفصل الثانى

لحظة الانتحار

(١)

انتحار كليوباترا ..

من أجل أنطونيو !!



ما إن تنامى إلى علم أنطونيو أن حبيبته كليوباترا قد انتحرت حتى قرر التخلص من حياته .

لم يكن أنطونيو يعرف أن انتحار محبوبته الملكة كان مجرد شائعة أطلقتها هى، فى مواجهة أعدائها .

وتستمر المأساة فتعلم كليوباترا أن حبيبها قد انتحر فتقرر على الفور أن تتخلص من حياتها ، فقد مات الحبيب ، وباتت هى على أبواب الأسر والذل والمهانة !!

ولا تزال صورة كليوباترا وهى تنتحر ، حاضرة فى الذهن الإنسانى على الرغم من مرور هذه القرون الطويلة على تلك الحادثة، ومع ما تشيعه بعض المصادر التاريخية من أن ملكة مصر لم تكن فى حقيقة أمرها على ذلك القدر من الحسن والجمال مثلما قرأناه بكتب التأريخ، ولم تكن قصيرة فحسب وإنما حتى دميمة، إلا أن الظروف والملابسات التاريخية المتباينة التى أحاطت بها، مضيفًا الى ذلك طريقة انتحارها التراجيدية،جعلت منها حسناء بارعة الجمال!

كانت كليوباترا حاكمة لمصر، وقد تدعم سلطانها بفضل مساندة يوليوس قيصر لها، والذى كانت قد تزوجته وأنجبت منه 'قيصرون'.. عادت إلى مصر وهى ترقب الصراع الدائر بين أنطونيو وأكتافيوس بعد مصرع قيصر.

وكانت الإسكندرية عاصمة مصر من أجمل موانئ البحر الابيض المتوسط، ويسكنها عدد كبير من اليونان، وكان عدد سكانها يربو على المليون، كما كانت القصور الملكية التى تتخللها الحدائق والمتنزهات تحتل خمس هذه المدينة الجميلة.

ولم تلبث كليوباترا فى حكم مصر إلا قليلا، حتى جاءتها رسالة من أنطونيو يستدعيها لكى يعرف موقفها وكان أنطونيو له صلة قرابة بيوليوس قيصر كما كان متزوجاً من أخت أكتافيوس.

وتوجهت كليوباترا لمقابلة أنطونيوس فى " كيلكية " .. لقد ركبت سفينتها وفيها بعض حاشيتها وعندما وصلت بالقرب من وجود أنطونيو وعلم بوجودها دعاها للعشاء معه، ولكنها أخبرت الرسول الذى جاء من قبل أنطونيو أنها هى التى تدعوه إلى العشاء فى سفينتها.. وقبل أنطونيو الدعوة.

وعندما دخل السفينة هاله ما فيها من ترف وفخامة، وهاله أكثر وأكثر كليوباترا نفسها.. فى جمالها.. وبساطة حديثها، ورقة صوتها، وجاذبيتها التى لا تقاوم.

وعندما دعته الى مائدة العشاء هاله الطعام وألوان الشراب المقدم له على ضوء آلاف الشموع.

وشعر أنطونيو بجاذبية كليوباترا وعلق قلبه بها، كما شعرت كليوباترا أن مصيرها قد ارتبط بهذا القائد الرومانى الشهير. وبعد هذه المقابلة لم يعد يفترق عنها، ولم تعد تفترق عنه!

لقد كان حبها لأنطونيو هو الحب الحقيقى، وكان حبها لقيصر لأسباب المصلحة.

واحتدم النزاع بين أنطونيو وأكتافيوس.. كان أكتافيوس قد استولى على الجزء الغربى من الإمبراطورية الرومانية، بينما كان الجزء الشرقى من نصيب أنطونيو. وكان كل منهما يريد أن يستأثر بالإمبراطورية ويصبح سيد العالم.

وهاهى كليوباترا قد انحازت لأنطونيو، بل لقد أصبح حبها الذى ملأ عليها جوانب حياتها، ولم تعد تستغنى عنه، وكذلك أصبحت هى كل الدنيا لأنطونيو.

وكان لابد أن يحدث الصراع والصدام بين العدوين اللدودين، خاصة أن أنطونيو قد هجر زوجته وهى أخت أكتافيوس فى سبيل كليوباترا.

مهما يكن من شىء وبعيدا عن خيال الأدباء والشعراء، فإن التاريخ يقول لنا إن أنطونيو قد هام بها حبا، وأنها هى الأخرى وقعت فى حبه، وأن هذا الحب هو الذى رسم النهاية المأساوية لحياتهما.

فأنطونيو الذى أولع بها لم يفارقها عشر سنوات إلا مرة واحدة عندما ذهب فى حملة عسكرية فى إحدى الجهات فى آسيا مما أفقده الكثير.. فقد تخلى عن طموحاته فى تكوين إمبراطورية ضخمة أو على الأقل يمكنه أن يتغلب على خصمه اللدود أكتافيوس، ولكنه اكتفى أن يعيش بين أحضان كليوباترا.

ويقول بعض المؤرخين إن كليوباترا بجانب حبها لأنطونيو، إلا أنها كانت تطمع فى أن تكون سيدة العالم عن طريق سيطرتها على الإمبراطورية الرومانية، بل

هى التى حرضت أنطونيو على أن يتحرش بأكتافيوس حتى يمكنها أن تسيطر على ممتلكاته الرومانية، وبذلك تصبح سيدة العالم كما كان يحلم يوليوس قيصر. وكان لابد من الصدام بين القائدين الكبيرين.. وحدث هذا الصدام.

وعلم أنطونيو بأن أسطولا هائلا لأكتافيوس يتجه صوب المياه المصرية، وكان على أنطونيو أن يقابل هذا الأسطول، وأن يشتبك معه فى معركة فاصلة.. وخرج بأسطوله هو الآخر ومعه كليوباترا والتقى الأسطولان واحتدم القتال بينهما، وأظهر أنطونيو شجاعة منقطعة النظير فى القتال.

ولاحظت كليوباترا أن الغلبة سوف تكون لأكتافيوس، فانسحبت بأسطولها عائدة إلى الإسكندرية.

وكاد أنطونيو أن يجن من تصرف كليوباترا، وبدلا من أن يواصل القتال حتى يحرز النصر النهائى أو يموت كقائد شجاع فى المعركة، فر هو الآخر من ميدان القتال فى إثر كليوباترا.

وكان من الطبيعى أن ينهزم جيش أنطونيو بعد أن ترك القائد ساحة المعركة وفر إلى الاسكندرية متعقبا خطى حبيبته .. و تحطم أسطول أنطونيو فى هذه المعركة الحاسمة معركة أكتيوم!

رجع أنطونيو إلى الإسكندرية يبحث عن كليوباترا فلم يعثر لها على أثر.. كانت كليوباترا قد أشاعت فى الإسكندرية أنها انتحرت!

وسمع أنطونيو أن كليوباترا قد انتحرت وغادرت الحياة، فقرر هو الآخر أن يضع نهاية لحياته بأن غرس السيف فى بطنه ومات.

وبدأت جحافل جيش أكتافيوس تدخل إلى الإسكندرية تبحث عن أنطونيو، ولما علم أكتافيوس أن غريمه قد انتحر، وضع السيف فى جرابه.. لقد انتهت الحرب!

وجاء إلى كليوباترا من يخبرها بهذه الأحداث، وشعرت بالحزن والأسى يعتصرها من الأعماق.

لقد زال ملكها.. وزال مجدها.. بل إنها سوف تصبح أسيرة تساق بين الأسرى فى شوارع روما.. وآثرت الانسحاب من الحياة هى الأخرى، وقررت الانتحار عن طريق لدغة ثعبان.

وانتهت حياة هذه الملكة الجميلة التى ملأت الدنيا وشغلت الناس، وبقيت حكايتها منبع إلهام للأدباء والشعراء والذين يحبون حديث العشق والعشاق.

٢

زنوبيا ملكة تدمر..

الموت خيرٌ من حياة الذل !!



زنوبيا أحد أعظم ملكات التاريخ ، إن لم تكن الأعظم ، من إنشاء حضارة عظيمة فى مملكة تدمر ، خاف أورليانوس إمبراطور الرومان من ضياع نفوذ روما فى الشرق القديم ، فجهز جيشه نحو تدمر لمحاصرتها .

وبعد حرب شرسة ونفاد المؤن من مملكة تدمر المحاصرة ، عرض أورليانوس على زنوبيا التسليم وخروجها سالمة من المدينة دون أن تمس بأذى إلا أنها رفضت.

وحاولت زنوبيا الهروب ووصلت نهر الفرات غير أنها وقعت فى الأسر واقتيدت إلى أورليانوس فأحسن معاملتها عام ٢٧٢ ثم اقتادها أسيرة إلى روما ولم يقتلها بل قتل بعض كبار قادتها ومستشاريها بعد محاكمة أجريت لهم فى حمص. ووضعت زنوبيا فى منزل فى « تيبور » أعده لها أورليانوس فآثرت تجرع السم والانتحار .

لقد كانت زنوبيا العظيمة واحدة من الشخصيات العبقرية والفذة التى يندر وجودها فى التاريخ ، وقد كانت مؤهلة لذلك ، كانت مؤهلة فى ذاتها وشخصها ، وكانت مؤهلة فى البيئة التى نشأت فيها ، واكتمل كل ذلك لها بالزواج والتدرب بل التمرس فى شؤون الحكم ومسؤولياته. وتبدو زنوبيا كأنها واحدة من الأساطير.

كانت عربية الأصل، ذات شخصية قوية، تتحلى بتربية عالية ، تجيد اليونانية والآرامية، وتتكلم بهما بمثل الطلاقة التى تتكلم بها العربية ، ولم تكن تجهل اللاتينية، ولها اطلاع على تاريخ الغرب بالإضافة إلى كونها قد دونت لنفسها خلاصة لتاريخ الشرق، مما يدل على سعة اطلاعها .فهى امرأة ليست كالنساء ، عاشت عظيمة وتوارت عظيمة أيضاً، إنها نموذج رائع للبشر يستحق منا الدراسة والبحث.

هى الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع السميدعية المشهورة فى العصر الجاهلى ، صاحبة تدمر وملكة الشام والجزيرة . يسميها الإفرنج زنوبيا، وأمها يونانية من ذرية كليوباترا ملكة مصر.

وكانت غزيرة المعارف ، بديعة الجمال ، مولعة بالصيد والقنص ، تحسن أكثر اللغات الشائعة فى عصرها، وكتبت تاريخاً للشرق.

زنوبيا ملكة جليلة ذات رأى وحكمة وعقل وسياسة ودقة نظر وفروسية وشدة بأس وجمال فائق.كانت سمراء اللون قوية اللحظ وكانت الهيبة والجمال والعظمة تلوح على وجهها وكانت أسنانها بيضاء كاللؤلؤ وصوتها قوياً وجهوراً، وجسمها صحيحاً سالماً ، وكانت الابتسامات لا تفارقها، فعاشت بعظمة ملوكية مقلدة ملوك الأكاسرة فكانت تضع العمامة على رأسها وتلبس ثوباً أرجوانياً مرصعاً بالجواهر وكثيراً ما كانت تترك ذراعها مكشوفة. وتثقفت بالثقافة اليونانية وكانت تتكلم الآرامية والقبطية وبعض اللاتينية واليونانية ولها اطلاع واسع على تاريخ الشرق والغرب ، وكانت تقرأ هوميروس وأفلاطون وألفت تاريخاً عن مصر وآسيا.

كانت زنوبيا زوجة لأذينة سيد الشرق الرومانى الذى امتدت سلطته على سورية وما يليها ولقب ملك الملوك. فاستأثر أذينة بسورية وسائر آسيا الرومانية ، وكان كثيراً ما يحارب الفرس ويردهم عن بلاده. وكان إذا خرج إلى الحرب أناب عنه فى حكومة تدمر امرأته زنوبيا، حتى قيل : إن ما وصل إليه أذينة من البراعة فى القيادة والدراية فى تعبئة الجيوش يرجع إليها.

ولما قتل أذينة (وتشير بعض أصابع الاتهام إليها فى مقتل زوجها) اعتلت أريكة الملك باسم ابنها وهب اللات، ثم أخذت تسعى لابنها بتثبيت عرشه وتقوية الدولة التدمرية. وبعد حين ساءت العلاقات بين الإمبراطور الرومانى والدولة التدمرية، فأرسل الإمبراطور بعض الكتائب الرومانية لإعادة بسط النفوذ الرومانى، ولكن زنوبيا حطمت هذه الكتائب وأولتها شر هزيمة.

واستفادت من الاضطرابات فى روما، فتوجهت إلى مصر تلك البلاد الغنية بالحبوب وفتحتها بكل اقتدار وبذلك عززت مكانة تدمر التجارية وجعلت علاقاتها التجارية تمتد إلى الحبشة وجزيرة العرب . ولم تقنع بمصر بل شرعت تغزو بلاداً وتفتح أوطاناً وتقهر جنوداً وتهزم جيوشاً حتى اتسعت مملكتها اتساعاً

عظيماً فامتدت حدودها من شواطئ البسفور حتى النيل وأطلقت عليها الإمبراطورية الشرقية.

انتقل الحكم فى روما إلى الإمبراطور أورليانوس الذى بادر حالا إلى التفاوض مع زنوبيا وأوقف زحف جيوشها مقابل هبات عظيمة لها واعترف بألقاب ابنها وامتيازاته وضربت النقود فى إنطاكية والإسكندرية فكانت صورة وهب اللات على وجهها الأول وعلى الوجه الثانى صورة أورليانوس.

وفى خطوة تالية عهدت بملك مصر إلى ولدها وأزالت من النقود صورة الإمبراطور ونادت بالاستقلال المطلق.

وما إن اطلع أورليانوس على عمل زنوبيا هذا إلا وصب عليها جام غضبه ووطّن نفسه على التنكيل بها وسحق الدولة التدمرية. عبأ جيشاً كبيرا وعلى رأسه القائد بروبوس وبعث به إلى مصر سنة ٢٧١م ، وتولى بنفسه جيشاً آخر توجه به إلى آسيا الصغرى على أن يلتقى الجيشان فى تدمر . بدأت الخطة تلاقى النجاح ، حيث احتل بروبوس مصر بدون أن يلقى مقاومة كبيرة ، أما أورليانوس فوصل أنطاكية واستطاع أن يقهر القوات التدمرية فى معركة كبرى دامية مما اضطرها إلى الانسحاب إلى تدمر .

تعقبهم أورليانوس نحو حمص متابعاً زنوبيا التى انسحبت إليها ، فأوقع بجيشها هزيمة أخرى ، شابهت ظروفها معركة أنطاكية ووصل تدمر وحاصرها حصاراً تاماً قضى على ما لدى التدمريين من المؤن ،وكانت قد أعدت كل ما تستطيع إعداده من وسائل الدفاع إذ وضعت على كل برج من أبراج السور اثنين أو ثلاثة من المجانيق تقذف المهاجمين بالحجارة، وتمطرهم بقذائف النفط الملتهبة، وصممت على المقاومة بشجاعة بطولية، معلنة أنه إذا كان لا بد لحكمها من النهاية فلتقترن هذه بنهاية حياتها.

عرض أورليانوس على زنوبيا التسليم لقاء شروط معتدلة: أن تنسحب انسحاباً كريماً ، وأن يحتفظ مواطنوها بامتيازاتهم القديمة . لكنها رفضت

شروطه بإباء وشمم، لا بل اقترن الرفض بالإهانة ، وبعد أن استبد بها اليأس ، حاولت زنوبيا الهروب ووصلت نهر الفرات إلا أنها وقعت فى الأسر .

كانت سيرة زنوبيا أقرب إلى سير الأبطال من سير النساء، فلم تكن تركب فى الأسفار غير الخيل، ولم تكن تحمل فى الهودج، وكانت تجالس قوادها وأعوانها وتباحثهم ، وإذا جادلتهم غلبتهم بقوة برهانها وفصاحة لسانها، وكثيراً ما ضم مجلسها رجالاً من أمم شتى وبينهم وفود من ملوك الفرس والأرمن ، وكانت عادلة فى رعاياها خصوصاً من العرب.

فى مجالسها الاعتيادية كانت تدخل معها ابنها وهب اللات معها وعليها أفخر اللباس وعلى كتفيها الشملة القصيرة الأرجوانية، وعلى رأسها التاج ، وأوكلت تدبير أمور قصورها إلى بعض شيوخ الخصيان ، أما إذا تجولت حفت بها الفتيات من بنات الأشراف..أما عند استعراض الجند فى الميادين فتمر أمام الصفوف فوق جوادها وعليها لباس الحرب وعلى رأسها الخوذة الرومانية مرصعة بالدر والجوهر، فإذا رآها الناس فى ذلك الموقف حسبوها إلهة من الآلهة العظام كما كان شائعاً فى الأساطير اليونانية والرومانية.

(٣)

عليسة..

انتحرت حماية لمملكتها !!



لم تر أمامها من خيار سوى الموت ، وفاءً لمن تحب ، وحماية للمملكة التى أسستها وأحبتها من الهلاك والدمار .

هذه هى علِّيسَة ابنة ملك صور ومؤسسة قرطاج وملكتها الأولى. اشتهرت بعد ذكرها فى الإنيادة التى كتبها فرجيل. وعرفت بدهائها الذى سمح لها بإنشاء وحكم دولة فينيقية فى شمال إفريقية عرفت بتجارتها الواسعة وسيطرتها على بحار المتوسط. كما أن تصاهرها مع البربر سكان شمال أفريقية أوجد الشعب البونيقى الذى استعمر سواحل المتوسط وأنجب هانيبال الذى هدد الرومان.

عرفت "عليسة" بعدة أسماء بحسب الحضارة التى تكلمت عنها. فى الإنيادة سميت "ديدو" وترجمت إلى العربية كـ "ديدون". وديدو ذات أصول فينيقية تعنى "الرحالة". كما سميت بـ"أليسا" التى يعتقد أنها كلمة فينيقية مشتقة من كلمة "إليشات". وعرفت بدمج الاسمين: "اليسار ديدون" أى "الرحالة ديدون". كما تسمى اليسار بالثقافة اللبنانية.

علِّيسَة هى ابنة ملك صور وأخت بيغماليون. (بيجماليون) وكانت زوجة خالها الذى هو الكاهن الصورى الأعظم المسمى عاشرباص أو ما عرف بزيكار بعل.

وكانت مع أخيها الأصغر خليفة بيغماليون فى الحكم. بعد وفاة والدها الملك، طمع أخوها بيغماليون بثروة عاشرباص الطائلة ورغب بالحكم مكان أخته. فدبر قتل الكاهن وحاول قتل أخته. إلا أنها غادرت مدينة صور بفينيقيا (لبنان حاليا) وأبحرت مع أوفيائها بعد أن أخذت كنوزها معها باتجاه إحدى المستوطنات الفينيقية طلباً للأمان.

وبعد رحلة بحرية طويلة، أرست السفن على ساحل شمال أفريقيا فى تونس الحالية. وقررت إنشاء مدينة سمتها قرطاج أو "قَرْتْ حَدَشْتْ" (أى القرية الحديثة) فى اللغة الفينيقية.

تقول الأسطورة الأولى التى كتبها المؤرخ جوستين إن عليسة فاوضت حاكم البلاد البربرى لمنحها أرضا تبنى عليها مدينتها غير أن الملك أبى أن يمنحها أكثر من مساحة جلد ثور فقبلت عليسة ذلك أمام دهشة مرافقيها، إلا أن الأميرة

كانت تضمر خطة ذكية ستمكنها من بلوغ غايتها و تأسيس واحدة من أشهر المدن عبر التاريخ: مدينة قرطاج. قامت عليسة بقص جلد الثور إلى أشرطة دقيقة طويلة أحاطت بها الهضبة التى تعرف حتى الآن بهضبة "بيرصا" وهى تعنى بلغة السكان الأصليين "جلد ثور".

و كانت تلك نقطة الانطلاق لبناء حضارة متطورة قائمة على الملاحة والتجارة بين شرق البحر الأبيض المتوسط وغربه.

وللاستفادة من تطور المدينة طلب ملك البربر الزواج من عليسة، ولما كانت الأميرة عازمة على البقاء وفية لذكرى زوجها وخوفا من أن يجلب رفضها دمارا للمدينة آثرت الانتحار محافظة بذلك فى الوقت نفسه على عهدها لزوجها وعلى المدينة التى أسستها.

(٤)

أدولف هتلر..

بيدى لا بيد أعدائى !!



ربما لم يهتز العالم بأسره وعلى مدى تاريخه لنبأ انتحار كما اهتز لنبأ انتحار الزعيم الألمانى النازى أدولف هتلر ، الذى مثلت لحظة انتحاره علامة فارقة فى التاريخ الحديث ، ولم لا وهو الرجل الذى أشعل حربا عالمية أزهقت أرواح ستة ملايين من البشر ، ناهيك عن حجم الدمار والخراب الذى خلفته فى معظم دول القارة الأوربية !!

اتخذ هتلر من قبو الفوهرر مقراً منذ ١٦ يناير ١٩٤٥ وكانت ألمانيا النازية تنهار سريعاً تحت ضربات الحلفاء الذين يتقدمون من الشرق والغرب.
وفى نهاية أبريل دخلت القوات السوفيتية برلين وكانت تشق طريقها إلى وسط المدينة حيث يوجد مقر المستشارية الألمانية.

وفى ٢٢ أبريل عانى هتلر انهياراً عصبياً خلال أحد الاجتماعات العسكرية لتقييم الحالة، وفى هذا الاجتماع أقر هتلر بأن الهزيمة قريبة وأن ألمانيا ستخسر الحرب. وصرح بأنه سينتحر وبعد ذلك سأل الدكتور فارنر هاسه عن طريقة جيدة للانتحار ، فاقترح هاسه تناول السيانيد ثم إطلاق النار على الرأس.

وفى يوم ٣٠ أبريل سنة ١٩٤٥ ، وفى لحظة انهيار كامل ، لحظة فاصلة ما بين زهوة النصر وبشاعة الهزيمة ، قام هتلر بالانتحار بتناول السيانيد وإطلاق النار على نفسه .

وكان هتلر قد حصل على كمية من كبسولات السيانيد عن طريق وحدات النخبة النازية.

وفى هذه الأثناء فى ٢٨ أبريل، علم هتلر أن هاينريش هيملر يحاول التفاوض بدون علمه على اتفاقية سلام مع الحلفاء.

واعتبر هتلر ذلك خيانة وبدأ يظهر علامات فرط الارتياب، فأظهر شكوكه فى فاعلية كبسولات السيانيد التى استلمها من وحدات النخبة النازية التى يترأسها هيملر.

وعندما علم بأن حليفه الإيطالى موسولينى قد أعدم قرر بألا يشاركه مصيره. وللتأكد من فاعلية كبسولات السيانيد أمر الدكتور هاسه بتجربتها على كلبه بلوندى ومات الكلب مثبتاً فاعلية الكبسولات.

وبعد منتصف ليل يوم ٢٩ أبريل، تزوج هتلر من إيفا براون فى حفل صغير فى غرفة الخرائط داخل قبو الفوهرر. وبعد أن تناول إفطاراً خفيفاً مع زوجته الجديدة ذهب إلى غرفة أخرى مع سكرتيرته تراودل يونغه وكتب وصيته الأخيرة. ثم وقع على وصيته فى الرابعة صباحاً ثم رجع لغرفة نومه (بعض المصادر تقول إن هتلر كتب وصيته قبل الزواج مباشرة، ولكن كل المصادر تتفق على وقت توقيعه الرابعة صباحاً).

وعاش هتلر وإيفا فى القبو كزوجين لأقل من ٤٠ ساعة فقط. وفى صباح ٣٠ أبريل، كان السوفيت على بعد ٥٠٠ متر من القبو، قابل هتلر اللواء هيلموت فايدلينغ قائد منطقة برلين الدفاعية الذى أخبر هتلر أن حامية برلين ستنفد ذخيرتها هذه الليلة. وطلب فايدلينغ من هتلر السماح له بالهرب، وقد طلب فايدلينغ من هتلر من قبل السماح له ولكن هتلر رفض، ولم يرد عليه هتلر ثم ذهب فايدلينغ إلى مقر القيادة فى مبنى البندلربلوك حيث جاءه رد هتلر الساعة الواحدة ظهراً بالسماح له بالهرب هذه الليلة.

وتناول هتلر عشاء خفيفاً من مكرونة إسباجيتى بالصلصة مع اثنين من سكرتيراته والطباخ ثم لف هتلر وزوجته إيفا على سكان القبو وتمنيا لهم حظاً سعيداً وكان من ضمن سكان القبو عائلة جوزيف جوبلز، بورمان، السكرتيرات والعديد من ضباط الجيش. وفى حوالى الساعة الثانية والنصف ظهراً دخل الزوجان حجرة مكتب هتلر الشخصية.

وقال بعض الشهود بأنهم سمعوا صوت طلقة مسدس حوالى الساعة الثالثة والنصف عصراً (وقيل إن الابن الأصغر لغوبلز قال "أُصيب الهدف!" أو "إصابة مباشرة!" معتقداً أنها قنبلة سقطت على رؤوسهم).



هتلر وإيفا قبل الهزيمة والانتحار معا !!

وبعد دقائق قليلة، فتح خادم هتلر هاينز لينغه ومعه بورمان باب الغرفة الصغيرة. وقد قال لينغه بعد ذلك إنه شم رائحة لوز محترق التى تميز حمض البروسيك، وهى الصورة الغازية للسيانيد. وكان الزوجان جالسين على أريكة صغيرة، إيفا على اليسار وهتلر على يمينها. وكان جسد إيفا مائلاً بعيداً عن هتلر. وكان واضحاً أن هتلر قد أطلق النار على الجانب الأيمن من رأسه (وكان هناك جرحاً ناتجًا من خروج الرصاصة من يسار رأسه مائلاً ناحية الأعلى) وكان يوجد مسدس فالتر عيار ٧,٦٥ مل تحت قدميه. وكانت الدماء تسيل من جانب رأسه وذقنه وصبغت الدماء الذراع اليمنى للأريكة وكانت تتساقط على سجادة أرضية الغرفة. ولم يكن لدى إيفا أى جروح ورجح لينغه أنها سممت نفسها.

وقال العديد من الشهود إن الجثتين حملتا إلى خارج القبو على الدور الأرضى فوق الأرض عبر مخرج الطوارئ إلى حديقة صغيرة تم قصفها وراء مقر المستشارية حيث تم رشهما بالنفط وحرقهما بواسطة لينغه وعناصر الحرس

الخاص بهتلر. ولكن لم تحترق الجثتان تماماً عندما باغت القصف السوفيتى على القبو لينغه وحرس هتلر مما جعل محاولتهم لحرق الجثة مرة أخرى مستحيلة وتم تغطية بقايا الجثتين داخل فجوة ضحلة فى الساعة السادسة مساء.

وقد قام الصحفى السوفيتى ليف بيزمينسكى بنشر تقرير تشريح جثتى هتلر وإيفا عام ١٩٦٩ وعلى الرغم من نشر هذا التقرير فى الغرب، إلا أن المؤرخين الغربيين لم يصدقوه لأنهم اعتبروه محاولة سوفيتية لدس معلومات مغلوطة.

ولكن فى عام ١٩٩٣ نشرت الكى جى بى التقرير علانية ومعه العديد من شهادات أعضاء المخابرات السوفيتية. ومن هذه الوثائق السوفيتية، توصل المؤرخون إلى اتفاق على ما حدث لجثتى هتلر وإيفا.

بدأ جنود الجيش الأحمر اقتحام مقر المستشارية حوالى الساعة الحادية عشرة مساء، بعد حوالى سبع ساعات ونصف الساعة من موت هتلر. وفى يوم ٢ مايو، اكتشف إيفان تشوراكوف من الفيلق التاسع والسبعين بقايا جثث هتلر، إيفا وكلبين (يُعتقد أنهما لبلوندى وجروها الصغير وولف) فى حفرة قذيفة. وكان يُصاحب هذا الفيلق وحدة من المخابرات المضادة لديهم أوامر بالبحث عن جثة هتلر.

وفى تقرير التشريح كتب أنه يوجد تدمير فى جمجمة هتلر ناتج عن رصاصة بالإضافة إلى قطع من الزجاج فى ذقنه، وقد تم دفن وإخراج بقايا الجثتين عدة مرات بواسطة وحدة المخابرات المضادة خلال انتقال الوحدة من برلين إلى منشأة جديدة فى ماغديبورغ حيث تم دفنهما نهائياً (ومعهما البقايا المتفحمة لوزير الدعاية غوبلز وزوجته ماغدا وأطفاله الستة) فى قبر بدون شاهد فى القسم الممهد من الفناء الرئيسى للمنشأة وظل مكان الجثث فى طى الكتمان.



صورة نادرة لهتلر عقب انتحاره .

وبحلول عام ١٩٧٠، اتفق على تسليم منشأة المخابرات المضادة إلى حكومة ألمانيا الشرقية. وخوفاً من تحول مقبرة هتلر إلى مزار للنازيين الجدد، أمر مدير الكى جى بى يورى أندروبوف بتنفيذ عملية خاصة لتدمير بقايا الجثث. وفى ٤ إبريل عام ١٩٧٠ قام فريق من الكى جى بى (مزودين بخرائط مفصلة عن موقع الدفن) بإخراج الجثث سراً وتم إحراقها تماماً قبل أن يرموا رمادها فى نهر "إلبه".

وكشفت صحيفة ألمانية فى شهر مايو عام ٢٠٠٥ عن أنها اقتفت أثر ناحية من الملجأ الذى كان يحتمى به أدولف هتلر فى برلين أيام الحرب.

وتحكى "صحيفة برلين" قصة إيرنا فليجل، ٩٣ سنة، التى تدور أحداثها فى الأيام الأخيرة من الحرب العالمية الثانية تحت عنوان "كنت ممرضة هتلر".

وتقول السيدة فليجل إنها بقيت فى الملجأ بعدما انتحر هتلر، وأنها كانت هناك لما جاء الجنود السوفيت.

وقالت إن هتلر كان فى حالة من البارانويا لدرجة أنه شك فى كون جواسيس استبدلوا قرص سم السيانيد الذى يعتمد عليه فى موت سريع بسم زائف.

وقالت المرضة لصحيفة برلين إن عملها كان يتمثل فى تقديم العلاج لهتلر ومقربيه من يناير ١٩٤٣ إلى نهاية الحرب.

ولم تقص فليجل حكايتها إلا للمخابرات الأمريكية التى استجوبتها سنة ١٩٤٥، ولزمت الصمت ما عدا ذلك خلال ٦٠ عاما.

لكنها الآن مصممة "ألا تأخذ سرها معها إلى قبرها".

ولا تتعارض قصة الممرضة مع ما كان معروفا إلى الآن، لكنها تضيف تفاصيل جديدة.

وتقول عن هتلر: "لما اقترب من النهاية، لم يعد يضع ثقته بأحد، لم يثق حتى بقرص السيانيد الذى ابتلعه".

وتتذكر الممرضة محاولتها إنقاذ الأطفال الستة لجوزيف جوبلز، المشرف على دعاية هتلر السياسية، لكن زوجته ماغدا سممتهم جميعا "دون رحمة".

"وبعد انتحار هتلر، أخذ جوبلز منصبه كزعيم، لكن أحدا لم ينتبه إليه. وقد أتباعه واحدا واحدا، ومن لم ينتحر منهم حاول الفرار."

وقالت إنها اضطرت للبقاء للعناية بالجرحى.

وقد وصفت فليجل للصحيفة الجو فى الملجأ بينما كانت أصوات القوات السوفيتية تقترب، فقالت "كنا نحس بنهاية الرايخ الثالث. وحتى أجهزة الراديو توقفت عن العمل، فلم نكن نستقبل أية معلومات".

وأضافت أن الجنود السوفيت تصرفوا باحترام ونصحوها بإغلاق بابها، فبقيت عدة أيام وكانت من آخر من غادر الملجأ.

وكانت قد وقعت عدة أحداث مهمة على الصعيدين العالمى والداخلى فى ألمانيا، مهّدت لظهور شخصية هتلر على ساحة الأحداث، فلقد كان هتلر مجرد

جندى صغير فى الجيش الألمانى الذى دخل الحرب العالمية الأولى، ولاقى هزيمة قاسية، أجبرت الألمان على توقيع معاهدة «فرساى» المهينة والتى خسرت فيها ألمانيا الكثير من أراضيها واقتصادها وأيضًا شعبها وذلك سنة ١٣٣٨هـ - ١٩١٩م، وشعر الألمان بمذلة كبيرة، بعد تسريحه من الجيش بدأ هتلر فى تكوين الحزب النازى الذى يدعو لتكوين دولة كبرى تضم كل الألمان الموجودين فى أوروبا خاصة فى النمسا وتشيكوسلوفاكيا، وذلك بناء على تفوق الجنس الآرى أى الألمانى، مع طرد اليهود والأجانب من هذه الدولة.

صعد نجم هتلر بعد الركود العالمى الذى أصاب العالم بأسره سنة ١٣٥٠هـ - ١٩٢٩م والذى تضررت منه ألمانيا بشدة وأصبح نصف الشعب الألمانى عاطلاً، وقامت المظاهرات العارمة بالبلاد، واتجهت الأنظار إلى الحزب النازى وزعيمه هتلر، وانضم كثير من الشعب الألمانى لهذا الحزب، ونجح الحزب فى انتخابات الرايخستاج وأصبح هتلر سنة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٤م، مستشار ألمانيا، وبدأ يعمل على تحقيق هدفه فى استعادة ما فقدته ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى وتكوين دولة ألمانيا الكبرى.

عمل هتلر على تقوية الجانب العسكرى لألمانيا حتى أصبح الجيش الألمانى أقوى الجيوش الأوروبية، ثم بدأ ينفذ خطته تدريجيًا فأخذ منطقة السوديت من تشيكوسلوفاكيا وسكانها كلهم ألمان، ثم احتل بولندا سنة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م، معلنًا بداية الحرب العالمية الثانية، واستطاع الجيش الألمانى أن يكتسح عدة دول أوروبية بمنتهى السرعة والقوة وخاصة فرنسا التى كان يتوق الألمان عمومًا وهتلر خصوصًا للانتقام منها بسبب معاهدة فرساى، وشكل هتلر محورًا مع إيطاليا واليابان وواصل اكتساحه لأوروبا حتى كاد أن يحتل إنجلترا نفسها، ولكنه ارتكب غلطة عسكرية كبيرة عندما قرر أن يتحول من الهجوم غربيًا إلى الهجوم شرقًا، وهجم على روسيا، وكرر نفس غلطة نابليون وترك ظهره مكشوفًا لإنجلترا وذلك سنة ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م، وانقلب الحال من قوة واكتساح للألمان إلى هزيمة فى روسيا وفى العلمين وتونس بالشمال الإفريقى، وأنزل الحلفاء قواتهم فى نورماندى سنة ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م، وتم محاصرة ألمانيا وضربها بالطائرات حتى

تهدمت مدينة برلين ووافق الألمان على التسليم، ولم يحتمل هتلر ذلك فانتحر هو وعشيقته إيفا براون بالسم فى ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤هـ - ٣٠ أبريل ١٩٤٥م، وهو لم يبلغ الخمسين من العمر.

كان هتلر صاحب شخصية آسرة، مفوهًا، خطيبًا بارعًا، صاحب فكر وعزيمة، ولكنه كان متهورًا متعصبًا لآريته ونصرانيته لذلك جعل شعار حزبه الصليب المعقوف.



EXTRA THE STARS AND STRIPES EXTRA

HITLER DEAD

Fuehrer Fell at CP, German Radio Says; Doenitz at Helm, Vows War Will Continue

غلاف مجلة الجيش الأمريكى ستارز آند ستراييس ، ٢ مايو سنة ١٩٤٥.

(٥)

جوزيف جوبلز..

انتحر الأصل فانتحر الظل !!



كانت لجوبلز شهرة عالمية فى مجال الدعاية والإعلام وهو صاحب مدرسة فى هذا المجال يهتم بها الدارسون فقد كان بارعاً أشد البراعة فى تجميل زعامة هتلر وإخفاء الحقائق المؤلمة وتقديمها فى صورة براقة تخفى الحقيقة وتعطيها ألوانًا من الزينة الخادعة بحيث يظن الناس أن ما يقدمه جوبلز هو الصواب الذى لا يأتيه باطل .

وقد لعب جوبلز دوره الإعلامى الجبار بصورة تدل على ذكاء إعلامى كبير ومهارة غير عادية وولاء غير محدود لزعيمه هتلر ونظامه النازى الذى أسسه ويقف على قمته وعلى الرغم من اعتبار الباحثين أن إعلام جوبلز مثال حى وصارخ للإعلام القائم على الأكاذيب فإن هؤلاء الباحثين وكلهم من أعداء جوبلز وهتلر لم ينكروا على جوبلز ذكاءه وقدرته الإعلامية الفذة .

لكننا نريد أن نتوقف على لحظة النهاية فى حياة جوبلز فهى اللحظة التى شهدت مأساة مقتل أبناء جوبلز الستة تحت إشراف زوجته الجميلة الرشيقة والذكية والتى هى فى ذات الوقت أم هؤلاء الأبناء !!

كان الجيش السوفيتى قد دخل مدينة برلين عاصمة ألمانيا النازية فى أواخر إبريل سنة ١٩٤٥ وعندما أصبح الجنود السوفيت على بعد أمتار قليلة من الملجأ الكبير الحصين الذى كان يقيم فيه هتلر وتأكد هتلر من أن الهزيمة النهائية قد حلت به وبنظامه النازى وأنه أصبح عرضة لأن يمسك به الجنود السوفيت بعد ساعات قليلة اتخذ قراره بالانتحار مع زوجته (إيفا براون) وانتحر بالفعل مع زوجته فى ٣٠ إبريل سنة ١٩٤٥ وكان انتحاره بإطلاق رصاصة من مسدسه على رأسه وانتحار زوجته بالسم وتم إحراق جثة هتلر وزوجته حسب وصيته لمساعديه الذين يقيمون فى نفس الملجأ .

كان جوبلز وزوجته وأطفالهما الستة يقيمون مع هتلر فى ملجئه الضخم الفاخر فى برلين وعندما قرر هتلر الانتحار وأبلغ قراره للمحيطين به وعلى رأسهم (جوبلز) قام جوبلز بكتابة رساله أثبت فيها أنه قرر الانتحار مع زوجته

وقتل أطفاله الستة وقد وصلت هذه الرسالة كاملة إلى أيدى من اقتحموا الملجأ بعد ذلك بأيام وهذا هو نص الرسالة .

لقد أمرنى الفوهرر (أى هتلر) بمغادرة برلين حتى ألعب دوراً كعضو بارز فى الحكومة الجديدة التى اختارها وإنى لأول مرة أجد نفسى مضطراً لعصيان أوامر الفوهرر عصياناً تاماً . وتشترك معى زوجتى كما يشترك أطفالى فى هذا العصيان ،وبالإضافة إلى الحقيقة الواقعة وهى أن مشاعر الإنسانية والولاء الشخصى تمنعنا من التخلى عن الفوهرر فى هذه الساعة من المحنة الشديدة فإنى أرى أنى سأظهر فيما تبقى من حياتى فى صورة الخائن الذى لا شرف له والوغد الرخيص فأفقد احترامى لنفسى كما أفقد احترام الآخرين وفى هذه الأيام الحرجة وفى هذا الكابوس من الخيانات التى تلف الفوهرر يجب أن يكون هناك واحد على الأقل يبقى إلى جانبه حتى الموت دون شرط أو قيد وسوف تكون الأمثلة فى الأيام القادمة أكثر أهمية من الأشخاص ولهذا السبب فإنى مع زوجتى وبالنيابة عن أطفالى الستة وهم أصغر سنا من أن يستطيعوا التعبير عن أنفسهم وثقة منى أنهم لو كانوا أكبر سناً لوافقوا دون تحفظ على قرارى أعلن تصميمى على ألا أترك برلين حتى لو سقطت وأن أظل إلى جانب الفوهرر لأنهى حياتى التى لا قيمة لها إذ لم أستطع أن أقضيها فى خدمة الفوهرر وإلى جانبه .

وفى مساء يوم أول مايو سنة ١٩٤٥ كان هتلر قد انتحر فى اليوم السابق مع زوجته إيفا وتم إحراق جثمانهما إحراقا كاملاً قرر(جوبلز) وزوجته تنفيذ قرارهما بالانتحار وكان لابد أن يسبق ذلك تنفيذ قرارهما بقتل أطفالهما الستة وهم بالترتيب " هيلا ١٢ سنة " - " هيلدا ١١ سنة " - هيلموت ٩ سنوات "- " هولد ٧ سنوات " - " هيرا سبع سنوات " -" هايد ٣ سنوات" ومع ملاحظة أن أسماء الاطفال جميعا تبدأ بحرف " الهاء" تيمناً (بهتلر) مما يدل على مدى تعلقهما به ولاشك أنهما كان يتصوران أن أيام العز والنفوذ والسلطة وهتلر

لايمكن أن تتعرض للهزيمة ولكن هاهى الدائرة تدور على هتلر وها هو جوبلز وزوجته وأطفالهما يجدون أنفسهم جميعا فى ملجأ هتلر ويتعرض هذا الملجأ لضربات المدافع المستمرة من الجيش السوفيتى الزاحف وأصبح (جوبلز) وزوجته وأطفالهما أمام اللحظة الحاسمة فإما أن يقعوا فى أيدى الجيش السوفيتى أو يتخلصوا من حياتهم .

كانت المهمة صعبة أمام الأم كيف يتم قتل الصغار قبل انتحارها مع زوجها وتلك هى اللحظة التى قالت فيها لإحدى صديقاتها من العاملات : ساعدينى إذا أصابنى ضعف عند قتل الأطفال .

ويقول المؤرخ (وليم شيرر) فى وصف هذه اللحظة الدقيقة : إن السيدة جوبلز الجميلة كانت سيدة قوية العزيمة وكانت ترى أن من السهل عليها أن تموت مع زوجها ولكن فكرة قتل أطفالهما الذين كانوا يلعبون بمرح فرحين فى الملجأ هى التى أفقدت هذه الأم أعصابها .

وكان لابد من تنفيذ هذا القرار ولابد أن تشرف الأم بنفسها على قتل أطفالها وجاءت الأم بالأطفال وأوقفتهم عن اللعب وقام أحد الأطباء الموجودين بالملجأ بإعطائهم إبرا سامة هى نفس الإبر التى قام بإعطائها لكلاب هتلر قبل ذلك بيوم واحد إذ إن هتلر كانت لديه كلاب عزيزة عليه جدا وقد حرص هتلر على تسميم هذه الكلاب قبل انتحاره بقليل حرصاً منه على ألا تعيش كلابه المدللة فى ألمانيا المهزومة وقد كانت هذه الكلاب تعيش فى ألمانيا النازية أفضل مما يعيش جميع البشر فى أى مكان . ومات الأطفال الستة مسمومين بنفس السم الذى قتل كلاب هتلر وتم ذلك أمام أعين الأم والأب !

وبعد ذلك أصبح من السهل أن تموت هذه الأم (السيدة جوبلز) وزوجها . وكما يروى المؤرخ وليم شيرر " كانت الساعة الثامنة من مساء الأول من مايو سنة ١٩٤٥ وخرج الدكتور جوبلز وزوجته من غرفتهما فودعا كل من لقياه فى الممر ثم اتجها الى الحديقة القائمة فوق الملجأ وهناك تولى أحد الجنود من الحرس

النازى بطلب منهما إطلاق النار على مؤخرة الرأس وصبت على الجثتين أربع صفائح بنزين ثم أُشعلت فيهما النار مع أطفالهما الستة !

وكان أقسى ما فيها هو قتل الأطفال الستة بالسم أمام عينى الأب والأم وبعدها هانت الحياة وأصبح موت الأب والأم بالنسبة لهما امراً سهلا وضروريًا لا رجعة فيه وأصبح موتهما شيئاً تافهاً ولعلهما قد ماتا فعلياً وهما يشاهدان أطفالهما الستة يموتون بالإبر المسمومة دون أن يعرف هؤلاء الأطفال الأبرياء الذين كانوا يلعبون ويمرحون ماذا يحدث لهم ولماذا حدث هذا كله .

(٦)

الرئيس "روه مو هيون"..

انتحر بالقفز من فوق الجبل !!



فى يوم السبت الثالث والعشرين من شهر مايو عام ٢٠٠٥ ، أقدم الرئيس الكورى الجنوبى السابق روه مو هيون على خطوة مثيرة وحاسمة تمثلت فى قفزه من فوق جبل بونجهوا قرب منزله ، مما أدى ذلك إلى نقله على الفور إلى المستشفى فى مدينة " بوسان " بجنوب البلاد حيث فارق الحياة بسبب إصابته المباشرة برأسه .

لم يأت هذا الحدث ، الذى وصفه ميونج باك الرئيس الكورى الجنوبى - آنذاك - فى بيان صدر عن قصر الرئاسة : "بأنه لا يصدق بحق وأمر مؤسف ومحزن للغاية" .. فالرئيس السابق روه مو هيون كان ملاحقا قبل انتحاره بقضايا فساد ارتبطت بالفترة التى أمضاها فى أيام حكمه، ونقلت وسائل الإعلام المحلية عن رسالة تركها روه يؤكد فيها نيته على الانتحار ومطالبا بحرق جثمانه ، قائلا : " بقائى على قيد الحياة سيكون عبئا !!

كان من الممكن أن يغادر الرئيس كيم داى جونغ الذى لم يستطع بحكم مواد الدستور الترشح لفترة رئاسية ثانية، مقره مرفوع الرأس يسنده تاريخ سياسى ونضالى ناصع وموهبة قيادية فذة ، الأمر الذى تجسد فى نجاحه فى إعادة العافية سريعا إلى الاقتصاد الكورى الجنوبى بعد الهزة النقدية الآسيوية فى عام ١٩٩٧ ، وجرأة غير مسبوقة فى طرح المبادرات ، مثل مبادرة ذهابه إلى عاصمة الشطر الشمالى فى عام ٢٠٠٠ لعقد أول قمة بين الكوريتين منذ تشطيرهما) لولا تورط نجليه فى فضائح مالية وأعمال عدت من قبيل استغلال النفوذ .

لكن عزاء الرئيس داى جونغ وهو يغادر منصبه تمثل فى انتقال السلطة منه إلى روه مو هيون كرئيس جديد ينتمى إلى حزب هو مؤسسه ورئيسه، ونعنى بذلك حزب الألفية الديمقراطى، مما كان يعنى ضمنيا فشل المعارضة فى النيل منه على خلفية قضية الفساد المثارة ضد نجليه.

والمفارقة هى أن الرئيس روه مو هيون لئن كان مثل سلفه لجهة النضال الطويل من أجل الديمقراطية ودفاعه المحموم عن حقوق الإنسان فى كوريا الجنوبية، ولجهة تعرضه للمطاردة والاعتقال والدسائس على يد الديكتاتورية العسكرية قبل عام ١٩٨٧، فإنه من زوايا أخرى عدة بدا كما لو كان نقيضا له قبل أن نصل إلى مرحلة ما بعد خروجه من القصر الرئاسى والتى تشابهت مع ملامح

مرحلة خروج روه مو هيون لجهة اتهامه بالتورط مع زوجته فى فضيحة رشاوى بمبلغ ستة ملايين دولار أمريكى تلقتها الأخيرة من صاحب مؤسسة كورية جنوبية عاملة فى إنتاج وتصدير الأحذية يدعى " بارك يوونغ تشا "، رغم إصرار الرئيس روه على نفى تورطه فى هذه العملية أو علمه بهذا إلا بعد عام من خروجه من البيت الأزرق.

وأول ما يمكن الإشارة إليه فى سياق الاختلاف ما بين روه مو هيون المولود فى قرية كيمهاى بالقرب من بوسان (ثانية كبرى مدن كوريا الجنوبية) فى عام ١٩٤٦ وسلفه الليبرالى الحائز على جائزة نوبل للسلام، هو أنه لم تتح للأول ما أتيح للثانى من ثقافة واسعة وشهادات أكاديمية عالية واطلاع ميدانى على العالم الخارجى. فبسبب من انتماء روه مو هيون إلى عائلة فقيرة تعمل فى زراعة الخوخ وتربية الدجاج لم يجد الرجل من يساعده على إكمال دراسته العالية فى أعقاب تخرجه من مدرسة بوسان التجارية الثانوية فى عام ١٩٦٦.

وهكذا اضطر إلى مزاولة أعمال مختلفة بأجور زهيدة فى النهار والانكباب على تعليم نفسه بنفسه أثناء الليل.

وبعد رحلة معاناة وشقاء، تمكن فى عام ١٩٧٥ فقط من اجتياز امتحانات رسمية صارمة منح بعدها شهادة فى القانون خولته العمل كمحام. وعلى الفور ارتبط من خلال مكتب المحاماة الذى أسسه فى بوسان بقضايا التعذيب والفصل التعسفى والمطاردة والاعتقال التى كان أبطالها عمالاً وطلبة راديكاليين متهمين من قبل السلطة الديكتاتورية العسكرية بتقويض الأمن القومى أو التعاطف مع نظام كوريا الشمالية.

وسرعان ما ذاع صيته فى أصقاع كوريا الجنوبية، لا سيما بعد دفاعه عن المتظاهرين فى بوسان فى عام ١٩٨٢ إلا أن هذه الشهرة كانت وراء اعتقاله فى عام ١٩٨٧ بتهمة تحدى نظام الرئيس " تشون دو هوان" والتحريض ضده، وكانت أيضا وراء إلغاء الترخيص الممنوح له للعمل فى سلك المحاماة بحجة تأييد العمال المضربين فى أحواض بناء السفن الكورية.

وطبقا لأحد مدرسيه، كان الطالب روه مو هيون أثناء سنوات دراسته متقد الذكاء، سريع البديهة، ومجتهدا فى جميع المواد، بل وملفتا للنظر وقت عرض أفكاره، لذا لقب من قبل أقرانه بالبقلة ذات النواة كناية عن صغر حجمه وصلابته فى آن. وفى عام ١٩٦٠ حينما كان فى الرابعة عشرة من عمره قاد زملاءه فى المدرسة إلى الإضراب والاعتصام احتجاجا ضد كتابة بحوث إجبارية تمجد رئيس البلاد ونظامه الأوتوقراطى.

أما هو فقد وصف نفسه فى كراسة مذكراته بالتلميذ البارد والمتقد فى الوقت نفسه موضحا أنه كان يجتهد ويؤدى ما عليه لكن درجاته كانت فى هبوط مستمر بسبب هروبه المتكرر من المدرسة للتدخين واللهو.

اختار روه شريكة حياته قبل ثلاثين عاما من مسقط رأسه الفقير ، فتزوج بابنة فلاح هى " كوون يانغ سوك " التى أنجبت له الابن " روه جيون هو " (٢٩ عاما ساعة انتحاره) والابنة "جونغ يون " (٢٧ عاما).

وعلى حين ثبت لاحقا بالدليل مدى عشق أبناء " كيم داى جونغ " للثروة والنفوذ ، بدا أبناء روه مصممين على مواصلة حياتهم كمواطنين عاديين بعيدا عن البيت الأزرق ورفاهيته وخدماته وبروتوكولاته.

فالابن المتخرج من جامعة يونسى ظل يعمل كمسئول عن البرمجة والمعلوماتية فى شركة ال جى الشهيرة لصناعة الأجهزة المنزلية والإلكترونية مفضلا مواصلة حياته على ذلك النحو.

أما الابنة المتخرجة من جامعة هونغيك والحاملة لشهادة فى التاريخ فاضطرت إلى تغيير مكان عملها فى السفارة البريطانية فى سول بمجرد فوز والدها بالرئاسة بعدما صار من غير الملائم أن تعمل ابنة رئيس البلاد فى سفارة دولة أجنبية. لكن أمهما، السيدة الأولى، بدت مختلفة ، إذ قادها طموحها إلى الإثراء السريع إلى استغلال موقعها كزوجة لرئيس البلاد فى الحصول على الرشاوى والصفقات فبذرت بذلك بذرة السوء التى ستلطخ سمعة زوجها وأسرتها إلى الأبد. وهناك من يقول إن الرشوة التى تورطت فيها هذه السيدة يفوق مبلغها ٦ ملايين دولار، بل هناك من يزعم أن أموالا أخرى قدمت من صاحب شركة

الأحذية " بارك يوونغ تشا " إلى ابنها وابنتها، هذا ناهيك عن أن شقيقا للرئيس المنتحر كان قد اتهم سابقا بقبض عمولات ورشاوى من الشركة ذاتها مقابل تعيين أحد أقارب صاحب الأخيرة فى وظيفة عليا بمصلحة الضرائب.

وهكذا أصبح الرئيس الذى وصف فى وقت من الأوقات بأبراهام لينكولن كوريا فى إشارة إلى نضاله الطويل من أجل العدالة والمساواة والشفافية والنزاهة ودفاعه عن حقوق المظلومين والمضطهدين ودعوته المتكررة إلى تحقيق توزيع أفضل للثروة ومحاربة البطالة المتزايدة والفساد المتفشى وإصلاح سلطات الرئاسة، ناهيك عن عمله الدؤوب من أجل إبعاد شبح الحرب عن شبه الجزيرة الكورية عن طريق مواصلة ما بدأه سلفه من انفتاح على بيونغيانغ من خلال ما عرف بسياسة " الشمس المشرقة " .. أصبح صاحب سيرة ملطخة، ولم ينفعه كل ما قدمه لبلاده وشعبه من جهود ومواقف، وخصوصا جهوده لجهة الحيلولة دون وقوع تصادم عسكرى ما بين واشنطون وبيونغيانغ تكون كوريا الجنوبية ساحته، وذلك حينما وصلت علاقات العاصمتين إلى مرحلة حرجة فى السنوات الأخيرة بسبب إصرار الولايات المتحدة الأمريكية على أن تجمد كوريا الشمالية قدراتها وبرامجها النووية ، وإصرار الأخيرة على أنها لن تفعل ذلك قبل وقف الأميركيين للغة التهديد والعودة الى التفاوض .

إزاء هذا الوضع، لم يجد الرجل بداً من وضع نهاية لحياته فاختار أن يمحو التشويه والمهانة التى طالت صورته كرئيس نزيه ومدافع صلب عن العدالة والشفافية بطريقة مأساوية محزنة هى الانتحار قفزا من تلة قريبة من منزله فى مسقط رأسه فى بوسان (الأمر الذى أدى إلى إصابته بإصابة قاتلة فى الرأس) وذلك بعدما ترك رسالة على جهاز حاسوبه الخاص يقول فيها : " إنى أدين للكثير من الأشخاص. أشخاص كثيرون عانوا بسببى وأنا لا أستطيع أن أتصور الآلام التى سيمرون بها فى المستقبل " .

وأضاف : " لا يمكننى تخيل الآلام التى لا تحصى والتى ستواجهها بقية عائلتى " . وفى فقرة أخرى قال الرئيس السابق المنتحر : " لا تحزنوا. أليست الحياة والموت من الطبيعة.. لا تشعروا بالأسف ولا تلقوا باللوم على أى أحد. هذا هو القدر. رجاء احرقوا جثمانى، ورجاء ضعوا شاهدا صغيرا على قبرى قرب منزلى. فكرت كثيرا فى هذا الأمر " .

(٧)

هانيبال ..

الموت أشرف لى !!



كان هانيبال أو هنيبعل أو حنابعل وكلها أسماؤه ، قائدا عظيما يندر وجوده ليس فى زمانه وإنما فى كل الأزمنة ، بل يعتبره معظم الباحثين أعظم قائد فى التاريخ .

ورغم أن هذا القائد القرطاجى العظيم استطاع فى زمنه إذلال إمبراطورية عظمى هى روما ، لدرجة أن الرومانيين أطلقوا عليه " كابوس روما الأسود " ، إلا أنه فى النهاية فضل أن يتخلص من حياته بنفسه ، حتى لا يرى بلاده ذليلة بعد هزيمته ، وحتى لا يمثل به أعداؤه حال أسره الوشيك ، فيكون الانكسار لبلاده ، والذل والهوان لنفسه !!

"هانيبال"الذى فضل الموت على حياة الأسر والذل والهوان ولد بقرطاج سنة ٢٤٧ قبل الميلاد، ورافق وهو فى التاسعة من عمره والده أميلكار برقا فى إسبانيا. وفى سنة ٢٢١ اختاره الجنود قائدا بعد اغتيال صدربعل زوج أخته صلامبو، فتمكن من بسط نفوذ قرطاج على كامل شبه الجزيرة الإيبيرية بما فى ذلك إحدى المحميات الرومانية.

وقد رأت روما فى ذلك خرقا للمعاهدة التى عقدت إثر الحرب البونيقية الأولى، وطالبت بتسليمها هانيبال، وقد كان رفض هذا الطلب سببا فى اندلاع الحرب البونيقية الثانية بين سنتى ٢١٨ و٢٠١ قبل الميلاد.

بدأ هانيبال زحفه على روما سنة ٢١٨ قبل الميلاد حين غادر مدينة قرطاجنة بإسبانيا بجيش قوامه ٤٠,٠٠٠ جندى، فعبر جبال البيرينى وجبال الألب خلال ١٥ يوما رغم صعوبة الطريق وهجومات القبائل المعادية، واستطاع إلحاق هزائم كبيرة بالقوات الرومانية فى العديد من المعارك، لتتواصل سيطرته بعد ذلك على العديد من المقاطعات الرومانية حتى سنة ٢١١ قبل الميلاد، حين حاصر عاصمة الإمبراطورية دون أن يستطيع اختراق تحصيناتها، بعد أن رفض حلفاؤه مده بالتعزيزات اللازمة.

وفى سنة ٢٠٢ قبل الميلاد، شنت روما بقيادة شيبون الإفريقى هجوما على قرطاج، فلاقاه هانيبال فى منطقة " زاما " ، إلا أن جنوده حديثى العهد بالقتال فروا من ساحة المعركة تاركين الجنود المتمرسين يواجهون الرومان بمفردهم،

فأبيد عدد كبير منهم، واستسلمت قرطاج لتنتهى بذلك ما تسمى بـ " الحرب البونيقية الثانية ".

كان هانيبال أسطورة حيث جمع جيشا جرارا لمواجهة الإمبراطورية الرومانية الطاغية – آنذاك – فقطع جبال الألب فى الشتاء القارس مما أدى إلى موت نصف جيشه بكثرة الثلوج والإنزلاقات والجوع مستعينا فى زحفه بجمع بعض الأفراد من القبائل المعادية وقد استعمل الفيلة فى نقل المؤونة .حيث كان هانيبال مثالا للقائد العظيم والمتواضع فى آن واحد , لم تكن له خيمة تميزه عن باقى الأفراد .

وعندما وصل إلى روما لم يبق من جيشه سوى ما يقارب العشرين ألف جندى مما استصغر شأنه فى أعين الرومان فجمعوا له ما يفوق ٨٠٠٠٠ جندى ، فلما التقى الجمعان قرب نهر عمل هانيبال إلى خطة حربية تمكن من خلالها من إغراق الجيش بأكمله .

وبادر هانيبال بعد انتهاء الحرب إلى العمل على تطوير قرطاج، فعدل الدستور، وقاوم الفساد وسعى إلى تعزيز موارد الدولة ، إلا أن روما رأت فى ذلك إعداداً لحرب أخرى ، فعملت على إبعاده ، وهو ما كان لها , إذ لجأ القائد العظيم إلى ملك سوريا الذى كان بدوره فى حرب مع روما إلا أن هزيمة الأخير سنة ١٩٠ ق.م جعلت هانيبال ينتقل نحو شمالى البلاد بلاد الأناضول , وهناك وضع عبقريته فى خدمة ملكها , إلا أن هذا الأخير رضخ لضغوطات روما ، التى لم تكف عن ملاحقة غريمها القديم وأرسلت فى طلبه ، وحين أيقن هانيبال بحتمية وقوعه أسيرا ، آثر الانتحار مقدما آخر درس له فى رفض الإهانة والتعلق بالحرية.

كان (هانيبال) قائداً عبقرياً ولوعاً بمفاجأة أعدائه وإشاعة الفزع فى صفوفهم , معتمداً فى حروبه على التجسس .

قاد حملة عبرت مضيق جبل طارق وانتصر على الإسبان عام (٢٢٠ ق.م) ,

واتجه شمالا إلى جنوب فرنسا ، وتسلق جبال الألب من الشمال إلى الجنوب رغم قسوة البرد القارس الذى فتك بكثير من الجنود والفيلة التى كان يستخدمها فى حروبه ، وهبط إلى سهول إيطاليا ، محطماً كل جيوش الرومان التى تصدت له ، ويقدر ضحايا هذه الحرب من أعدائه بثمانين ألف جندى من المشاة والفرسان .

وأثناء غزو (هانيبال) لجزيرة (صقلية) ، تعذر عليه الاستيلاء على إحدى المدن رغم الحصار الطويل ، أراد أن يعرف سر قوة المدينة ومنعتها . فأرسل أحد رجاله فدخل المدينة وادعى أنه جندى مرتزق ، وعرض خدماته على حاكم صقلية وأقام فى المدينة يتجول فيها ، ويدرس تحصيناتها وخطط الدفاع عنها ، ويرسل الإشارات إلى (هانيبال) عن طريق الدخان المتصاعد من نار يوقدها لطهو طعامه فوق تل المدينة ، دون أن يفطن إليه أحد .

وفى تقدمه نحو روما ، كان يمهد طريق النصر لجيشه ، بجيش آخر من الجواسيس ، يجمعون له المعلومات من وادى نهر (البو) وسهول الألب السفلى عن القوات ، ومعنويات الناس والجيش ، وخصوبة الأرض ، وأنواع المحاصيل ، ثم يضع خططه الحربية على ضوء مايتوافر له من معلومات.

ومما يروى عن هانيبال أنه عندما حاول قطع جبال الألب عمد إلى دهن أجسام جيوشه بالزيت كى تبقى أجسادهم دافئة.

ويروى أيضا أنه متواضع ويرتدى مثل جنوده وكان قد قطع جبال الألب راكبا على فيل وبجانبه حصان فقال أحد القواد إليه "لماذا هذا معك" فأجاب إنّ الفيل قويّ ولكنّه بطىء أمّا الحصان فسوف يساعدنى فى الهرب فهو سريع.

وكانت هيئة أركان جيشه تتكون من: هانو بن هاملقار، ومهر بعل (مار بال) قائد سلاح الفرسان الأمازيغى (البربرى)، الذى تقلد هذه القيادة منذ عهد والد هانيبال أميلكار برقه، ويكن له هانيبال حبا فائقا، وهيرت، وسينهالوس المصرى كبير الأطباء، والاغريقيين سوسيلوس، ووسلينوس، وبوح الهندى منجم الحملة، والإسبرطى سوسيليوس الذى علم هانيبال اليونانية.

(٨)

ميلوسيفيتش ..

لحظة الانتحار بالوراثة !!



فى ١١ مارس عام ٢٠٠٦ ، أعلن فى لاهاى عن موت الطاغية سلوبودان ميلوسيفيتش ، فى وقت كانت فيه محاكمته قد أوشكت على الانتهاء ، وكان الجميع فى انتظار القصاص العادل لمحكمة العدل الدولية من أحد أكثر طواغيت التاريخ دموية ، و الملقب بـ " جزار البلقان " و " سفاح البوسنة " ، و " مجرم الحرب الصربى ، و ألقاب كثيرة خلعها عليه العالم ، الذى طالما وقف مصدوماً أمام جبروته ، و وحشيته ، و بشاعته !!

و هكذا انتقل ملف السفاح ، الذى سفك من بين ما سفك دماء المسلمين .. انتقل ملفه من محكمة وضعية عدالتها نسبية ، إلى محكمة إلهية تتوفر فيها العدالة المطلقة !!

و رغم ذلك ، فقد انفجرت عائلات جميع ضحايا هذا الجزار غضباً عند إعلان نبأ موته ، لأنهم كانوا ينتظرون أن يدفع ثمن خطاياه فى حياته ، فأعداد ضحايا ميلوسيفيتش كانت تفوق قدرة الجميع على التخيل .

فقد قتل هذا المجرم أكثر من مائتى ألف مسلم فى حملات الإبادة ، التى مارسها نظامه ، وقواته العسكرية ، وأجهزة استخباراته ، وعصاباته الهمجية . والتى كان من ضحاياها ، أكثر من ٣٠ ألف امرأة مسلمة تم اغتصابهن فى البوسنة ، وأكثر من ٣٥٠ ألف مسلم مروا عبر معتقلات جماعية ، ، بالإضافة لتهجير نحو مليونين ونصف المليون مسلم ، منهم مليون ونصف المليون خارج البوسنة ، ونحو مليون داخلها .

وقد طالت يد هذا الديكتاتور عدداً كبيراً من المهجرين داخل البوسنة ، مثل سراييفو التى قتل فيها ١٢ ألف نسمة ، خلال ٤ سنوات من العدوان ، دون أن يحرك ذلك ما يسمى بالعالم الحر، ودوائر حقوق الإنسان والحريات ، ثم "سريبرينتسا" الجريحة التى قضى فيها فى يوليو ١٩٩٥ ما يزيد على ١٠ آلاف نسمة ، خلال ثلاثة أيام ، ومقابرها الجماعية التى لا يزال يعثر على الكثير منها، بعد أن بلغ عدد من تم العثور عليهم أكثر من ٢٥ ألف ضحية ، و مازال البحث جاريا !!

كان من المحزن حقا أن يموت ميلوسيفيتش قبل أن تنتهى محاكمته عن جرائمه فى ضوء الأدلة التى قدمت ضده طيلة فترة محاكمته وهى ٤ سنوات و٨

أشهر ، و كانت كافية لإدانته بالجرائم التى ثبت أنه ارتكبها وعددها ٦٦ تهمة تتعلق بجرائم حرب ، وجرائم إبادة ، وجرائم ضد الإنسانية ، وهى التصنيفات الخاصة بأنواع الجرائم التى ارتكبها حسب اتفاقية جنيف الموقعة عام ١٩٤٩ !!

والحقيقة أنه ليس من السهل و لا الطبيعى و لا المنطقى الفصل بين التاريخ الدموى لجزار الصرب سلوبودان ميلوسيفيتش، و بين طفولته، بأى حال من الأحوال ، و إذا كان ماضى الإنسان يشكل مستقبله ، كما تؤكد جميع الدراسات النفسية ، فإن ماضى هذا الطاغية البعيد ، و المتمثل فى طفولته الشاذة ، كان سبباً رئيسياً فيما كان هو عليه فيما بعد من تاريخ دموى !!

فقد ولد سلوبودان ميلوسيفيتش فى ٢٠ أغسطس ١٩٤١، فى بروزاريفاتش "شرقى صربيا" من أب لاهوتى ينحدر من مونتينيجرو، وأم شيوعية . وقد انتحر عمه الذى اعتاد أن يزورهم فى بيتهم أمام عينيه ،- بعد أن أطلق النار على نفسه، أما أبوه فقد ترك الأسرة عقب الحرب العالمية الثانية ، وانتحر فى عام ١٩٦٢ فى "الجبل الأسود" ، وكذلك فعلت أمه الشيوعية بعد عشر سنوات من رحيل زوجها الذى انفصل عنها !!

ويرى المحللون أن طفولة ميلوسيفيتش المشوهة ، و ما شهدته من مآس حولت الصغير إلى فأر صغير مذعور ، وصبى - فيما بعد ناقم على كل شىء وأى شىء- يلهث وراء السلطة، لاتقاء عقدة الخوف التى لازمته ، والتى ما إن يحاول مواجهتها بقتل من يراهم خطراً على سلطته ، تدفعه لقتل المزيد والمزيد !!

و يقول هؤلاء المحللون إن هذه العقدة هى المسئولة عن سلسلة الحروب التى أودت بحياة مئات الآلاف ، وشردت خمسة ملايين آخرين فى يوغسلافيا السابقة، وجرائم التطهير العرقى ضدّ المسلمين ، والقبور الجماعية ، وعمليات الاغتصاب ، والتعذيب والقتل ، التى حدثت فى البوسنة والهرسك وكرواتيا وكوسوفو، فى التسعينيات من القرن العشرين ، مسجلة باسم الطاغية الصربى سلوبودان ميلوسيفيتش .

كما يرى هؤلاء المحللون أن ميلوسيفيتش نفسه قد ورث فكرة الانتحار كمخرج عندما تحاصره الأخطار من طفولته و البيئة التى ولد فيها ، و عائلته التى شهدت انتحار معظم أفرادها !!

فلأكثر من عشر سنوات ، جسد ميلوسيفيتش ، فى نظر الغرب ، نظامًا ديكتاتوريا و دموياً يقوم على مغالطات تاريخية ، وذلك حتى سقوطه فى الخامس من أكتوبر عام ٢٠٠٠ ، تحت ضغط الاضطرابات التى أجهضت جهوده للبقاء فى السلطة ، بالرغم من هزيمته الانتخابية .

فلا الحروب فى كرواتيا والبوسنة وكوسوفو ، ولا حتى عمليات القصف التى شنها حلف شمال الأطلسى لمدة ٧٧ يومًا على بلاده فى عام ١٩٩٩ ، ولا العقوبات الدولية استطاعت أن تزعزع سلطة الرجل الذى بقى بنظر الكثير من مواطنيه أشرس المدافعين عن الأمة الصربية.

وبعد شهرين من هزيمته أمام المعارضة التى كان يقودها الرئيس فويسلاف كوستونيتسا ، عاد ميلوسيفيتش إلى الساحة السياسية بإعادة انتخابه رئيسًا للحزب الاشتراكى الصربى قبل اعتقاله فى الأول من إبريل ٢٠٠١ ، تمهيدًا لإحالته فى ٢٨ يونيو من العام ذاته ، أمام محكمة جرائم الحرب الدولية فى لاهاى ، حيث واجه اتهامات بالإبادة الجماعية فى البوسنة ، وارتكاب جرائم ضد الإنسانية فى كوسوفو وكرواتيا فى التسعينيات .

لكن هذا الطاغية ، الذى فارق الحياة ، فى ١١ مارس ٢٠٠٦ ، أفلت بوفاته من العقوبة المقررة فى القانون الإنسانى ، جراء ما اقترفه من جرائم يندَى لها جبين تاريخ الإنسانية ، كان يستحق أن يعدم بسببها مليون مرة ، لفظاعتها وحجم ضحاياها .

و لم يكن سفاح الصرب هو الدموى الوحيد فى عائلته فقد كانت زوجته ميرا – التى كانت تشاركه نفس الطفولة البائسة – أكثر دموية منه ، بل كانت هى المحرضة له فى كثير من جرائمه نتيجة ضعف شخصيته تجاه النساء ، بفعل طفولته البائسة ، و قصة ميرا زوجة جزار الصرب هى قصة امرأة تسببت فى قتل آلاف البشر !!

لم تكن ميريانا " ميرا " ماركوفيتش تشغل منصبا حكوميا خلال فترة حكم زوجها سلوبودان ميلوسيفيتش لكنها بالتأكيد كانت المسيطرة على أذنيه . و يؤكد الجميع فى صربيا أنها كانت تقف خلف الكثير من جرائمه !!

وقصة ماركوفيتش وميلوسيفيتش امتزج فيها الرومانسى بالمأساوى ليس لهما وحدهما ، ولكن للملايين من مواطنى يوغسلافيا السابقة . فوالده وعمه انتحرا بإطلاق الرصاص على الرأس – كما أسلفنا – بينما شنقت أمه نفسها.

وأم ماركوفيتش – وهى مقاتلة شيوعية شاركت فى الحرب العالمية الثانية – أعدمها شقيقاها فى الجيش بعد أن كشفت عن أسرار تحت التعذيب للقوات الألمانية التى أسرتها. ويتردد أن أمر الإعدام صدر من أبيها شخصيا.

ارتبط ميلوسيفتيش وميرنا ببعضهما منذ كانا طالبين بالمدرسة العليا فى بوزارفاتش الواقعة على بعد ٨٠ كيلومترا شرق بلغراد ، وكانا على الدوام مثالا للإخلاص كل للآخر ولطموحاتهما المشتركة.

ويتردد أنها قالت وهما مازالا طالبين " إن سلوبودان سيصير رئيسا ذات يوم". وهذا ما حدث بالفعل بعد أن تخلص من إيفان ستامبوليتش أستاذه ومعلمه السياسى السابق وأحد ضحايا نظامه.

وطوال فترة حكمه (١٩٨٨ – ٢٠٠٠) وقفت ميرا إلى جواره . و كانت فى الواقع هى التى كانت تصدر التوجيهات وتدفع بأفكارها من خلال سلطته.

وكانت مقالاتها المنتظمة فى الصحف ترصد بدقة من جانب المحللين والسياسيين بحثا عن إشارات ربما تدل على اتجاه سياسات ميلوسيفيتش المقبلة.

وعلى الرغم من كل النواقص المحيطة بحياتهما فإنهما عملا على إحاطة نفسيهما بهالة من التفوق ، وراحا ينظران إلى العالم بنظرة استعلاء انطلاقا من إحساس زائف بتفوقهما العرقى .

وفى نهاية الأمر كان الزوجان الشاذان مسئولين عن موت أكثر من مائة ألف شخص فى أحداث العنف التى واكبت تفكك يوغوسلافيا.

ومع ذلك ففى صربيا هناك من يحمل " ميرا " زوجة الطاغية المسؤولية أكثر من ميلوسيفيتش عن بعض الجرائم التى صدمت وقسمت الأمة.

ففى إبريل عام ١٩٩٩ بعد أسابيع قلائل من بدء قصف حلف شمال الأطلسى ليوغسلافيا بسبب سياسات ميلوسيفيتش القمعية فى كوسوفو اصطدمت ماركوفيتش بالصحفى والناشر المستقل سلافكو كوروفيا.

وبعدها بأيام نشر مقالاً بصحيفة تصدر فى بلغراد حمل بصمات ماركوفيتش وتضمن انتقادات لاذعة للصحفى بل ووصمه بالخيانة.

وفى ذات الأسبوع وبالتحديد فى ١١ إبريل قتل كوروفا بالرصاص وقامت الشرطة السرية - الخاضعة لسيطرة ميلوسيفيتش وماركوفتش الكاملة - برصد وتوثيق حادث الاغتيال.

وفى أغسطس من العام التالى ، اختفى ستامبوليتش معلم ميلوسيفيتش السابق ، والرجل الذى دفع به لدهاليز السلطة فى بلغراد بينما كان يتريض فى غابة.

بعدها بستة أسابيع سقط ميلوسيفيتش من عرش السلطة ، ولم يسمع شيئا عن ستامبوليتش حتى إبريل عام ٢٠٠٣ عندما عثر على جثته وسط حملة مداهمات جرت عقب اغتيال رئيس الوزراء الإصلاحى زوران دينديتش.

وأدينت مجموعة من أفراد أحد الأجهزة الأمنية السرية فى جريمة القتل هذه. ومن بين هؤلاء بعض الذين اتهموا فى حادث اغتيال دينديتش وكشفت التحقيقات والمحاكمة عن وجود صلة لميلوسيفيتش وماركوفيتش بالحادث.

لكن ميلوسيفيتش كان وقتها فى لاهاى حيث سلمه دينديتش فى يونيو ٢٠٠١ فيما اختفت ماركوفيتش لمدة أسبوعين كاملين قبل أن يقتل دينديتش فى مارس !!

وقد لعب ميلوسيفيتش دورًا كبيرًا فى تفكيك يوغوسلافيا فى العام ١٩٩١ ، حيث انفصلت كل من سلوفينيا وكرواتيا ومقدونيا - إلا أنه حارب انفصال كرواتيا ثم البوسنة والهرسك فى عام ١٩٩٢ ، بعد أن أعلن الشعب البوسنى استقلاله عبر استفتاء شعبى واستمرَّت الحرب حتى العام ١٩٩٥ ، حيث تم التوقيع على اتفاقية دايتون - فى سويسرا برعاية أمريكية منهيًا بذلك مشروع

صربيا الكبرى.

وفى العام ١٩٩٨ ، مدَّ يده القذرة عبر آلته العسكرية مرة أخرى ضد المسلمين فى إقليم كوسوفا - المسلم ذى الحكم الذاتى، ولكنه تراجع بعد ضربات حلف شمال الأطلنطى " الناتو " على يوغوسلافيا وضد القوات الحكومية فى الإقليم وتخلى عن كوسوفا .

وفى أواخر العام ٢٠٠٠ ، اضطر ميلوسيفيتش للاستقالة بعد مظاهرات المعارضة المناوئة له عقب قيامه بتزوير نتائج الانتخابات الرئاسية التى جرت فى ذلك العام ٢٠٠٠ ، ثم تم تسليمه لمحاكمته أمام المحكمة، التى شكلتها الأمم المتحدة لبحث جرائم الحرب فى يوغوسلافيا السابقة ولبث فى السجن بمدينة لاهاى الهولندية ، حتى مات تُطارده أرواح ضحاياه .

وقد كتب سلوبودان ميلوسيفيتش ، قبل العثور عليه ميتاً فى سجنه ، رسالة الى السفارة الروسية قال فيها " إنهم يريدون تسميمى "فأثار محاموه وأنصاره فرضية تسميمه، ورجحت المدعية العامة لدى محكمة الجزاء الدولية ليوغوسلافيا السابقة كارلا ديل بونتى فرضية ثانية ، هى انتحاره " فى تحدٍّ أخير " للقضاء الدولى .

لكن الفرضيتين استبعدتا ، بعدما أظهر التشريح الذى أجرى لجثمان آخر رؤساء يوغوسلافيا، أن الوفاة " ناتجة عن هبوط عادى فى القلب " .

وفيما سعى أنصار ميلوسيفيتش فى بلغراد الى إضفاء عنصر البطولة على رئيسهم السابق مطالبين بجنازة رسمية له ، اعتبرت وزيرة الخارجية الأميركية آنذاك كوندوليزا رايس أنه كان أحد " أبرز قوى الشر فى أوروبا لفترة طويلة " .

وقالت محكمة الجزاء الدولية إنها تلقت ملخصاً عن تقرير تشريح جثة ميلوسيفيتش ، وتأكد أن موته ناجم عن " انسداد فى نسيج القلب العضلى " .

وجاء فى بيان لمحكمة الجزاء أن " المحكمة تسلمت ملخصاً عن نتائج التشريح

.. يقول الأطباء إن سبب وفاة سلوبودان ميلوشيفيتش هو انسداد فى عضلات القلب.. الأطباء لاحظوا مشكلات فى القلب كان يعانى منها سلوبودان ميلوشيفيتش وأدت كما قالوا إلى انسداد فى عضلات القلب ".

وكان مستشار ميلوسيفتيش القانونى زدينكو تومانوفيتش قرأ أمام الصحفيين فى لاهاى نص الرسالة التى جاء فيها، " يريدون تسميمى . وأشعر بقلق شديد .. أكتب اليكم وأطلب مساعدتكم وحمايتكم من العمل الإجرامى الذى يتم فى مؤسسة تدار تحت شعار منظمة الأمم المتحدة ".

وطلب ميلوسيفيتش من تومانوفيتش الذى عمل مستشاراً قانونياً له لأكثر من أربع سنوات ، تسليم الرسالة إلى السفارة الروسية على أن تسلمها إلى وزارة الخارجية فى موسكو.

أضاف تومانوفيتش " فى الرسالة أكد ميلوسيفيتش أن السبب الرئيسى الذى حال دون السماح له بالتوجه الى موسكو لتلقى العلاج الطبى هو خوف البعض من أن يكشف فحص طبى دقيق فى مستشفى روسى عن تدمير صحته بشكل منهجى.. تحدث ميلوسيفيتش فى الرسالة عن تقرير طبى حصل عليه وأظهر وجود جرعات عالية فى جسمة من عقار قوى يستخدم فقط فى علاج الجذام أو السل "، مضيفاً أن التقرير الطبى جاء فيه أن العقاقير تستخدم فقط فى علاج الجذام والسل .

وأشار الى أن المحكمة قدمت التقرير الصادر عن منشأة طبية لم يكشف عن اسمها ، إلى رئيس يوغوسلافيا السابق ، موضحاً أن " ميلوسيفيتش قال إنه خلال السنوات الخمس الأخيرة لم يستخدم أى مضادات حيوية مشابهة وبخاصة أنه لم يصب بالجذام أو السل أو أى مرض معدٍ على الإطلاق عدا الانفلونزا". ولم يكشف تومانوفيتش عن اسم العقار المستخدم.

فى المقابل ، رفضت المدعية العامة كارلا ديل بونتى فرضية تسميم ميلوسيفيتش ، مشيرة إلى احتمال أن يكون الرئيس اليوغوسلافى السابق قد انتحر " فى تحدٍّ أخير" للقضاء الدولى. وتساءلت ديل بونتى – آنذاك – "ربما يكون قد وجه إلينا تحديه الأخير. . هل انتحر؟ ".

وتحدثت ديل بونتى عن حالات الانتحار السابقة فى سجن محكمة الجزاء الدولية فى لاهاى ، مؤكدة أنه اذا كان هذا ما حدث لسلوبودان ميلوسيفيتش ، فإنها لن تكون الحالة الأولى. وأشارت إلى الفحوص الطبية التى كانت تجرى بانتظام فى لاهاى للمتهم الذى كان يعانى من مشاكل فى القلب والشرايين . واعتبرت أن "من الغريب رغم أنه من الممكن أن يكون طبيعياً ، أن يكون توفى فجأة من دون أن يلاحظ الأطباء تدهورا مفاجئاً فى حالته الصحية ".

و قالت ديل بونتى : " التفسير الممكن لاحتمال إقدام ميلوسيفيتش على الانتحار هو أنه لم يكن لديه سوى أربعين ساعة للدفاع فى محاكمته بتهم ارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد البشرية وجرائم إبادة " .

وقالت : " بعد ذلك كنت سأقدم مرافعتى لتنتهى القضية قبل الصيف. وبحسب تقديرات كانت ستنتهى بالحكم عليه بالسجن مدى الحياة . وربما أراد تجنب كل ذلك " .

ونفت المدعية أية مسؤولية عن وفاة ميلوسيفيتش مؤكدة فى المقابل أنها "شديدة الغضب" لما حدث . وقالت " بدا لى من المستحيل أن تذهب كل هذه السنوات من العمل والطاقة والتحقيقات الدقيقة والتغلب المستمر على العقبات أدراج الرياح. فى لحظة ضاع كل شىء. ولم تعد هناك محاكمة لميلوسيفيتش " .

أضافت : "بصفتى مدعية عامة أدركت أننى لن أستطيع إنهاء أهم قضية فى حياتى . ست سنوات ونصف السنة من العمل المضنى ذهبت سدى . وبصفتى ممثلة لآلاف الضحايا الذين يطالبون بالعدالة منذ سنوات أجد نفسى خاوية الوفاض . وفاة ميلوسيفيتش تعتبر بالنسبة لى فشلا تاما ".

و يعد الكاتب الأمريكى الذائع الصيت آدام ليبور ، أبرز كتاب صحيفة "نيويورك تايمز " أهم الذين حاولوا النفاذ إلى شخصية الطاغية ميلوسيفيتش ، وأحد القلائل الذين نبشوا فى طفولته ، والتقوا بأقرب المقربين له، و من بينهم "ميرا " زوجة الديكتاتور .

ويروى ليبور فى كتابه " ميلوسيفيتش : سقوط طاغية " كيف اقترب من عالم الطاغية ليعد سيرة رجل قتل و جرح و شرد من البشر الملايين .. يقول : كان نهر الدانوب يتدفق رقراقاً فى مجراه الاعتيادى قبل أن يهبط الغسق بعتمته الكاسحة

على مدينة بلغراد . كانت التعليمات واضحة : سألتقى مع المحامى الشخصى لسلوبودان ميلوسيفيتش فى أحد القوارب الراسية على ضفاف النهر نحو الساعة الخامسة بعد الظهر. كان الطريق مقفرا ولم تبدُ أية إشارة تدل على الحياة عدا الضجيج الذى كان يحدثه مرور السيارات فوق جسر بعيد .

وباستثناء الرجال الثلاثة الذين انتحوا زاوية قصية يغلفهم دخان السجائر المتصاعد فوق رؤوسهم بدا القارب وكأنه خالٍ. لكن ما إن دخلت حتى وقف المحامى دراجوسلاف أونجانوفيتش معرفا بنفسه ، حيث بدأت أشرح له سبب قدومى المتمثل فى إطلاعه على نيتى كتابة سيرة لميلوسيفيتش.

كان المحامى منذ البداية صريحا معى إذ أخبرنى بأن موكله المودع فى مركز الاعتقال التابع للأمم المتحدة يحظر عليه كشف أية حقائق أو تفاصيل تتعلق بحياته السابقة ، أو الإدلاء بحوار للصحافة . لكنه أردف موضحا أن القوانين إنما وضعت للالتفاف عليها ، إن لم يكن لانتهاكها ، خصوصا فى منطقة البلقان.

بعد ذلك اللقاء بمدة قمت بإرسال مظروف إلى ميلوسيفيتش فى سجنه عبر سلسلة من الوسطاء. المظروف كان يحتوى على نسخة من كتاب يتناول دور البنوك السويسرية فى غسل أموال النازيين . وبإقدامى على ذلك كنت أسعى إلى لفت انتباه ميلوسيفيتش ، خصوصا أننى أعرف مسبقا استمرار وجود المشاعر المعادية للألمان فى صربيا . وفى مساء أحد الأيام بعد فترة قصيرة على خطوتى تلك تلقيت مكالمة هاتفية أخبرنى فيها محامى ميلوسيفيتش بأن موكله استلم الكتاب وبأنه منكب على قراءته فى زنزانته بالسجن ، ثم أخبرنى أنه بعد انتهاء موكله من قراءته سيقرؤه بنفسه ليطلعنى فى الأخير بأن ميلوسيفيتش سمح لزوجته "ميرا ماركوفيتش" بلقائى ، حيث يمكننى السفر إلى بلغراد والتحدث معها كيفما أشاء . ومع ذلك علىَّ الاعتراف بأنها لم تكن تجربة مريحة أن أنغمس لعدة شهور فى دراسة حياة رجل تسبب فى قدر كبير من الألم والأسى للناس، لكنى قمت بذلك ووجدتنى غارقا فى تعقب التفاصيل واللحظات الصعبة. وقد استفدت من معرفتى بالمنطقة التى سبق وأن قمت بتغطية حروبها عندما كنت مراسلا لصحيفتى "التايمز" و" الإندبندنت " البريطانيتين . وكغيرى من الزملاء

كنت مذهولا إزاء فشل العالم فى وقف انهيار الإرث التعددى والمتنوع الذى كانت تمتاز به البوسنة على أيدى القوات الصربية، حيث تعرض أهاليها للقتل والتهجير. وفى هذا السياق يبرز الزعيم الصربى سلوبودان ميلوسيفيتش كأحد أوجه هذا الانهيار، وكأحد العوامل المساهمة فى تدمير يوغوسلافيا. لكن لولا امتلاكه لقاعدة قوية من المؤيدين فى صفوف الجيش والأجهزة الاستخباراتية، بل حتى فى صفوف المواطنين الصرب ما كان له أن يحكم صربيا طيلة الفترة الممتدة من ١٩٨٩ إلى ٢٠٠٠ . وهكذا عكفت على دراسة مشواره السياسى وخلفيته العائلية، وبنية الحزب الشيوعى الذى كان ينتمى إليه، ثم دور الشرطة السرية والجيش الصربى فى الأحداث التى هزت البلقان.

وتعقبا لتفاصيل حياة الزعيم الصربى قمت بزيارة مسقط رأس ميلوسيفيتش فى بلدة بوزاريفاك الواقعة شرق صربيا ، والتى شهدت مولد زوجته "ميرا ماركوفيتش" أيضا . كما التقيت بالأخ الأكبر له ، السفير الأسبق ليوغوسلافيا فى روسيا حيث أخبرنى كيف عاشت عائلته الفقر والحرمان فى طفولته ، وكيف كانوا يشعرون دائما بالجوع.

أما زوجته " ميرا " فقد كانت المرأة الوحيدة التى أحبها ميلوسيفيتش إلى جانب أمه، حيث أخبرتنى عندما التقيت بها فى أحد المطاعم ببلغراد كيف وقفت إلى جانب زوجها ودعمته فى جميع القرارات التى اتخذها. لكنها لم تنس التعبير عن خيبتها إزاء المجتمع الدولى الذى أغرى ميلوسيفيتش بالتوقيع على اتفاقيات دايتون للسلام سنة ١٩٩٥ لإنهاء الحرب فى البوسنة ، فى حين تركه يموت وحيدا فى زنزانته !

3

الفصل الثالث

لحظة الإعدام

(١)

تشارلز الأول..

سلم رأسه لأعدائه !!



تشـــارلـز الأول هو ملك إنكلتــرا ،وأسكتلندا وأيـرلنـدا (١٦٢٥-١٦٤٩م) وابن الملك السابق جيمس الأول.

دفعه وزراؤه، بكنغهام وسترافورد وكذا أسقف لود وزوجته هُنرييت من فرنسا إلى الاستبداد بالحكم، مما جعل المعارضة فى البرلمان تنتفض عليه.
قام بحل البرلمان عام ١٦٢٩ م عندما طالبه بأن يلتزم بتوقيع وثيقة تضمن المزيد من الحريات والحقوق.

وحـاول الملك أن يحكم بمفـرده إلا أن انتـفـاضــة الأسكتلنديين أجـبـرته أن يستدعى البرلمان من جديد (١٦٤٠ م)، فقد كان فى حاجة إلى الأموال لتجهيز قواته. انتهز البرلمانيون الفرصة فأطاحوا برأسى كل من سترافورد وأسقف لود. لم يحـرك الملك ساكنا أمـام مقتل رجاله المقـربين، وكتم حـقده فى نفسـه، وفى المقابل لاقى انحياز الملك للأطراف الكاثوليكية ، وكذا محاولته للاستفراد بالحكم استهجانا كبيرا لدى البرلمانيين. أدت هذه الضغائن المتبادلة، إلى قطع العلاقة بين الطرفين نهائيا عام ١٦٤٥ م.

واندلعت الحـرب الأهليـة بين أنصـار الملك من جـهـة وجـيش البـرلمانيـين والأسكتلنديين (حلفائهم الجدد) من جهة أخرى.

وفى نفس السنة ١٦٤٥، منيت القـوات الملكيـة بهـزيمـة فى نيـزبى ، فـوجـد تشارلز نفسـه معـزولا فقام فى العام التالى ١٦٤٦ بتسليم نفسـه للأسكتلنديين، والذينَ سلموه بدورهم إلى البرلمانيين.

وقد استطاع الفـرار سنة ١٦٤٧ ، لتندلع الحـرب الأهلية مـرة ثانية، وكان الملك قد أقام تحالفاً جديداً مع الأسكتلنديين، فى مقابل إعطائهم بعض الحـريات الدينية، إلا أن قائد الثوار أوليـفـر كـرومـول استطاع أن يحسم الموقف بصـورة نهائية هذه المرة عام ١٦٤٨ .

وقام الأخيـر بعقد جلسة خاصة للبـرلمان، بعد أن تم انتقاء أعضـائه من بين أنصـار الثـوريين، أصـدر فيـهـا حكمـاً بإعـدام الملك، لتضـرب عنقـه فى وايتـهل، بالقرب من وستمنستر عام ١٦٤٩ ليخلفه على العرش ابنه تشارلز الثانى.

(٢)

لويس السادس عشر..
ومارى أنطوانيت والمقصلة !!





ربما يكون ملك فرنسا لويس السادس عشر ووزوجته الملكة مارى أنطوانيت أشهر زوجين ملكيين فى التاريخ ، ليس فقط لما شهده عصرهما من مفاسد أخلاقية ، وصراعات دموية ، وثورة فرنسية غيرت وجه العالم ، وإنما أيضا بسبب النهاية المأساوية الرهيبة التى آل إليها حالهما ، حيث هوت رأس كل منهما تحت المقصلة فى عملية إعدام غريبة وعجيبة وربما وحشية أيضا .

لويس السادس عشر آخر ملوك فرنسا، وفى عهده قامت الثورة الفرنسية، وأدت إلى إطاحة الحكم المطلق ، وإقامة الجمهورية، تزوج من مارى انطوانيت وهو فى عمر الخامسة عشرة، وكانت هى تصغره بقرابة العام ، وأنجب منها لويس السابع عشر الذى مات صغيرا.

فى سنة ١٧٧٦ ، ساعد لويس السادس عشر فى الثورة الأمريكية فأرسل فرقة فرنسية بقيادة " لافاييت " لمساعدة الثوار الأمريكيين ضد بريطانيا .

وفى سنة ١٧٩٣ ، حاول لويس السادس عشر الفرار من فرنسا برفقة زوجته مارى انطوانيت ، ولكن أُلقى القبض عليهما وتم إعدامهما عبر المقصلة فى باريس.

ولد لويس فى قصر فرساى فى فرنسا عام ١٧٤٥ حيث ورث العرش عن جده لويس الخامس عشر ومنح لقب دوق بارى منذ ولادته، وكان الطفل الثالث من بين ثمانية للويس فرديناند وحفيد لويس الخامس عشر ورفيقته ماريا ليسيزنسكا. والدته هى مارى جوزيف من سكوسنيا ابنة فريدريك أغسطس الثانى السكسونى، ملك بولندا.

عانى دوق بارى فى طفولته كثيراً، حيث كان أبواه يفضلانه على أخيه الأكبر لويس دوق بوركون، والذى توفى سنة ١٧٦١ وكان عمره ١٠ سنوات.

أما مارى أنطوانيت التى شاركته نفس المصير ، فهى زوجته ملكة فرنسا ووالدة الأمير الصغير لويس السابع عشر والأميرة ماريا تريز، وتنسب لها المقولة المشهورة "إذا لم يكن هناك خبز للفقراء.. دعهم يأكلون كعكا" ، وقد ذكر هذه العبارة جان جاك روسو فى كتابه " الاعتراف " .

ولدت فى النمسا ومن مواليد برج العقرب، ثم انتقلت إلى فرنسا لتتزوج وهى أصغر أبناء الملكة تيريزا ملكة النمسا.

تزوجت الملكة مارى أنطوانيت من الملك لويس السادس عشر وهى فى الرابعة عشرة من عمرها وكان هو فى الخامسة عشرة من عمره.

وقد أعدمت أنطوانيت فى ١٦ أكتوبر ١٧٩٣ ، بعد أن اقتيدت بعربة مكشوفة دارت بها فى شوارع باريس حيث رماها الغوغائيون بالأوساخ وكل مايقع تحت يدهم، وقصوا شعرها الطويل ثم وضعوا رأسها الصغير فى المكان المخصص فى المقصلة (الجيلوتين) وهوت السكين الحادة فأطاحت برأسها فى السلة الجانبية. ساعد طيشها وتآمرها على إضعاف الملكية وأسهم فى بدء الثورة.

كانت الملكة الصغيرة جميلة وذكية ومتهورة، وقد ملَّت الشكليات الرسمية لحياة البلاط، لذا اتجهت إلى الترويح عن نفسها بالملذّات، مثل: الحفلات الفاخرة والتمثيليات المسرحية وسباق الخيول والمقامرة. كان ينقص مارى التعليم الجيد، ولم تكن تعطى الأمور الجادة إلا القليل من الاهتمام، ولم تتردد فى عزل وزراء فرنسا القادرين الذين هددت جهودهم - لخفض النفقات الملكيةعلى ملذاتها. وقد أعطاها الملك لويس السادس عشر قصر بوتى تريانو، حيث كانت الملكة وأصدقاؤها يقومون بالترويح عن أنفسهم.

أصبحت مارى مكروهة جدًا، وقد تم تأنيبها على فساد البلاط الفرنسى، حيث كانت تسرف فى إغداق الأموال على محاسيب البلاط، ولم تعط أى اهتمام للأزمة المالية بفرنسا. وقد رويت القصص الكاذبة والسيئة عنها، إلى حد أن أثيرت الشائعات على أنها كانت جاسوسة لحساب النمسا. أصابت المآسى مارى مرتين فى عام ١٧٨٩م، حيث توفى ابنها الأكبر وبدأت الثورة الفرنسية، وقد فقد زوجها - الضعيف الإرادة - حكمه للبلاد تدريجيًا، ولكن مارى واجهت المخاطر بشجاعة، وحاولت أن تقوّى من إرادة الملك لويس، ولكنها زادت من غضب الشعب بسبب معارضتها العنيدة للتغييرات الثورية.

قام الملك - الذى كان يعمل بنصيحة مارى أنطوانيت - بحشد الجنود حول فرساى مرتين فى عام ١٧٨٩م، ولكن أعقب المرتين العنف، وأصبحت السلطة الملكية أضعف، حيث إنه فى المرة الثانية - فى أوائل أكتوبر ١٧٨٩م - اتجهت

الجماهير الباريسية الجائعة البائسة فى مسيرة إلى فرساى وأجبرت العائلة الملكية على الانتقال إلى قصر تويلرى بباريس. ومنذ ذلك الحين أصبح لويس ومارى سجينين بالفعل.

وكان بإمكانهما أن يكونا الحاكمين القادرين على لم شمل الأمة، من أجل دعم الملكية الدستورية، مثلما حدث فى إنجلترا، لكنهما لم يتبعا نصيحة رجال الدولة المعتدلين مثل الكونت دى ميرابو.

وبدلاً من ذلك، تآمرت مارى أنطوانيت للحصول على المساعدة العسكرية من حكام أوروبا خاصة من أخيها ليوبولد الثانى ملك النمسا، ورفضت أن تعطى أيه امتيازات مطلقًا للثوار. ويؤكد الباحث جمال الدين فالح الكيلانى أن ملكة فرنسا مارى انطوانيت كانت ذات شخصية كاريزمية وهى الحاكمة الفعلية للدولة لأن لويس السادس عشر كان ضعيف الشخصية متردداً غير متوازن مما أفسح المجال لمارى أنطوانيت للتسيد وتكون صاحبة الكلمة العليا فى فرنسا قبل الثورة الفرنسية فى ١٤ يوليو ١٧٨٩م ولكنها كانت بعيدة عن الشارع الفرنسى وهمومه حيث إن الفرنسيين يتضورون جوعا لقلة الخبز وهى تقول لهم إذا لم تجدوا الخبز فكلوا (الكيك) كانت قد حكمت على نفسها بالإعدام السياسى قبل أن تعدمها الثورة لتصرفاتها المعروفة لا هم لها سوى الترف والسلطة والفخر بقوميتها الألمانية وبأسرتها النمساوية الملكية وهكذا كانت أسطورة مارى أنطوانيت وستبقى المرأة التى ضيعت ملكا لأجل الترف والأناقة وجبروت التعالى عن الناس.

أقنعت مارى أنطوانيت ـ أخيرًا ـ لويس بالفرار من باريس فى ٢٠ يونيو ١٧٩١، وقد خرجت العائلة الملكية متنكرة فى عربة متجهة للحدود الشرقية لفرنسا، ولكن أحد الوطنيين المتيقظين تعرف على الملك من صورته المطبوعة على العملة الورقية، وتم إيقاف الملك والملكة فى فاران وأعيدا تحت الحراسة إلى باريس. وأدى هروب لويس ومارى إلى زيادة فقدان ثقة الشعب بهما، ولكن لويس وعد بأن يقبل دستورًا جديدًا أدى إلى الحد من سلطاته.

كانت مارى تعمل للحصول على المساعدة من الخارج، وحينما بدأت الحرب مع النمسا وبروسيا فى عام ١٧٩٢م، اتهمت بإفشاء أسرار عسكرية إلى الأعداء.

وارتاب الشعب وأيقن أنها مذنبة بسبب تلك الخيانة. وفى ١٠ أغسطس ١٧٩٢م زج الشعب بحكامه فى السجن، حيث أوقف الملك عن تولى أمور مُلكه.

والحقيقة أن تصرف الملك جعله يخسر مودة شعبه وعاطفة الشارع ففقد المصداقية وتصدعت هيبته. وفى ١٠ أغسطس ١٧٩٢ قامت المظاهرات العنيفة وطالبت بخلعه وساقت به وبالعائلة وبولى العهد ابنه الطفل لويس السابع عشر إلى سجن "المعبد" وتولت جبهة " الكونفنسيون " محاكمته.

وحكمت عليه بقطع الرأس ونفذ الحكم فى ٢١ يناير ١٧٩٣ فى ساحة الكونكورد وفى ١٧ أكتوبر من ذات السنة قطع رأس الملكة وكان عمرها ٣٨ سنة وقد تميزت بالشجاعة والنبل والعنفوان أثناء المحاكمة وعند لحظة الإعدام! وبقى ولى العهد الطفل وحيدًا فى السجن ثم مات بعد فترة متأثرًا بمرضه.

(٣)

ذو الفقار على بوتو

لحظة اشتهاء العسكر للسلطة !!



استمر حكم ذو الفقار على بوتو فى منصبه حتى عام ١٩٧٧ حينما نجح انقلاب عسكرى قاده الجنرال ضياء الحق فى إلقاء القبض عليه وإيداعه السجن بتهمة الابتعاد عن الممارسات الديمقراطية، ووضع ضباط الانقلاب ابنته بى نظير ،التى تولت فيما بعد رئاسة الوزراء بعد أول انتخابات جرت بعد وفاة ضياء الحق بحادث غامض، وتم اغتيالها بعد سنوات طويلة ، تحت الإقامة الجبرية.

وفى لحظة فاصلة فى تاريخ باكستان تغلبت فيها شهوة السلطة التى سيطرت على الانقلابيين على صوت العقل ، لم تفلح الوساطات الإسلامية والدولية فى الإفراج عنه.

وفى أبريل ١٩٧٩ نفذ فيه حكم الإعدام ليودع الحياة السياسية الباكستانية عن عمر يناهز ٥١ عاما.

ذو الفقار على بوتو تدرج فى المناصب الرسمية وكان منها رئيس البلاد (١٩٧١-١٩٧٣) ورئيس الوزراء (١٩٧٣-١٩٧٧) وهو مؤسس حزب الشعب الباكستانى.

وقد أُعدم عام ١٩٧٩ بعد محاكمة مثيرة للجدل لموافقته على اغتيال سياسى معارض فى خطوة اعتبرها البعض بدفع من القائد العسكرى محمد ضياء الحق.
ولد ذو الفقار على بوتو عام ١٩٢٨ فى إقليم السند الذى أصبح تابعا لباكستان بعد عام ١٩٤٧، لعائلة إقطاعية، وكان الولد الثانى للسيد شاه نواز بوتو، وله ابن آخر يكبره واسمه إسكندر ميرزا أحد الشخصيات الباكستانية المعروفة، وكان يعتنق المذهب الشيعى الاثنّى عشرى، وفى رواية لـ بى نظير بوتو فى كتابها (ابنة المصير) فى الفصل الأول أن عائلتها سنية المذهب فى محاولة منها لـ للتقارب مع السنة فى باكستان.

تلقى بوتو تعليمه الأولى فى المدرسة العليا لكاتدرائية بومباى (مومباى حاليا)، ثم سافر إلى الولايات المتحدة الأميركية لاستكمال دراسته العليا فى مجال العلوم السياسية بجامعتى كاليفورنيا الجنوبية عام ١٩٤٧ بروكلى عام ١٩٤٩ ثم جامعة أكسفورد فى بريطانيا التى نال منها شهادة فى الحقوق.

تزوج ذو الفقار مرتين، الأولى وهو فى الثالثة عشرة من عمره من ابنة عمه وهى أميرة خاتون، فذهب بوتو لإكمال تعليمه وهى رجعت إلى أهلها ولم ينجب منها. والثانية من نصرت أصفهانى، الإيرانية، عام ١٩٥١ وأنجب منها أربعة من الأولاد أكبرهم بى نظير التى أصبحت أول رئيسة وزراء فى باكستان عام ١٩٨٨.

تأثر بوتو بشخصية مؤسس دولة باكستان الحديثة محمد على جناح. وكان يؤمن بما أسماه الاشتراكية الإسلامية تارة والاشتراكية الديمقراطية تارة أخرى. وارتدى لباسا يشبه الزى الذى كان يرتديه القادة الاشتراكيون فى الصين. ويعتبر مؤسسات المجتمع المدنى صمام أمان بالنسبة للمجتمع الحر. ويدعو إلى سيطرة الدولة على المؤسسات الإنتاجية الحيوية حتى لا تشعر الطبقات الفقيرة بوطأة متطلبات التنمية.

اشتغل بوتو فور انتهائه من دراساته بالخارج فى مهنة المحاماة. ولمع اسمه على المستوى القومى للمرة الأولى عام ١٩٥٤ بسبب مواقفه الرافضة للدعاوى الانفصالية التى بدأت بوادرها فى الظهور بين باكستان الغربية والشرقية. ازدادت شهرته بعد أن سافر ضمن الوفد الباكستانى لحضور جلسة الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٥٧ والتى ألقى فيها الخطاب الرسمى لبلاده وكان عن العلاقات الهندية - الباكستانية. رأس وفد بلاده أيضا فى أول مؤتمر دولى عقد فى جنيف بسويسرا تحت إشراف الأمم المتحدة عام ١٩٥٨ لمناقشة القانون الدولى للبحار.

كان أول منصب سياسى رفيع يتولاه بوتو فى حكومة الرئيس إسكندر على ميرزا هو وزارة التجارة عام ١٩٥٨.

وفى الفترة من ١٩٦٣ إلى ١٩٦٦ شغل بوتو منصب وزير الخارجية، وكان من أهم إنجازاته خلال تلك الفترة زيادة فعالية السياسة الخارجية الباكستانية ضمن دول عدم الانحياز. وتوصله إلى اتفاقية للحدود مع الصين فى ٢ مارس ١٩٦٣ إضافة إلى تطويره لعلاقات باكستان بكل من تركيا وإيران ودول العالم العربى.

لعب ذو الفقار على بوتو دورا مهما فى المشكلة الكشميرية إبان عمله وزيرا للخارجية، وكان يمثل دائما الخط المتشدد داخل الحكومة فى ما يتعلق بطرق حل هذه القضية.

واستطاع فى عام ١٩٦٥ إقناع الرئيس أيوب خان بالهجوم على الأراضى الكشميرية الخاضعة للسيادة الهندية وهو ما أشعل الحرب الثانية بين الهند وباكستان. ولم يستطع الجيش الباكستانى تحقيق نصر حاسم على الهند، الأمر الذى دفع بالرئيس أيوب خان إلى توقيع اتفاقية سلام مع الهند فى يناير ١٩٦٦ عرفت باسم اتفاقية طشقند.

ترك ذو الفقار على بوتو الحكومة عام ١٩٦٦ بعد أن تفاقمت الخلافات بينه وبين الرئيس محمد أيوب خان بشأن اتفاقية طشقند وأسس عام ١٩٦٧ حزب الشعب الباكستانى واختير أمينا عاما له وحدد الأسس التى تقوم عليها المنطلقات الفكرية للحزب فى المحافظة على العقيدة الإسلامية ، واعتبار الديمقراطية أساسا لسياسات الحزب ، قيام النظام الاقتصادى على المبادئ الاشتراكية ، حصر السلطة بيد الشعب.

وقد لقى هذا الحزب تأييدا واسعا لدى قطاعات عريضة من الباكستانيين وبالأخص فى الأوساط الطلابية ولا سيما بعد أن راج بوتو يتهم الجيش بالتقصير فى حرب ١٩٦٥ ويطالب الحكومة بمزيد من الديمقراطية ويتهمها بسوء استعمال السلطة. كان من نتيجة هذه الانتقادات الحادة أن ألقى القبض عليه واعتقل لمدة ثلاثة أشهر خلال عام ١٩٦٨ سببت انتقادات بوتو تنامى الغضب الشعبى تجاه حكومة أيوب خان مما أجبره فى النهاية على الاستقالة عام ١٩٦٩ ليتولى السلطة بعده أغا محمد يحيى خان.

هزمت باكستان فى حرب ١٩٧١ أمام الهند، وكان من أهم نتائج هذه الهزيمة انفصال باكستان الشرقية تحت مسمى بنغلاديش، ولم يستطع الرئيس أغا محمد يحيى خان تحمل تبعات هذه الهزيمة فقدم استقالته ليتولى الحكم من بعده ذو الفقار على بوتو الذى فاز حزبه بأغلبية الأصوات فى باكستان الغربية أثناء الانتخابات البرلمانية التى كانت قد جرت فى ديسمبر , ١٩٧٠ وخلال تولى بوتو الرئاسة كان من أهم إنجازاته اتخاذ عدة إجراءات وقرارات مهمة لتحديث الصناعة الباكستانية عموما من ناحية وفرض سيطرة الدولة على الصناعات الرئيسية من ناحية أخرى.

قـرار انسـحـاب بلاده من الكومنولث بعد اعـتـراف بريطانيا والدول الغـربيـة بدولة بنغلاديش الجديدة.

وقد أثار نجاحه فى حصول باكستان على مفاعل ذرى من فرنسا أزمة داخل المعسكر الغربى آنذاك.

ويذكر له توصله عام ١٩٧٢ إلى اتفاقية سياسية مع الهند عرفت باسم "اتفاقية شملا" مهدت الطريق أمام استعادة باكستان الأراضى التى سيطرت عليها الهند فى حرب عام ١٩٧١.

وفى عام ١٩٧٣ وبعد أن أقرت الجمعية الوطنية دستور البلاد أصبح ذو الفقار على بوتو رئيسا للوزراء.

(٤)

بينيتو موسولينى ..
أعدموه وعلقوا جثته !!



هذا هو ديكتاتور إيطاليا العتيد وحليف النازى هتلر فى الحرب العالمية الثانية التى كان يحلم بتقاسم غنائمها معه ، بعد أن يخرجا منها منتصرين ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهى السفن ، وفى لحظة فاصلة تم إعدامه وعشيقته كلارا ، وتدلت جثتاهما من حيث علقتا من أقدامهما لتكونا شاهدتين على النهاية !!

ففى يوم ١٨ ابريل ١٩٤٥، بينما الحلفاء على وشك دخول بولندا والروس يزحفون نحو برلين، غادر موسولينى مقر إقامته فى سالو رغم اعتراضات حراسه الألمان، فظهر فى ميلانو ليطلب من أسقف المدينة أن يكون وسيطا بينه وبين قوات الأنصار للاتفاق على شروط التسليم التى تتضمن إنقاذ رقبته، إلا أن قيادة الأنصار التى كان يسيطر عليها الحزب الشيوعى الإيطالى أصدرت أمرا بإعدامه، وتابع هو رحلته بالسيارة متخفيا ومعه عشيقته كلارا ليخوض ما أسماه بمعركة الشرف الكبرى والأخيرة، وعندما وصل إلى مدينة كومو القريبة من الحدود السويسرية تبين أنه كان واهما وأن أنصاره المخلصين لا يزيدون على عدة عشرات من الأشخاص، أخذوا ينفضون من حوله بسرعة عندما شاهدوا الزعيم يهذى وبه مس من الجنون.

وفى ٢٥ أبريل كان فى كومو مدينة عشيقته الأخيرة " كلارا " ومنها كتب آخر رساله له إلى زوجته " راخيلا " يطلب منها الهروب إلى سويسرا. فى ٢٦ أبريل زاد خوفه ففر إلى ميناجيو مدينة عشيقته الأخرى « أنجيلا » حاول موسولينى الهرب مع عشيقته كلارا باختبائه فى مؤخرة سيارة نقل متجها إلى الحدود ولكن السائق أوقف السيارة وأمرهم بالنزول وأخذ بندقيته وأخبرهم بأنه قاتلهم باسم الشعب الإيطالى.

اعتقل الدوتشى وعشيقته كلارا بيتاتشى فى ٢٦ أبريل ١٩٤٥ فى دونغو فى منطقة بحيرة كومو شمال البلاد فيما كانا يحاولان الفرار إلى سويسرا.

فى اليوم التالى أتت الأوامر من مجلس جبهة التحرير الشعبيه بإعدام موسولينى وجاء العقيد "فاليريو" الذى انضم سرا للجبهة إلى مكان اعتقال موسولينى وأخبره بأنه جاء لينقذه وطلب منه مرافقته إلى المركبة التى كانت فى الانتظار. ذهب به إلى فيلا بيلموت المجاورة حيث كان فى انتظارهم فرقه من الجنود. كانت جبهة التحرير قد قبضت على أغلب معاونيه وحددت ١٥ شخصا

منهم بإعدامهم وفى يوم ٢٩ أبريل تم تجميعهم بمن فيهم موسولينى وعشيقته "كلارا" وتم نقلهم ليُشنقوا مقلوبين من أرجلهم فى محطة البنزين فى مدينة ميلانو.

وعرضت جثتاهما مع جثث خمسة قادة فاشيين آخرين فى ساحة عامة فى ميلانو معلقة من الأرجل أمام محطة لتزويد الوقود. وجاءت الجماهير تسبهما وتشتمهما وتبصق عليهما وترميهما بما فى أيديهم. وفقدت الجماهير السيطرة على نفسها فأخذت بإطلاق النار على الجثتين وركلهما بالأرجل. وفى القرى والمدن قتل كثير من الفاشيست حيث وضعت جثثهم فى سيارات نقل الأثاث وتجولت بهم فى شوارع ميلانو.

وبعد انتهاء كل شىء أخذت الجثث ودفنت سرا فى ميلانو. وفى سنة ١٩٥٧ سلمت جثة موسولينى لأهله لتدفن قرب مدينته التى ولد بها.

كان موسولينى فى فترة حكمه رئيس الدولة الإيطالية ورئيس وزرائها وفى بعض المراحل وزير الخارجية والداخلية. من مؤسسى الحركة الفاشية الإيطالية وزعمائها. سمى بـ الدوتشى (بالإيطالية) أى القائد.

ولد بينيتو موسولينى ٢٩ يوليو ١٨٨٣ وترعرع فى قرية دوفو دينو بريدابيو قرية صغيرة بشمال إيطاليا. من أبوين إيطاليين روزا واليساندرو موسولينى.وسمى بينيتو على اسم الرئيس الإصلاحى المكسيكى بينيتو خواريس. وكانت والدته معلمة وأبوه حداداً. كانت عائلته فقيرة كسائر عائلات الأقارب والجيران وعندما كان موسولينى طفلا كان همجياً ومتهوراً. ومنع من دخول كنيسة والدته لسوء سلوكه فكان يرمى رواد الكنيسة بالحجارة.اضطر إلى دخول المدرسة متأخرا فى مدرسة داخلية. لم يكن كثير الكلام ولكنه كان يجيد استعمال قبضته.. عندما كان فى الثامنة من عمره كان يسرق ودائم الشجار مع بقية أقرانه. وكان دائم المشاكل فى المدرسة وقد طرد من المدرسة لطعنه ولدا آخر بالسكين فى بطنه.

فى عام ١٩٠٢ هاجر إلى سويسرا هربا من الخدمة العسكرية. خلال هذه الفترة لم يستطع العثور على عمل دائم فيها، وتم القبض عليه بتهمة التشرد وسجن ليلة واحدة. ففى صبيحة يوم ٢٤ يوليو ١٩٠٢، أُوقف من طرف الشرطة تحت جسر قضى تحته ليلته. لم يكن بحوزته حينها إلا جواز سفر وشهادة التخرج من مدرسة المعلمين و١٥ سنتيما.

بعد ذلك ، اشتغل مدرسا مؤقتا للصف الابتدائى فى بلدة غوالتيارى لكن لم يتمّ تجديد عقد عمله بسبب علاقة أقامها مع سيدة كان زوجها متغيبا لأداء الخدمة العسكرية.

قضى موسولينى الأشهر الأولى من عام ١٩٠٤ بين جنيف وآنماس (فى فرنسا المجاورة) فى عقد اجتماعات وإلقاء محاضرات ذات طابع سياسى ونقابى إضافة إلى مراسلات صحفية مع منشورات ومجلات اشتراكية وفوضوية.

وفى شهر أبريل من عام ١٩٠٤، أفلت - بفضل تدخل حاسم من سلطات كانتون تيشينو - من الإبعاد مجددا إلى إيطاليا التى حُوكم فيها بتهمة التقاعس عن أداء الواجب العسكرى. ثم تحول إلى لوزان حيث سجل فى كلية العلوم الاجتماعية وتابع لبضعة أشهر محاضرات عالم الاجتماع فيلفريدو باريت.

بعد ذلك، وجد له عملا فى مدينة تورينتو ذات الأصول الإيطالية والتى كانت تحت سيطرة النمسا -المجر فى فبراير ١٩٠٩ هناك اشتغل شغلا إداريا للفرع المحلى للحزب الاشتراكى ومحررا لصحيفة افقينيرى دل لافوراتورى ("مستقبل العامل"). فى عام ١٩١٥ كان تزوج ورزق بابن من دالسير من سوبرامونتى بالقرب تورنيتو. نشر رواية رومانسية مبتذلة بعنوان عشيقة الكاردينال بعد عفو عن الهاربين من خدمة الجيش.

فى الفترة الفاصلة ما بين عامى ١٩٠٨ و١٩١٠، أقام موسوسلينى فى سويسرا لفترات متقطعة. فعمل بنّاء فى شركة المقاولات البرية وفى لوغانو حيث تعرف على الزعيم الاشتراكى غوليالمو كانيفاشينى الذى استضافه فى بيته.



الديكتاتور معلقا من قدميه بعد إعدامه !!



وصورة أخرى مع عشيقته كلارا التى واجهت معه نفس اللحظة الكارثية !!

عندما أعلنت إيطاليا عام ١٩١١ الحرب على تركيا وتحركت لغزو ليبيا، قاد موسولينى ككل الاشتراكيين، مظاهرات ضد الحرب وحوكم وسجن لعدة أشهر، وبعد إطلاق سراحه رحب به الاشتراكيون وعينوه رئيسا لتحرير جريدتهم الوطنية «إلى الأمام»

ثم فجأة ودون مقدمات أو مشاورات مع قيادة الحزب الاشتراكى نشر موسولينى مقالا فى الجريدة يطالب فيه إيطاليا بالدخول إلى جانب الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى، فطرد من عمله والحزب واتهم بالخيانة، وقد فسر هذا التحول بأنه قبض مبلغا سريا من الحكومة الفرنسية.

بدأت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ وقد دخلت إيطاليا الحرب حيث قضى موسولينى عامين بالجيش وبعد انتهاء الحرب كانت إيطاليا تشهد كثيرا من المشاكل. لم يكن العمل متوفرا للجنود العائدين من الحرب.. والأسعار عالية ولم يكن باستطاعة الفقراء شراء حوائجهم. وكانت هناك الاضرابات فى المدن وتشكلت العصابات من الفقراء وبدأت بحرق بيوت الأغنياء. وكان الجميع خائفا من شىء ما .وقد استشعر موسولينى مزاج الشعب وحالته النفسية وكان يرى غضب الجنود. لم يكن موسولينى راضيا عن حياة الفقراء وكان يريد تغيير ذلك وكان يؤمن بأن العنف هو السبيل الوحيدة لتحقيق ذلك.

أصبحت الفاشية حركة سياسية منظمة بعد اجتماع ميلانو، فى ٢٣ مارس ١٩١٩ (أسس موسولينى فاسكى دى كومباتيمنتو فى ٢٣ فبراير). بعد فشله فى انتخابات ١٩١٩، تمكن موسولينى من دخول البرلمان فى عام ١٩٢١ . شكلت الفاشية فرقاً مسلحة من المحاربين القدامى سميت سكوادريستى لإرهاب الفوضويين والاشتراكيين والشيوعيين.

زحف موسولينى بتظاهراته الكبرى التى شارك فيها نحو أربعين ألفا من أصحاب القمصان السود الذين جاءوا من مختلف المدن الإيطالية ليحقق مسيرته الكبرى إلى روما المهترئة عام ١٩٢٢. هؤلاء الذين لم يكن لهم أى وجود غداة الحرب العالمية الأولى، فإذا بهم خلال سنوات قليلة يصل تعدادهم إلى عشرات الألوف من المضلّلين، الذين يحملون هوية الحزب الذى شكله موسولينى وينعمون بالامتيازات، وسط أوضاع متردية سياسيا واقتصاديا، هيأت لموسولينى الذى تحول من الاشتراكية إلى الفاشية من جعل حزبه بديلا لدولة لم تعد ذات وجود ومكنه من القيام بحملة ديماغوجية حرك من خلالها الغرائز المتطرفة لعدد كبير من العاطلين عن العمل من الجنود المسرحين، ومن ذوى السوابق الإجرامية، ومن فلول عصابات الإجرام المنظم المافيا والكومورا وفايدا فجعل لهم أيديولوجية

متعصبة إلى حد التطرف ليملأ الفراغ السياسى والأيديولوجى والروحى المأزوم بسبب الهزيمة المريرة فى الحرب العالمية الأولى.

ونتيجة لعدم تدخل الحكومة تفاقمت المشكلة فقام موسولينى مقابل دعم مجموعة من الصناعيين بالموافقة على استخدام قواته فى كسر الإضراب ووقف الانتفاضات الثورية. عندما فشلت الحكومات الليبرالية التى ترأسها جوفانى جوليتى، يفانوى بونومى وويجى فاكتا فى وقف انتشار الفوضى. إيطاليا استجابت له بطريقة سحرية فى البداية وعاد العمال لمصانعهم والطلاب إلى مدارسهم وبدأ الدوتشى رحلة للسيطرة على السلطة بحيث أصبح فى النهاية الحاكم الوحيد الذى لا يخضع إلا للملك.

وفى الثانى من أكتوبر وباحتفال بمدينة نابولى الجنوبية يصرخ موسولينى إما أن تعطى لنا الحكومة أو سنأخذ حقنا بالمسير إلى روما وتجييه الحشود.. إلى روما.. إلى روما. وبعد تنظيم الفاشيين لمظاهرات ومسيرات التهديد (مارسيا سو روما)"مسيرة روما" (٢٨ أكتوبر ١٩٢٢)، توجه ١٤٠٠٠ فاشى إلى روما بالقطارات والحافلات، ونتيجة الذعر الذى شعرت به الحكومة عرض على موسولينى منصب وزير فى الحكومة، وناشد رئيس الوزراء الملك إعلان حالة الطوارئ، لكن الأخير رفض.

دعا فيتورى مانويلى الثالث (الملك الإيطالى) موسولينى لتأليف حكومة جديدة وكان عمره آنذاك ٣٩ سنة، وأصبح أصغر رئيس وزراء فى تاريخ إيطاليا فى ٣١ أكتوبر ١٩٢٢.

أخذ موسولينى يلوح بقوته الهائلة وقدرته على تعبئة اثنى عشر مليونا مسلحين بأحدث الأسلحة، فى حين أن الرقم الحقيقى لم يكن يتعد المليونين. أما الطائرات والبوارج والدبابات الثقيلة التى طالما تحدث عنها، فلم يكن لها وجود، فلم تكن قواته تملك سلاحا أثقل من العربات المصفحة التى تزن ثلاثة أطنان. وظل موسولينى يصر على" أن الفاشية لا تؤمن بإمكانية ولا بفائدة السلم الدائم، الفاشية تفهم الحياة كواجب ونضال وقهر".

السياسة الخارجية التى اتبعها النظام الفاشى تجنبت خيار السلام، واعتبرته ظاهرة متعفنة. وبالمقابل، دعمت فكرة إعادة مجد الإمبراطورية الرومانية

القديمة، وطمحت لتوسيع مناطق نفوذ إيطاليا. حتى بداية الحرب العالمية الثانية، وإقامة محور برلين- روما-طوكيو، كانت إيطاليا قد احتلت اثيوبيا (١٩٣٥)، وحاربت مع نظام فرانكو الفاشى فى إسبانيا (بين الأعوام ١٩٣٦-١٩٣٩)، واحتلت ألبانيا (ابريل ١٩٣٩).



موسولينى مع هتلر وحلم بالانتصار وتقسيم النازى لأوربا بعد الانتصار معه !!

وتحالف هتلر مع موسولينى بعد "معاهدة فرساى" التى حسمت الحرب العالمية الأولى وعمل على إحياء العمل بالتجنيد الإلزامى وكان يرمى إلى تشييد جيش قوى مسنود بطيران وبحرية يُعتد بها وفى نفس الوقت، إيجاد فرص عمل للشبيبة الألمانية

شهدت فترة حكم الحزب النازى لألمانيا انتعاشاً اقتصادياً مقطوع النظير، وانتعشت الصناعة الألمانية انتعاشاً لم يترك مواطناً ألمانيا بلا عمل. وتم تحديث السكك الحديدية والشوارع وعشرات الجسور مما جعل شعبية الزعيم النازى هتلر ترتفع إلى السماء.

كان موسولينى يريد لإيطاليا أن تكون دولة عظمى وكان مستعدا لخوض الحروب من أجل ذلك. صادق الزعيم الألمانى أدولف هتلر الذى كان معجبا به وفى سنة ١٩٣٩ عقدت إيطاليا وألمانيا معاهدة سميت بالحلف الفولاذى وكانت إيطاليا فى حاجة إلى أربع سنوات حتى تستعد للدخول فى الحرب ولكن الحرب نشبت بعد ذلك بعامين ولم يكن موسولينى كثير القلق بخصوص الحرب لأنه ظن أنها ستنتهى فى عدة أشهر بانتصار ألمانيا.

كان يحلم علنا بأن يسيطر على كل حوض البحر الأبيض المتوسط، ويحوله إلى بحيرة إيطالية وأن ينشئ إمبراطورية تمتد من الحبشة إلى ساحل غينيا الغربى، وكان يدعو إلى زيادة النسل ليزيد عدد الإيطاليين فيمكنهم بالتالى استعمار واستيطان هذه الإمبراطورية الشاسعة.

تسلم موسولينى زعامة إيطاليا وغير سياسة إيطاليا اللينة فى ليبيا إلى الشدة. فنقض الاتفاقات المعقودة مع الليبيين ورفض الاعتراف بالمحاكم الشرعية فى المناطق التى يسيطر عليها الطليان، وأبى إلا أن يكون الجميع خاضعاً لإيطاليا، وعين لهذا الغرض حاكماً جديداً هو «بونجيوفانى» ومنحه سلطة مطلقة فى حكم ليبيا وزوده بصلاحيات واسعة وجيش كبير بقيادة اللواء «رودولفو جرتزيانى» واللواء «بادوليو». فأمر المفوّض السامى الإيطالى الجديد بحل معسكرات القبائل فى ولاية برقة. وأمر قواته باحتلال مركز القيادة السنوسية أجدابيا فى عام ١٩٢٣م.

أثناء محاولاته اليائسة لتنفيذ خطته فى ترسيخ الاستيطان الاستعمارى فى ليبيا، قتل ٢٠٠ ألف نسمة من المواطنين الليبيين طوال ثلاث سنوات فقط قبل عثوره على الثائر عمر المختار واعتقاله. حيث قررت المحكمة إعدام المختار رغم سنه الذى جاوز الخامسة والسبعين، فأعدم فى اليوم التالى فى ١٦ سبتمبر ١٩٣١ بمركز «سلوق» فى بنغازى. وقد واصل الإيطاليون استباحتهم للشعب الليبى، فوصل عدد الشهداء إلى ""٥٧٠٩٢٨"" شهيداً إضافة إلى مصادرتهم الأراضى الليبية من أصحابها، وشجعوا هجرة الإيطاليين إلى ليبيا وأمدوهم بالأموال وفتحوا لهم المدارس.

وفى التاسع من نوفمبر ١٩٣٩ أى قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية بتسعة أشهر،أصدر موسولينى مرسوما بضم ليبيا (طرابلس وبرقة) وجعلها جزءا من الوطن الام (ليبيا بالأصل تطلق على الصحراء التى تقع غرب نهر النيل وجنوب برقة وطرابلس). مع منح السكان الجنسية الإيطالية وإلزامهم بتعلم اللغة ومن عارضه هتك عرضه، وأمر بالقاء كثير من الناس من الطائرة وهم أحياء إلى غير ذلك من الأعمال الوحشية.

وغزا إثيوبيا فى أكتوبر ١٩٣٥، دون إعلان حرب على اعتبار أنها أقل من أن تستحق هذا الشرف، وكان لتوه قد انتهى من سحق ثورة عمر المختار فى ليبيا بوحشية بالغة.

وفى ٢٥ أكتوبر ١٩٣٦، تحالف هتلر مع الفاشى موسولينى الزعيم الإيطالى واتسع التحالف ليشمل اليابان، هنغاريا، رومانيا وبلغاريا بما يعرف بحلفاء المحور.

وفى ٥ نوفمبر ١٩٣٧، عقد هتلر اجتماعاً سريّاً فى مستشارية الرايخ وأفصح عن خطّته السرية فى توسيع رقعة الأمة الألمانية الجغرافية.

وفشلت القوى الغربية فى التحالف مع الاتحاد السوفييتى فانتهز هتلر الخلاف الغربى السوفييتى وأبرم معاهدة "عدم اعتداء" بين ألمانيا والاتحاد السوفييتى مع ستالين فى ٢٣ أغسطس ١٩٣٩.

وفى أول سبتمبر ١٩٣٩ غزا هتلر بولندا ولم يجد الإنجليز والفرنسيون بدّاً من إعلان الحرب على ألمانيا.

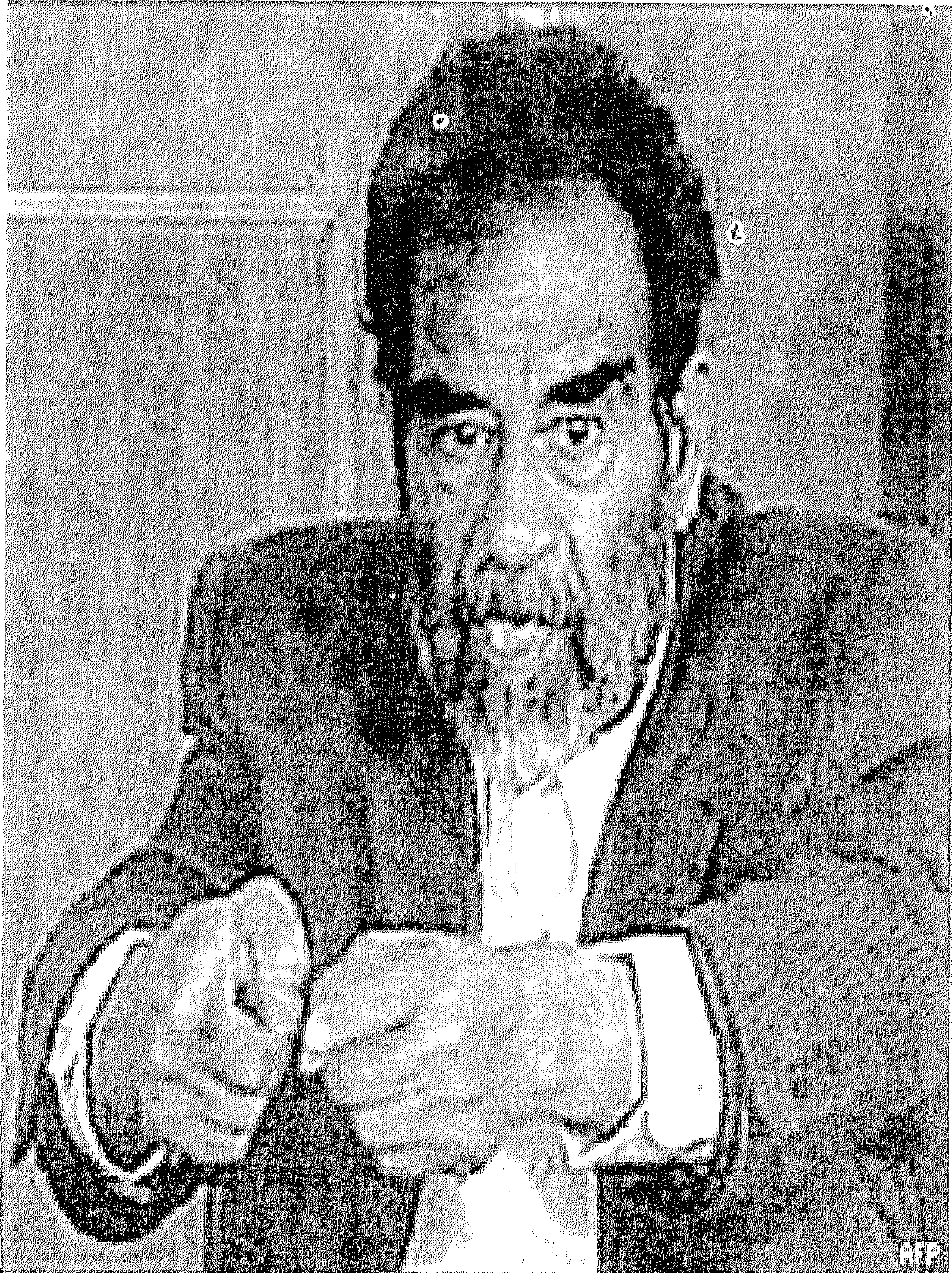
كانت الحرب عارا على إيطاليا بعد انضمام موسولينى مع هتلر حيث فشل الطليان فى احتلال اليونان ثلاث مرات حتى جاء هتلر لنجدتهم وفى ليبيا لم يكونوا بأحسن حال حيث انهزموا أمام البريطانيين وفى آخر الأمر وضع موسولينى جيشه تحت إمرة الألمان. حروب هتلر كانت سيئة بالنسبة للطليان ولكن موسولينى كان يتبع خطاه فى كل شىء. حتى عندما دخل هتلر روسيا. أرسل موسولينى جنود إيطاليا إلى هناك. وبعدها بقليل كانت إيطاليا فى حرب مع أميركا.

وبحلول عام ١٩٤٢ كانت إيطاليا على الهاوية. جيشها مهزوم وجائع ولديهم نقص فى العتاد والسلاح، وكان هناك نقص فى المؤن داخل إيطاليا نفسها. وغضب الشعب وتوجه ضد الحرب ورأى أن موسولينى قد كذب عليهم حتى وصل الأمر أن بلادهم قد احتلت من قبل الجيوش البريطانية والأميركية وأصبح موسولينى عدو الشعب الأول.

(٥)

صدام حسين ..

أسرار اللحظة الأخيرة !!



تم إعدام الرئيس العراقى صدام حسين فجر يوم عيد الأضحى الموافق الثلاثين من ديسمبر عام ٢٠٠٦ وقد جرى ذلك بتسليمه للحكومة العراقية من قبل حرسه الأمريكى تلافياً لجدل قانونى فى أمريكا التى اعتبرته أسير حرب.

تناول الرئيس صدام حسين قبيل إعدامه -وبحسب أكثر من رواية- وجبته الأخيرة، وكانت طبقا من الأرز والدجاج، وشرب كوبا من العسل بالماء الساخن، وهو الشراب الذى يقال إنه اعتاد على تناوله منذ أيام طفولته.

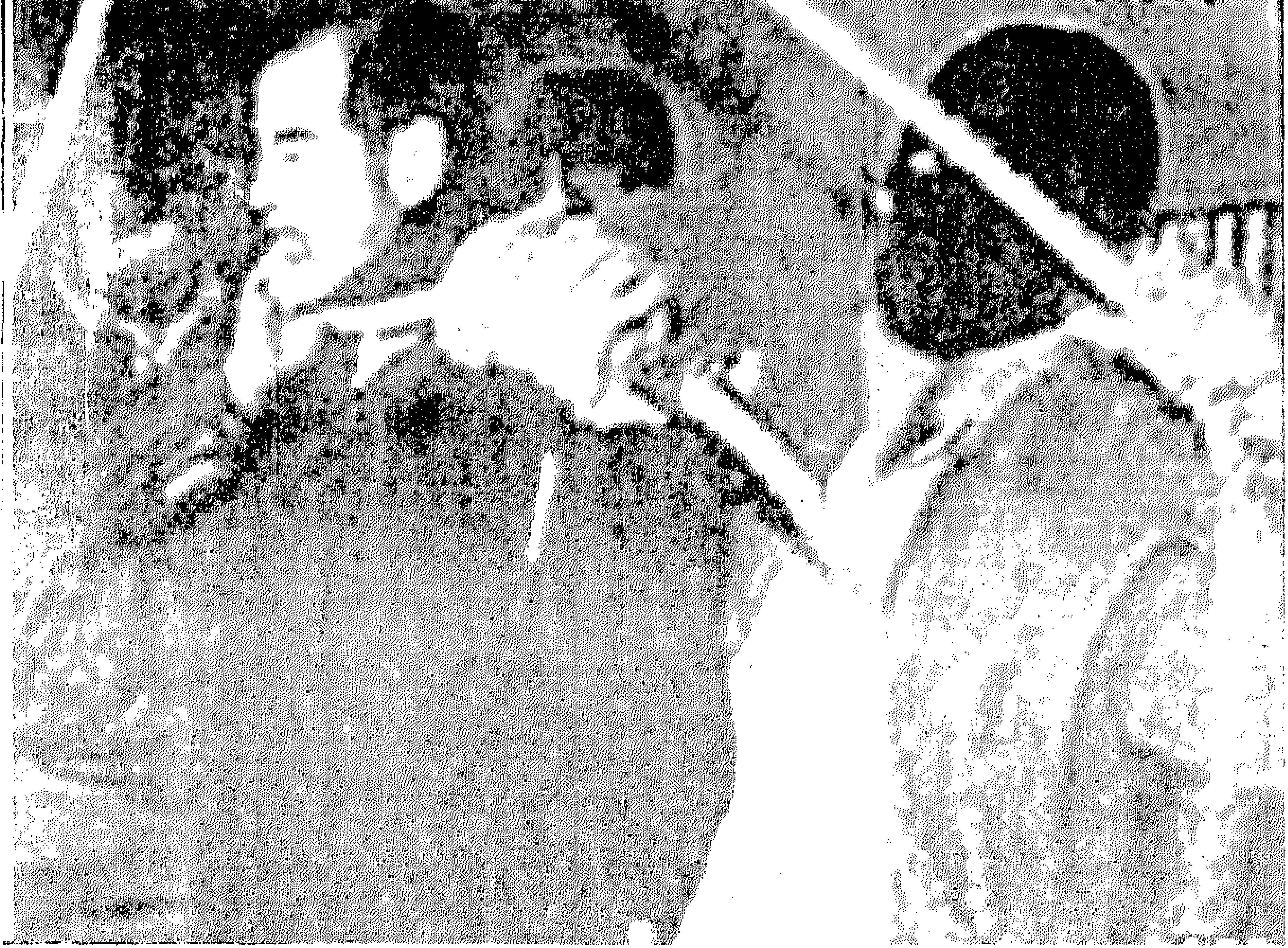
وقد ذكر مستشار رئيس الوزراء العراقى للأمن القومى موفق الربيعى أن صداما قبل الحكم كان خائفاً ومرتبكاً غير مُصدّق لما يحدث حوله وأن الإعدام تم بوجود رجل دين سنى وعدد من القضاة. وتم نشر بعض الصور لعملية الإعدام.

ومع ذلك ، وفى نفس اليوم انتشر فيلم مصور بهاتف محمول فى بعض المواقع على الإنترنت يصور خلاف هذه الرواية تماماً حيث بدا صدام هادئاً متماسكاً، ونطق الشهادتين وتجاهل بعض عبارات الحاضرين.

وقد تم تصوير مشهد الإعدام بواسطة جهاز هاتف محمول مزود بكاميرا تصويراً مدته ٢:٣٨ دقيقة، قامت بعرضه بعض القنوات الفضائية العربية والأجنبية، ويصور آخر اللحظات الأخيرة قبل إعدام صدام حسين.

ويظهر الفيلم قاعة بارتفاع ما يقرب من خمسة أمتار يوجد بها منصة على ارتفاع ثلاثة أمتار حيث قام المصور بالتصوير بالقرب من درج حديدى على يسار القاعة يؤدى إلى المنصة حيث ظهر صدام حسين وقد قيدت يداه إلى الخلف ويوجد عدد من الرجال المقنعين بلباس مدنى حوله. ويعتقد أنها إحدى غرف الإعدامات فى أحد مبانى الاستخبارات العسكرية العراقية السابقة وتحديداً مبنى إعدامات الشعبة الخامسة فى الكاظمية.

ويصور الفيلم رفض صدام ارتداء كيس أسود لتغطية رأسه ثم قوله "يا الله".



ثم تقدم صدام باتجاه المشنقة ووقف على المنصة بهدوء محاطاً بالحراس وقام أحد الحراس بلف الكيس الأسود على رقبتهِ ومن ثم لف حبل الإعدام والإنشوطة على يسار صدام.

ثم صرخ أحدهم "مقتدى مقتدى مقتدى". فرد صدام عليه وقال "هى هاى المرجلة"(أى هل تعتقدون أنكم تقومون بعمل رجولى ؟).

ثم سمع أحد الحاضرين يقول "إلى جهنم". وهتف آخر "عاش محمد باقر الصدر".الذى أعدمه صدام مع أختهِ.

من جانبه فإن (صدام) تجاهل الصياح وردد صدام "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله".

فقال آخر "رجاء لا..أترجاكم لا..الرجل فى إعدام". قالها موفق الربيعى،

وفى هذه الأثناء كان صدام يتلو (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)، وهى الشهادة التى يتلوها المسلم عندما يعلم أن منيته قد قربت.

وما إن أعاد صدام تكرار الشهادتين حتى سمع صوت طرقعة يعتقد أنه صوت فتح البوابة الحديدية تحت أقدامهِ ويسقط فى حفرة الإعدام.

ثم سمع صوت أحد الحضور يصيح "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد". وصرخ آخر "سقط الطاغية لعنة الله عليه".

ثم ظهرت صورة صدام وهو معلق ينظر إلى الأعلى. وعلى وجههِ كدمة من أثر اصطدام وجههُ ببوابة المشنقة.

وعلى أثر ظهور الفيلم أصدرت الحكومة العراقية أوامر بتحقيق حول من قام بتصوير هذا الفيلم ومن هم الأشخاص الذين هتفوا فى غرفة الإعدام فى تاريخ ٢ يناير ٢٠٠٧م.

كما أمرت بإغلاق قناة الشرقية وقناة الزوراء اللتين عرضتا الشريط بسبب التحريض.

وأكد مساعد المدعى العام ان الذين صوروا الفيلم بكاميرا هاتف متحرك كانا مسؤولين رفيعى المستوى شهدا الإعدام رسمياً .

ولم يعلن عن أن مسؤولاً حضر الإعدام باستثناء موفق الربيعى ومستشار رئيس الوزراء، وقال مساعد المدعى العام للجزيرة إنه هو من قال أرجوكم الرجل فى إعدام رداً على الهتافات الاستفزازية لبعض من شهد الإعدام وهم ثلاثة عشر رجلا.

وقد دفن صدام فى مسقط رأسه بالعوجة- محافظة تكريت، حيث قامت القوات الأمريكية بتسليم جثته لثلاثة أفراد من المحافظة أحدهم شيخ عشيرة البنو ناصر على الندى التى ينتمى لها والذى قتل لاحقاً، وتم إغلاق منافذ البلدة لحين الانتهاء من الصلاة عليه ودفنه، حسب شهادة ابن عمه فى مقابلة مع الجزيرة.

وأظهر ابن عمه آثار كدمات على وجهه، فى إشارة إلى أنه تعرض للضرب بعد

موته، وخرجت جماعات متفرقة فى تكريت والمدن العراقية لتأبينه، فيما تم تأبينه فى عمان بمظاهرة كبيرة شاركت فيها ابنته رغد صدام حسين ومعظم القوى السياسية ، وجرى تأبينه فى عدد من العواصم العربية والإسلامية والأراضى الفلسطينية.

وقد تباينت الآراء حول الإعدام، فقد أيدته غالبية الشعب العراقى والولايات المتحدة، وأستراليا، وإسرائيل، وإيران وبالإضافة إلى أربعين دولة مشاركة فى جيش قوات الائتلاف واعتبرت إيران أن الحدث يشكل نصرًا للعراقيين، أما الكويت فقد اعتبرت الأمر شأناً عراقياً، واستنكره الفاتيكان واعتبر الإعدام فاجعة، وكذلك الاتحاد الأوروبى اعتبره خطأ فادحاً، وأدانت روسيا الولايات المتحدة رسمياً لعدم الإصغاء للمجتمع الدولى.

وذكرت فى بيان رسمى أن المحكمة باطلة كونها أنشئت فى ظل الاحتلال، وإعدامه قد يؤجج الصراع الطائفى فى العراق، وبنفس الموقف عبر عنه رئيس أفغانستان كرزاى وبيان مصر، وماليزيا التى كانت تتولى - آنذاك - منظمة المؤتمر الإسلامى فاستنكرت الإعدام وشن رئيس وزرائها السابق مهاتير محمد هجوماً على أمريكا واصفاً الإعدام بهمجية جديدة للرئيس بوش، أما حماس [illegible]ولى رئاسة الوزراء بفلسطين فقداعتبرته اغتيالاً سياسياً وكذلك حركة الإخوا[illegible] المسلمين وجميع فصائل المقاومة بفلسطين .

و[illegible]لق الكاتب والمفكر العراقى البارز حسن العلوى أن مشهد الإعدام كان مؤثر [illegible]وأن شجاعة صدام حولت ربطة شنقه إلى ربطة عنق، ويذكر أن حسن العلوى كان من الشخصيات المعارضة للنظام أيام صدام حسين.

ونشرت مجلة الدستور الأردنية عقب الاعدام أن ملكية الحبل آلت إلى مقتدى الصدر بن محمد محمد صادق الصدر وقيل إنه أحد الرجال الملثمين الذين. ظهروا على منصة الإعدام مع الرئيس صدام. ومن المعروف أن مقتدى كان من أكبر الداعين إلى إعدام الرئيس صدام منذ القبض عليه فى

خريف عام ٢٠٠٣؛ وذلك أن صدام حسين قد أعدم أباه محمد محمد صادق الصدر عام ١٩٩٩.

وذكرت صحيفة الدستور فى خبرها أن رجل أعمالٍ كويتيا عرض شراء الحبل بمبلغ مالى طائل.

صدام حسين عبد المجيد التكريتى (٢٨ أبريل ١٩٣٧ - ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٦) رئيس جمهورية العراق فى الفترة ما بين عام ١٩٧٩ وحتى ٩ أبريل ٢٠٠٣ ونائب رئيس الجمهورية العراقية بين ١٩٦٨ و١٩٧٩.

سطع نجمه إبان انقلاب حزب البعث (ثورة تموز)، والذى دعا لتبنى الأفكار القومية العربية، والتحضر الاقتصادى، والاشتراكية. ولعب صدام دوراً رئيسياً فى انقلاب عام ١٩٦٨ والذى وضعه فى هرم السلطة كنائب للرئيس اللواء أحمد حسن البكر، وأمسك صدام بزمام الأمور فى القطاعات الحكومية والقوات المسلحة المتصارعتين فى الوقت الذى اعتبرت فيه العديد من المنظمات قادرة على الإطاحة بالحكومة. وقد نما الاقتصاد العراقى بشكل سريع فى السبعينيات نتيجة سياسة تطوير ممنهجة للعراق بالإضافة للموارد الناتجة عن الطفرة الكبيرة فى أسعار النفط فى ذلك الوقت.

وكرئيس للجمهورية قام صدام بخوض حرب الخليج الأولى (١٩٨٠ . ١٩٨٨) ضد إيران وقام بغزو الكويت فى ٢ أغسطس ١٩٩٠ والتى أدت إلى نشوب حرب الخليج الثانية (١٩٩١)، وتمت إزاحته عن السلطة عام ٢٠٠٣ تحت حجة امتلاكه لأسلحة الدمار الشامل ووجود عناصر لتنظيم القاعدة تعمل من داخل العراق ،حيث ثبت عدم صحة تلك الادعاءات، وذلك فى الغزو الأمريكى للعراق وقُبض عليه فى ١٣ ديسمبر من ذلك العام. تم بعدها محاكمته وإعدامه.

ولد صدام فى قرية العوجة فى مدينة تكريت التابعة لمحافظة صلاح الدين لعائلة تمتهن الزراعة، توفى والده قبل ولادته بخمسة شهور وقام خاله خير الله طلفاح برعايتهِ حينئذ. والدته صبحة طلفاح المسلط تزوجت بعد وفاة والده للمرة

الثانية وأنجبت لهُ ثلاثة إخوة. فى سن الحادية عشرة، انتقل إلى العاصمة بغداد حيث قام بالعيش مع خالهِ. وتجدر الإشارة إلى أن أقارب له من بلدته تكريت كان لهم الأثر الأكبر على حياتهِ كرئيس.

وبتوجيهٍ من خاله، إلتحق صدام بالثانوية الوطنية فى بغداد. وفى سن العشرين عام ١٩٥٧، ارتبط صدام بحزب البعث القومى العربى، والذى كان خاله خير الله طلفاح داعماً له.

فى العام ١٩٥٨ تمكن الضباط الأحرار بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم من الإطاحة بالنظام الملكى القائم آنذاك بقيادة فيصل الثانى ملك العراق بثورة سميت ثورة ١٤ تموز والتى يحييها العراقيون فى زمن صدام حسين. ولم يكن البعثيون العراقيون يعجبهم نظام قاسم الاشتراكى، وفى عام ١٩٥٩، حاول البعثيون العراقيون وكان من بينهم صدام حسين، اغتيال رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم إلا أن محاولتهم باءت بالفشل فيما أصيب صدام بطلق نارى فى ساقهِ ولجأ إلى سوريا ومنها إلى القاهرة. وألقت بعدها السلطات القبض على الثائرين ضد ثورة قاسم.

فى ١٩٦٣ أسقط انقلاب قام به الجيش الزعيم عبد الكريم قاسم قبل أن يصل حزب البعث إلى السلطة فى انقلاب ١٩٦٨.

تولى صدام منصب نائب رئيس الجمهورية وأسس جهاز المخابرات العراقى الذى كان يعرف بـ جهاز حنين، وبدأ بمحاكمة كل من كان لهم ولاءات خارجية، وقام بتعيين من يثق به فى المناصب الأمنية المهمة مدعماً مكانته.

أصبح صدام رجل السلطة القوى. وأصبح الحاكم الفعلى للعراق قبل أن يصل إلى الحكم بشكل رسمى عام ١٩٧٩ بسنوات. وبدأ ببطء بتدعيم سلطته على الحكومة العراقية وحزب البعث. وتم إنشاء العلاقات مع أعضاء الحزب الآخرين بعناية، وبسرعة أصبح لدى صدام دائرة دعم قوية داخل الحزب.

وحينما أصبح الرئيس العراقى أحمد حسن البكر غير قادر على القيام

بمهامه، بدأ صدام يأخذ دوراً أبرز كشخصية رئيسية فى الحكومة العراقية، داخلياً وخارجياً. وبسرعة أصبح مهندس السياسات العراقية الخارجية ومثل العراق فى جميع المواقف الدبلوماسية. وفى نهاية السبعينيات، ظهر صدام كحاكم العراق الفعلى .

فى عام ١٩٧٣ ، ارتفعت أسعار النفط بشكل متزايد نتيجة أزمة النفط العالمية. واستطاع صدام متابعة خططه الطموحة فى السيطرة, وحكم العراق والوصول به إلى القمة وتطوير العراق بعائدات النفط الكبيرة.

وبفترة لا تتجاوز بضع سنوات، ونتيجة للطفرة الهائلة فى أسعار النفط وتحقيق الدولة موارد مالية كبيرة، قامت الدولة بصرف جزء منها للنهوض بواقع الشعب وقدمت الدولة الكثير من الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية للعراقيين، الأمر غير المسبوق فى الدول العربية الأخرى. وبدأت الحكومة "الحملة الوطنية لمحو الأمية" وحملة "التعليم الإلزامى المجانى فى العراق" وأنشأت الحكومة التعليم الكلى المجانى حتى أعلى المستويات العلمية؛ مئات الآلاف تعلموا القراءة فى السنوات التى تلت إطلاق تلك البرامج. كما دعمت الحكومة عائلات الجنود، ووفرت العناية الصحية المجانية للجميع، ووفرت المعونات المالية للمزارعين. وأنشأ العراق واحدة من أفضل أنظمة الصحة العامة فى الشرق الأوسط، ولكن بعد الثمانينيات أصبحت مظاهر التقهقر واضحة على البلاد بسبب الحصار الذى فرض على العراق، وأخذت الحالة تزداد سوءا حتى تحولت البلاد إلى الأكثر تخلفا فى منطقة الشرق الأوسط.

وفى ١٩٧٩ بدأ الرئيس أحمد حسن البكر بعقد معاهدات مع سوريا، التى يتواجد بها فرع آخر لحزب البعث، كانت ستقود إلى الوحدة بين الدولتين. وسيصبح الرئيس السورى حافظ الاسد نائبا للرئيس فى ذلك الاتحاد، ولكن قبل حدوث ذلك، استقال أحمد حسن البكر فى ١٦ يوليو , ١٩٧٩ وأصبح صدام بشكل رسمى الرئيس الجديد للعراق.

بعد ذلك بفترة وجيزة، جمع قيادات حزب البعث فى ٢٢ يوليو ١٩٧٩، وخلال الاجتماع، الذى أمر بتصويره، قال صدام بأنه وجد جواسيس ومتآمرين ضمن حزب البعث، وقرأ أسماء هؤلاء. وتم وصف هؤلاء بالخيانة وتم اقتيادهم واحدا تلو الآخر ليواجهوا الإعدام رميا بالرصاص خارج قاعة الاجتماع وعلى مسامع الحاضرين. وبعد انتهائه من قراءة القائمة، دمعت عينا صدام تألماً، وشجع الباقين لولائهم فى الماضى وفى المستقبل.

وسعى صدام حسين لأن يلعب العراق دوراً ريادياً فى الشرق الأوسط. فوقع العراق اتفاقية تعاون مع الاتحاد السوفييتى عام ١٩٧٢، وأرسل للعراق أسلحة وعدة آلاف من الخبراء. ولكن الإعدام الجماعى للشيوعيين العراقيين عام ١٩٧٨، وتحول العلاقات التجارية إلى الغرب وتّر العلاقات مع الاتحاد السوفيتى واتخذ العراق منحى أقرب إلى الغرب لاسيما فرنسا.

قام صدام بزيارة إلى فرنسا عام ١٩٧٦، مؤسساً لعلاقات اقتصادية وطيدة مع فرنسا ومع الدوائر السياسية المحافظة هناك. وقاد صدام المعارضة العربية لتفاهمات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩ وفى ١٩٧٥ تفاوض على تفاهمات مع إيران اشتملت على تنازلات بخصوص الخلاف الحدودى، وبالمقابل وافقت إيران على التوقف عن دعم المعارضة الكردية المسلحة فى شمال العراق.

أطلق صدام مشروع التقدم النووى العراقى فى الثمانينيات من القرن الماضى، وذلك بدعم فرنسى. وأسس الفرنسيون أول مفاعل نووى عراقى باسم أوسيراك وسماه العراق (تموز ١). وتم تدمير المفاعل بضربة جوية إسرائيلية، بحجة أن إسرائيل شكت فى أن العراق كان سيبدأ إنتاج مواد نووية تسليحية. وقال صدام بعد انتهاء الحرب الإيرانيه - العراقية مهدداً إسرائيل : بأنه يمتلك الكيمياوى المزدوج وأنه قادر على حرق نصف إسرائيل لو قامت بالاعتداء على العراق.

بعد المفاوضات العراقية الإيرانية واتفاقية عام ١٩٧٥ مع إيران، أوقف الشاه محمد رضا بهلوى الدعم للأكراد، الذين هزموا بشكل كامل. منذ تأسيس العراق

كدولة حديثة عام ١٩٢٠، وكان على العراق التعامل مع الانفصاليين الأكراد فى الأجزاء الشمالية من البلاد. وكان صدام قد تفاوض ووصل إلى اتفاق فى ١٩٧٠ مع القادة الانفصاليين الأكراد، معطياً إياهم حكماً ذاتياً، ولكن الاتفاق انهار. وكانت النتيجة قتالاً قاسياً بين الحكومة والجماعات الكردية وصل لحد قصف الجيش العراقى لمناطق الانفصاليين الأكراد .

أما بالنسبة لعلاقته برؤساء وملوك الدول العربية والمجاورة، فكانت تتسم بالشد والجذب من حين لآخر خاصة مع الدول الخليجية والتى كانت تدعمه أثناء حربه ضد إيران فى ثمانينات القرن الفائت، إلا أن هذه العلاقة بدأ يشوبها التوتر إلى أن وصلت إلى حد القطيعة خاصة بعد إقدامه على غزو الكويت عام ١٩٩٠ . وبذلك قام صدام بقطع العلاقة مع معظم الأنظمة فى الدول العربية فضلا عن الدول الغربية وغيرها.

فى مقابل ذلك احتفظ صدام بعد حرب الخليج الثانية بعلاقات جيدة ومتوازنة مع بعض الحكام العرب والأجانب مثل الملك حسين بن طلال والرئيس على عبد الله صالح (اللذين أسسا معه والرئيس المصرى حسنى مبارك حلفاً عربياً هو مجلس التعاون العربى فى عام ١٩٨٩، لكن لم يدم سوى أشهر، كما كانت علاقته وطيدة بالعقيد معمر القذافى والرئيس ياسر عرفات والرئيس الفنزويلى هوغو شافيز (الذى زار بغداد فى عام ٢٠٠٢ حيث كان اول زعيم يتحدى حظر الطيران المفروض على العراق منذ بداية التسعينيات) وغيرهم من بعض زعماء العالم الثالث.

وبعد تولى الرئيس السابق جورج بوش الرئاسة فقد بدأ عندها عهد جديد تحولت فيه السياسة الأمريكية من المساعدة المادية والدعم اللوجستى للقوى المعارضة العراقية إلى التدخل العسكرى المباشر متحالفةً مع بريطانيا. ولكن أحداث ١١ سبتمبر كانت قد دشنت عهدا جديدا فى أمريكا وأصرت الإدارة الأمريكية على إسقاط نظام صدام وفى ٢٠ مارس ٢٠٠٣ تحركت القوات الأمريكية البريطانية فى سعيها نحو ما تم تسميته بـ (حرية العراق) ليتم احتلال العراق فى ٩ إبريل ٢٠٠٣.

وقد بقيت أخباره مجهولة فى الأسابيع الأولى بعد سقوط بغداد وانتهاء العمليات الرئيسية للحرب. وتم التبليغ عن عدّة مشاهدات لصدام بعد الحرب ولكن أيا منها لم يكن مثبتاً. وظهرت سلسلة من التسجيلات الصوتية المنسوبة له تم نشرها فى أوقات مختلفة، ولكن مصداقية هذه التسجيلات لا تزال محط تساؤل.

تم وضعه على قمة لائحة المطلوبين، وتم اعتقال العديد من أفراد نظامه السابق، ولكن الجهود الحثيثة للعثور عليه باءت بالفشل.قتل ابناه عدى وقصى فى ٢٣ يوليو ٢٠٠٣ أثناء اشتباك عنيف مع القوات الأمريكية فى الموصل.

قام الحاكم المدنى فى العراق بول بريمر بالإعلان رسمياً عن القبض عليه، وتم القبض عليه بحسب ما ذكرت السلطات الأمريكية بحدود الساعة الثامنة والنصف مساء بتوقيت بغداد بتاريخ ٦ ديسمبر ٢٠٠٣ فى مزرعة قرب تكريت فى العملية المسماة بالفجر الأحمر بعد أن أبلغ عنه أحد أقربائه.

وفى محاكمته لم يعترف صدام والعرب بصوره عامة بشرعية المحكمة، حتى أنه رفض ذكر اسمه حينما بدأت المحكمة. ودافع عن صدام، نجيب النعيمى وزير عدل دولة قطر السابق ورمزى كلارك وزير عدل الولايات المتحدة السابق والمحامى العراقى خليل الدليمى والمحامية اللبنانية بشرى الخليل والمحامى الأردنى عصام الغزاوى، وتم تغيير القضاة ثلاث مرات، وأوضح للقاضى الأول أن النتائج معلومة والمراد جلى.

وفى يوم الأحد الخامس من نوفمبر لعام ٢٠٠٦ حكم على صدام حضورياً فى قضية الدجيل بالإعدام شنقاً حتى الموت بتهمة ارتكابه جرائم ضد الإنسانية وقد استقبل صدام حسين الحكم بإطلاق كلمه "الله أكبر" ولم تظهر عليه أية علامات انفعال حتى أنه لم يكن مرعوبا بلِ كان مبتسما.

(٦)

ويليام والاس ..

لحظة بكت فيها الإنسانية !!



هو زعيم وطنى بكل المقاييس وفى نظر العالم أجمع باستثناء قاتليه ، الذين قاد شعبه ضدهم ، وهم الانجليز .. إنه السير وليام والاس النسخة الأوربية من تشى جيفارا أمريكا اللاتينية ، ولكنه واجه عملية تصفية جسدية أبشع من تلك التى لاقاها جيفارا نفسه !!

وليام والاس (١٢٧٠ - ٢٣ أغسطس ١٣٠٥ م) أحد الفرسان الذين قادوا الأسكتلنديين ضد إنجلترا حتى مقتله. يقول الانجليز إنه مجرم حرب وهمجى بينما يقول التاريخ إنه أحد الثوار الأبطال الذين ضحوا فى سبيل بلادهم.

ولا يعرف الكثير عن حياة والاس لكنه كان ابن مالك أراضٍ صغير فى رينفرو يدعى مالكوم والاس، وفى عام ١٢٩٦ قام الملك إدوارد الأول من إنجلترا بالإطاحة بملك أسكتلندا جون من باليول وسجنه وأعلن نفسه الحاكم على البلاد مما أثار غضب الناس.

وفى مايو ١٢٩٧ وهى السنة التى ذكر فيها والاس لأول مرة قام هو ورجاله بإحراق لانارك وقتل المأمور الإنجليزى ليقوم بعدها بتنظيم رجال من العامة وملاك الأراضى الصغار فهاجموا حصنا إنجليزيا بين نهرى فورث وتاى، وفى ١١ سبتمبر ١٢٩٧ تجابه والاس مع جون دى وارين إيرل سورى فى ستيرلينغ وفيها كان الجيش الإنجليزى يفوق نظيره عدديا لكن كان عليهم عبور جسر ضيق فأصبحوا هدفا سهلا لوالاس ورجاله فاحتل قلعة ستيرلينغ وأصبحت اسكتلندا حرة لبعض الوقت، ثم قام فى أكتوبر بمهاجمة شمال إنجلترا وخرب المناطق بين نورث ثمبرلاند وكمبرلاند.



بعد أن رجع فى بداية ديسمبر تم إعطاؤه لقب فارس وحامى البلاد وحاكم البلاد، لكن العديد من النبلاء أعطوه دعما شحيحا، وكان عليه أن يواجه إدوارد والذى كان فى حملة فى فرنسا وقد رجع بعدها للبلاد فى مارس ١٢٩٨ وفى ٣ يوليو قام بغزو اسكتلندا وفى ٢٢ يوليو تمت هزيمة والاس ورماحيه وفرسانه فى فالكيرك، ورغم أن إدوارد فشل فى إخماد الثورة قبل عودته كانت سمعة والاس

قد تحطمت فاستقال من منصبه وأتى بدله روبرت بروس وسير جون كومين هناك دلائل على أن والاس ذهب إلى فرنسا عام ١٢٩٩ حيث تقول بعض المصادر إنه كان محاربا منفردا ولكن فى خريف تلك السنة انقطعت أخباره لأربع سنوات ورغم استسلام النبلاء لإدوارد استمر الإنجليز يطاردون والاس بلا هوادة حتى اعتقل قرب غلاسكو فى ٥ أغسطس ١٣٠٥.

عندما ألقوا القبض على وليام والاس أخذ إلى إنجلترا حيث تم إعدامه بعد تعذيبه حيث عذبه حتى يطلب الرحمة فقاموا بشنقه وإنزاله قبل أن يختنق ثم قاموا بشده عن طريق ربط قدميه بحصانين ويديه بحصانين آخرين ثم قاموا بخصيه وإخراج أحشائه من بطنه وقاموا بحرقها ولكنه لم يركع طلبا للرحمة وفضل أن يعدم فقاموا بقطع رأسه وتعليقها على جسر لندن وتم توزيع الأطراف منفصلة فى نيو كاسل وبرويك وستيرلينغ وأبردين حتى يكون عبرة.

أغلب الحكايات عنه (ومنها ما أخذ منه الفيلم) غير مدون فى التاريخ ولكنه على الأغلب من اختراع الذاكرة الشعبية وأهمها ما أورده الشاعر هارى الأعمى حول جسمه وقوته الهائلين وبراعته فى القتال وكيف أنه أصبح طريدا فى الغابات بعد أن انتقم من المأمور الذى قتل حبيبته.

كتب السير جيم فيرغوسون عام ١٩٣٨ كتابا اسمه "وليام والاس حامى أسكتلندا".

أنتج وأخرج ولعب دور البطولة الممثل الأسترالى الشهير ميل غبسون فى فيلم القلب الشجاع الذى روى قصة والاس من منظور معادٍ للإنجليز حيث صُور على أنه شخصية بطولية ووطنية أسكتلندية.

(٧)

عمر المختار..

أعظم ميتة وأعظم شهادة



"نحن لا نستسلم .. ننتصر أو نموت .. وهذه ليست النهاية..بل سيكون عليكم أن تحاربوا الجيل القادم والأجيال التى تليه .. أما أنا... فإن عمرى سيكون أطول من عمر شانقى" .

هذه كانت آخر كلمات الزعيم المجاهد الخالد الذكر الليبى عمر المختار فى لحظة إعدامه .

وتزامنت هذه الكلمات الخالدة مع يوم إعدامه ، صباح اليوم التالى لمحاكمته بواسطة مستعمرى بلاده الطليان ، وبالتحديد فى يوم الأربعاء ١٦ سبتمبر ١٩٣١ حيث تم اتخاذ جميع التدابير اللازمة بمركز سلوق لتنفيذ الحكم بإحضار جميع أقسام الجيش والميليشيا والطيران، وأحضر ٢٠ ألفاً من الأهالى وجميع المعتقلين السياسيين خصيصاً من أماكن مختلفة لمشاهدة تنفيذ الحكم فى قائدهم. وأحضر الشيخ عمر المختار مكبل الأيدى، وعلى وجهه ابتسامة الرضا بالقضاء والقدر، وبدأت الطائرات تحلق فى الفضاء فوق المعتقلين بأزيز مجلجل حتى لا يتمكن عمر المختار من مخاطبتهم.

وفى تمام الساعة التاسعة صباحاً سلم الشيخ إلى الجلاد، وكان وجهه يتهلل استبشاراً بالشهادة وكله ثبات وهدوء، فوضع حبل المشنقة فى عنقه، وقيل عن بعض الناس الذين كانوا على مقربة منه إنه كان يؤذن فى صوت خافت آذان الصلاة، والبعض قال إنه تمتم بالآيات الكريمات "يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية" ليجعلها مسك ختام حياته البطولية. وبعد دقائق صعدت روحه الطاهرة النقية إلى ربها تشكو إليه عنت الظالمين وجور المستعمرين.

وسبق إعدام الشيخ أوامر شديدة الحزم بتعذيب وضرب كل من يبدى الحزن أو يظهر البكاء عند إعدام عمر المختار، فقد ضرب جربوع عبد الجليل ضرباً مبرحاً بسبب بكائه عند إعدام عمر المختار. ولكن علت أصوات الاحتجاج ولم تكبحها سياط الطليان، فصرخت فاطمة داروها العبارية وندبت فجيعة الوطن

عندما علا الشيخ شامخاً مشنوقاً، ووصفها الطليان "بالمرأة التى كسرت جدار الصمت".

أما المفارقة التاريخية التى أذهلت المراقبين فقد حدثت فى سبتمبر ٢٠٠٨ عندما انحنى رئيس الوزراء الإيطالى برلسكونى، وفى حضور الرئيس الليبى معمر القذافى، أمام ابن عمر المختار معتذراً عن المرحلة الاستعمارية وما سببته إيطاليا من مآس للشعب الليبى، وهى الصورة التى قورنت بصورة تاريخية أخرى يظهر فيها عمر المختار مكبلاً بالأغلال قبيل إعدامه.

هكذا كانت لحظة إعدام البطل عمر المختار الزعيم الوطنى ، والمناضل والمجاهد ضد الغزو الإيطالى لليبيا والمقب بـ " أسد الصحراء " ، و شيخ الشهداء.

وقد حارب المختار قوات الغزو الإيطالية منذ دخولها أرض ليبيا إلى عام ١٩٣١ . حارب الإيطاليين وهو يبلغ من العمر ٥٣ عاماً لأكثر من عشرين عاما فى أكثر من ألف معركة، واستشهد بإعدامه شنقاً وتوفى عن عمر يناهز ٧٣ عاما. وقد صرح القائد الايطالى "أن المعارك التى حصلت بين جيوشه وبين السيد عمر المختار ٢٦٣ معركة، فى مدة لا تتجاوز ٢٠ شهرا فقط".

عمر المختار من بيت فرحات من قبيلة بريدان وهى بطن من قبيلة المنفة أو المنيف والتى ترجع إلى قبائل بنى مناف بن هلال بن عامر أولى القبائل الهلالية التى دخلت برقة. أمه عائشة بنت محارب.

ولد عمر المختار سنة ١٨٦٠ م فى قرية جنزور الشرقية منطقة بئر الأشهب شرق طبرق فى بادية البطنان فى الجهات الشرقية من برقة التى تقع شرقى ليبيا.

تربى يتيما، لذلك كفله حسين الغريانى، عم الشارف الغريانى حيث وافت المنية والده المختار بن عمر وهو فى طريقه إلى مكة المكرمة وكانت بصحبته زوجته عائشة.

تلقــى تعليمـــه الأول فى زاويــة جنزور على يد إمـام الزاوية الشيخ العلامـة عبد القادر بوديه أحد مشايخ الحركه السنوسية، ثم سافر إلى الجغبوب ليمكث فيها ثمانية أعوام للدراسة والتحصيل على كبار علماء ومشايخ السنوسية فى مقدمتهم الإمام السيد المهدى السنوسى قطب الحركة السنوسية، فدرس علوم اللغة العربية والعلوم الشرعية وحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، ولكنه لم يكمل تعليمه كما تمنى.

ظهرت عليه علامات النجابة ورزانة العقل، فاستحوذ على اهتمام ورعاية أستاذه السيد المهدى السنوسى مما زاده رفعة وسمواً، فتناولته الألسن بالثناء بين العلماء ومشايخ القبائل وأعيان المدن حتى قال فيه السيد المهدى واصفاً إياه " لو كان عندنا عشرة مثل عمر المختار لاكتفينا بهم"و لثقة السنوسيين به ولوه شيخا على زاوية القصور بالجبل الأخضر.

اختاره السيد المهدى السنوسى رفيقا له إلى السودان الأوسط (تشاد) عند انتقال قيادة الزاوية السنوسية إليها فسافر سنة ١٣١٧ هـ. وقد شارك عمر المختار فترة بقائه بتشاد فى الجهاد بين صفوف المجاهدين فى الحرب الليبية - الفرنسية فى المناطق الجنوبية (السودان الغربى،تشاد) وحول واداى. وقد استقر المختار فترة من الزمن فى قرو مناضلاً ومقاتلاً, ثم عين شيخاً لزاوية (عين كلكة) ليقضى فترة من حياته معلماً ومبشراً بالإسلام فى تلك الأصقاع النائية. بقى هناك إلى أن عاد إلى برقة سنة ١٣٢١ هـ وأسندت إليه مشيخة زاوية القصور للمرة الثانية.

عاش عمر المختار حرب التحرير والجهاد منذ بدايتها يوماً بيوم, فعندما أعلنت إيطاليا الحرب على تركيا فى ٢٩ سبتمبر ١٩١١م, وبدأت البارجات الحربية تصب قذائفها على مدن الساحل الليبى, درنة وطرابلس ثم طبرق وبنغازى والخمس, كان عمر المختار فى تلك الأثناء مقيما فى جالو بعد عودته من الكفرة حيث قابل السيد أحمد الشريف, وعندما علم بالغزو الإيطالى فيما عرف بالحرب العثمانية - الإيطالية سارع إلى مراكز تجمع المجاهدين حيث

ساهم فى تأسيس دور بنينه وتنظيم حركة الجهاد والمقاومة إلى أن وصل السيد أحمد الشريف قادماً من الكفرة. وقد شهدت الفترة التى أعقبت انسحاب الأتراك من ليبيا سنة ١٩١٢م وتوقيعهم "معاهدة لوزان" التى بموجبها حصلت إيطاليا على ليبيا، أعظم المعارك فى تاريخ الجهاد الليبى, منها على سبيل المثال معركة يوم الجمعة عند درنة فى ١٦ مايو ١٩١٣م حيث قتل فيها للإيطاليين عشرة ضباط وستون جنديا وأربعمائة فرد بين جريح ومفقود إلى جانب انسحاب الإيطاليين بلا نظام تاركين أسلحتهم ومؤنهم وذخائرهم, ومعركة بو شمال عين ماره فى ٦ أكتوبر ,١٩١٣ وعشرات المعارك الأخرى.

وحينما عين أميليو حاكماً عسكريا لبرقة, رأى أن يعمل على ثلاثة محاور أولها : قطع الإمدادات القادمة من مصر والتصدى للمجاهدين فى منطقة مرمريكا. وثانيها : قتال المجاهدين فى العرقوب وسلنطه والمخيلى ، أما ثالثها فقتال المجاهدين فى مسوس وأجدابيا.

لكن القائد الإيطالى وجد نار المجاهدين فى انتظاره فى معارك أم شخنب وشليظيمة والزويتينة فى فبراير ١٩١٤م, ولتتواصل حركة الجهاد بعد ذلك حتى وصلت إلى مرحلة جديدة بقدوم الحرب العالمية الأولى.

بعد الانقلاب الفاشى فى إيطاليا فى أكتوبر ١٩٢٢ ، وبعد الانتصار الذى تحقق فى تلك الحرب إلى الجانب الذى انضمت إليه إيطاليا. تغيرت الأوضاع داخل ليبيا واشتدت الضغوط على السيد محمد إدريس السنوسى, واضطر إلى ترك البلاد عاهداً بالأعمال العسكرية والسياسية إلى عمر المختار فى الوقت الذى قام أخوه الرضا مقامه فى الإشراف على الشؤون الدينية.

بعد أن تأكد للمختار النوايا الإيطالية فى العدوان قصد مصر عام ١٩٢٣م للتشاور مع السيد إدريس فيما يتعلق بأمر البلاد, وبعد عودته نظم أدوار المجاهدين, فجعل حسين الجويفى على دور البراعصة ويوسف بورحيل المسمارى على دور العبيدات والفضيل بوعمر على دور الحاسة، والمجاهد المخضرم الذى

لم يذكر قط صالح الطلحى(قبيلة الوطن الشرقى الأصليين) وتولى هو القيادة العامة.

بعد الغزو الإيطالى على مدينة اجدابيا مقر القيادة الليبية, أصبحت كل المواثيق والمعاهدات لاغية, وانسحب المجاهدون من المدينة وأخذت إيطاليا تزحف بجيوشها من مناطق عدة نحو الجبل الأخضر وفى تلك الأثناء تسابقت جموع المجاهدين إلى تشكيل الأدوار والانضواء تحت قيادة عمر المختار, كما بادر الأهالى إلى إمداد المجاهدين بالمؤن والعتاد والسلاح, وعندما ضاق الإيطاليون ذرعا من الهزيمة على يد المجاهدين, أرادوا أن يمنعوا عنهم طريق الإمداد فسعوا إلى احتلال الجغبوب ووجهت إليها حملة كبيرة فى ٨ فبراير ١٩٢٦م, وقد شكل سقوطها أعباء ومتاعب جديدة للمجاهدين وعلى رأسهم عمر المختار, ولكن الرجل حمل العبء كاملاً بعزم العظماء وتصميم الأبطال.

لاحظ الإيطاليون أن الموقف يملى عليهم الاستيلاء على منطقة فزان لقطع الإمدادات على المجاهدين, فخرجت حملة فى يناير ١٩٢٨م, ولم تحقق غرضها فى احتلال فزان بعد أن دفعت الثمن غاليا. ورغم حصار المجاهدين وانقطاعهم عن مراكز تموينهم, إلا أن الأحداث لم تنل منهم وتثبط من عزمهم, والدليل على ذلك معركة يوم ٢٢ أبريل التى استمرت يومين كاملين, انتصر فيها المجاهدون وغنموا عتاداً كثيراً.

توالت الانتصارات, الأمر الذى دفع إيطاليا إلى إعادة النظر فى خططها وإجراء تغييرات واسعة, فأمر موسولينى بتغيير القيادة العسكرية, حيث عين بادوليو حاكماً عسكريا على ليبيا فى يناير ١٩٢٩م, ويعد هذا التغيير بداية المرحلة الحاسمة بين الإيطالين والمجاهدين.

تظاهر الحاكم الجديد لليبيا فى رغبته للسلام لإيجاد الوقت اللازم لتنفيذ خططه وتغيير أسلوب القتال لدى جنوده، وطلب مفاوضة عمر المختار, تلك المفاوضات التى بدأت فى ٢٠ أبريل ١٩٢٩م.

استجاب الشيخ لنداء السلام وحاول التفاهم معهم على صيغة ليخرجوا من دوامة الدمار. فذهب كبيرهم للقاء عمر المختار ورفاقه القادة فى ١٩ يونيو ١٩٢٩م فى سيدى أرحومة. ورأس الوفد الإيطالى بادوليو نفسه، الرجل الثانى بعد بينيتو موسولينى، ونائبه سيشليانو، ولكن لم يكن الغرض هو التفاوض، ولكن المماطلة وشراء الوقت لتلتقط قواتهم أنفاسها، وقصد الغزاة الغدر به والدس عليه وتأليب أنصاره والأهالى وفتنة الملتفين حوله.

عندما وجد المختار أن تلك المفاوضات تطلب منه إما مغادرة البلاد إلى الحجاز أو مصر أو البقاء فى برقة وإنهاء الجهاد والاستسلام مقابل الأموال والإغراءات, رفض كل تلك العروض, وكبطل شريف ومجاهد عظيم عمد إلى الاختيار الثالث وهو مواصلة الجهاد حتى النصر أو الشهادة.

تبين للمختار غدر الإيطاليين وخداعهم, ففى ٢٠ أكتوبر ١٩٢٩م وجه نداء إلى أبناء وطنه طالبهم فيه بالحرص واليقظة أمام ألاعيب الغزاة. صحت توقعات عمر المختار, ففى ١٦ يناير ١٩٣٠م ألقت الطائرات بقذائفها على المجاهدين.

دفعت مواقف المختار ومنجزاته إيطاليا إلى دراسة الموقف من جديد وتوصلت إلى تعيين غراتسيانى وهو أكثر جنرالات الجيش وحشية ودموية. ليقوم بتنفيذ خطة إفناء وإبادة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ فى وحشيتها وفظاعتها وعنفها وقد تمثلت فى عدة إجراءات ذكرها غراتسيانى فى كتابه "برقة المهدأة":

- قفل الحدود الليبية المصرية بالأسلاك الشائكة لمنع وصول المؤن والذخائر.
- إنشاء المحكمة الطارئة فى أبريل ١٩٣٠م.
- فتح أبواب السجون فى كل مدينة وقرية ونصب المشانق فى كل جهة.
- تخصيص مواقع العقيلة والبريقة من صحراء غرب برقة والمقرون وسلوق من أواسط برقة الحمراء لتكون مواقع الاعتقال والنفى والتشريد.
- العمل على حصار المجاهدين فى الجبل الأخضر واحتلال الكفرة.

انتهت عمليات الإيطاليين فى فزان باحتلال مرزق وغات فى شهرى يناير وفبراير ١٩٣٠م ثم عمدوا إلى الاشتباك مع المجاهدين فى معارك فاصلة, وفى ٢٦ أغسطس ١٩٣٠م ألقت الطائرات الإيطالية حوالى نصف طن من القنابل على الجوف والتاج, وفى نوفمبر اتفق بادوليو وغراتسيانى على خط الحملة من اجدابيا إلى جالو إلى بئر زيغن إلى الجوف, وفى ٢٨ يناير ١٩٣١م سقطت الكفرة فى أيدى الغزاة, وكان لسقوط الكفرة آثار كبيرة على حركة الجهاد والمقاومة.

فى معركة السانية فى شهر أكتوبر عام ١٩٣٠م سقطت من الشيخ عمر المختار نظارته، وعندما وجدها أحد جنود الطليان أوصلها لقيادته، فرآها غراتسيانى فقال: "الآن أصبحت لدينا النظارة، وسيتبعها الرأس يوماً ما".

وفى ١١ سبتمبر من عام ١٩٣١م، وبينما كان الشيخ عمر المختار يستطلع منطقة سلنطة فى الجبل الأخضر فى كوكبة من فرسانه، عرفت الحاميات الإيطالية بمكانه فأرسلت قوات لحصاره ولحقها تعزيزات، واشتبك الفريقان فى وادى بوطاقة ورجحت الكفة للعدو فأمر عمر المختار بفك الطوق والتفرق، ولكن قُتلت فرسه تحته وسقطت على يده مما شل حركته نهائياً. فلم يتمكن من تخليص نفسه ولم يستطع تناول بندقيته ليدافع عن نفسه، فسرعان ما حاصره العدو من كل الجهات وتعرفوا على شخصيته، فنقل على الفور إلى مرسى سوسه فى الجبل الأخضر ومن ثم وضع على طراد الذى نقله رأسا إلى بنغازى حيث أودع السجن الكبير بمنطقة سيدى اخريبيش. ولم يستطع الطليان نقل الشيخ براً لخوفهم من تعرض المجاهدين لهم فى محاولة لتخليص قائدهم.

كان لاعتقاله فى صفوف العدو، صدى كبير، حتى أن غراتسيانى لم يصدّق ذلك فى بادئ الأمر، وكان غراتسيانى فى روما حينها كئيباً حزيناً منهار الأعصاب فى طريقه إلى باريس للاستجمام والراحة تهرباً من الساحة بعد فشله فى القضاء على المجاهدين فى الجبل الأخضر، حيث بدأت الأقلام اللاذعة فى إيطاليا تنال منه والانتقادات المرة تأتيه من رفاقه مشككة فى مقدرته على إدارة

الصراع. وإذا بالقدر يلعب دوره ويتلقى برقية مستعجلة من بنغازى مفادها أن عدوه اللدود عمر المختار وراء القضبان. فأصيب غراتسيانى بحالة هستيرية كاد لا يصدق الخبر. فتارة يجلس على مقعده وتارة يقوم، وأخرى يخرج متمشياً على قدميه محدثاً نفسه بصوت عال، ويشير بيديه ويقول: "صحيح قبضوا على عمر المختار ؟ ويرد على نفسه لا، لا أعتقد." ولم يسترح باله فقرر إلغاء إجازته واستقل طائرة خاصة وهبط ببنغازى فى نفس اليوم وطلب إحضار عمر المختار إلى مكتبه لكى يراه بأم عينيه.

وصل غراتسيانى إلى بنغازى يوم ١٤ سبتمبر، وأعلن عن انعقاد "المحكمة الخاصة" يوم ١٥ سبتمبر ١٩٣١م, وفى صبيحة ذلك اليوم وقبل المحاكمة رغب غراتسيانى فى الحديث مع عمر المختار, يذكر غراتسيانى فى كتابه (برقة المهدأة):

"وعندما حضر أمام مكتبى تهيأ لى أن أرى فيه شخصية آلاف المرابطين الذين التقيت بهم أثناء قيامى بالحروب الصحراوية. يداه مكبلتان بالسلاسل, رغم الكسور والجروح التى أصيب بها أثناء المعركة, وكان وجهه مضغوطا لأنه كان مغطيا رأسه (بالجَرِدْ) ويجر نفسه بصعوبة نظراً لتعبه أثناء السفر بالبحر, وبالإجمال يخيل لى أن الذى يقف أمامى رجل ليس كالرجال له منظره وهيبته رغم أنه يشعر بمرارة الأسر, ها هو واقف أمام مكتبى نسأله ويجيب بصوت هادئ وواضح".

غراتسيانى: لماذا حاربت بشدة متواصلة الحكومة الفاشيستية ؟

أجاب الشيخ: من أجل دينى ووطنى.

غراتسيانى:ما الذى كان فى اعتقادك الوصول إليه ؟

فأجاب الشيخ: لا شىء إلا طردكم ... لأنكم مغتصبون، أما الحرب فهى فرض علينا وما التصر إلا من عند الله.

غراتسيانى: لما لك من نفوذ وجاه، فى كم يوم يمكنك أ ن تأمر الثوار بأن يخضعوا لحكمنا ويسلموا أسلحتهم ؟.

فأجاب الشيخ: لا يمكننى أن أعمل أى شىء ... وبدون جدوى نحن الثوار سبق أن أقسمنا أن نموت كلنا الواحد بعد الآخر، ولا نسلم أو نلقى السلاح ...

ويستطرد غراتسيانى حديثه "وعندما وقف ليتهيأ للانصراف كأن جبينه وضاء كأن هالة من نور تحيط به فارتعش قلبى من جلالة الموقف أنا الذى خاض معارك الحروب العالمية والصحراوية ولقبت بأسد الصحراء. ورغم هذا فقد كانت شفتاى ترتعشان ولم أستطع أن أنطق بحرف واحد، فأنهيت المقابلة وأمرت بإرجاعه إلى السجن لتقديمه إلى المحاكمة فى المساء. وعند وقوفه حاول أن يمد يده لمصافحتى ولكنه لم يتمكن لأن يديه كانتا مكبلتين بالحديد".

عقدت للشيخ الشهيد محكمة هزلية صورية فى مركز إدارة الحزب الفاشيستى ببنغازى مساء يوم الثلاثاء عند الساعة الخامسة والربع فى ١٥ سبتمبر ١٩٣١م، وبعد ساعة تحديداً صدر منطوق الحكم بالإعدام شنقاً حتى الموت.

عندما ترجم له الحكم، قال الشيخ "إن الحكم إلا لله ... لا حكمكم المزيف... إنا لله وإنا إليه راجعون".

وهنا ننقل حرفيا لمحضر المحاكمة كما ورد فى الوثائق الإيطالية:

إنه فى سنة ألف وتسعمائة وواحدة وثلاثين ؛ السنة التاسعة، وفى اليوم الخامس عشر من شهر سبتمبر، ببنغازى، وفى تمام الساعة ١٧ بقصر "الليتوريو" بعد إعداده كقاعة لجلسات المحكمة الخاصة بالدفاع عن أمن الدولة للنظر فى القضية المرفوعة ضد: عمر المختار، ابن عائشة بنت محارب، البالغ من العمر ٧٣ سنة، والمولود بدفنة، قبيلة منفة، عائلة بريدان، بيت فرحات ؛ حالته الاجتماعية : متزوج وله أولاد، يعرف القراءة والكتابة، وليست له سوابق جنائية، فى حالة اعتقال منذ ١٢ سبتمبر ١٩٣١.

المتهم بالجرائم المنصوص عليها وعلى عقوباتها فى المواد ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٥٣٦، ٥٧٥ (٣) والمادة ٢٦، والبنود: ٢ - ٤ - ٦ - ١٠ وذلك أنه قام منذ عام ١٩١١م

وحتى القبض عليه فى جنوب سلنطة جنوب الجبل الأخضر فى ١١سبتمبر ١٩٣١، بإثارة العصيان وقيادته ضد سلطات الدولة الإيطالية، داخل أراضى المستعمرة، وباشتراكه فى نصب الكمائن للوحدات المعزولة من قواتنا المسلحة وفى معارك عديدة وأعمال الإغارة للسلب والنهب واللصوصية مع ارتكاب جرائم قتل بدافع نزعته إلى القسوة والتوحش، وأعمال البطش والتنكيل، بقصد إحداث الدمار وسفك الدماء لفصل المستعمرة عن الوطن الأم.

بعد ذلك سمح للجمهور بدخول قاعة الجلسات، بينما جلس المتهم فى المكان المخصص للمتهمين، تحت حراسة عسكرية، وهو طليق اليدين وغير مكبل بأغلال من أى نوع.

يكلف الرئيس المترجم بأداء اليمين المقررة، بعد تحذيره حسبما هو مقرر، فيؤديها بصوت عال وبالصيغة التالية: (أقسم بأننى سأنقل الأسئلة إلى الشخص المقرر استجوابه بواسطتى بأمانة وصدق، وبأن أنقل الردود بأمانة).

فيوجه الرئيس، عن طريق الترجمان، أسئلة للمتهم حول هويته، فيدلى بها بما يتفق مع ما تقدم، ومن ثم ينبه عليه بالإنصات إلى ما سيسمع. وعند هذه النقطة، يثبت فى المحضر طلب وكيل النيابة بإعفاء المترجم نصرى من المهمة بسبب وعكة ألمت به والاستعاضة عنه بالكواليير لومبروزو ابن آرونه وماريا قاندوس، المولود بتونس فى ٢٧ - ٢ - ١٨٩١م، ومهنته صنايعى.

فيكلفه الرئيس بأداء اليمين المقررة، بعد تحذيره نظاميا؛ يتلو كاتب الجلسة صحيفة الاتهام، فيتولى الترجمان ترجمتها للمتهم، ويسرد بعدها قائمة المستندات والوثائق المتصلة بالدعوى، وبعد سردها يكلف الرئيس الترجمان بترجمتها، حيث إن المتهم غير ملم باللغة الإيطالية، ومن ثم يبدأ استجوابه حول الأفعال المنسوبة إليه؛ فيرد عليها، ويتولى الترجمان ترجمة ردود المتهم عليها.

يثبت بالمحضر أن المتهم يرد بانتظام عن كل اتهام حسب ما جاء فى محضر استجوابه المكتوب، معترفا بأنه زعيم المقاومة فى برقة وبهذه الصفة فهو الفاعل

والمحرض لجميع الجرائم التى اقترفت فى أراضى المستعمرة خلال العقد الأخير من الزمن، أى الفترة التى ظل خلالها الرئيس الفعلى للمقاومة.

وردا عن سؤال، يجيب: منذ عشر سنوات، تقريبا، وأنا رئيس المحافظية. ويثبت هنا أن المتهم ظل يرد عن كل سؤال محدد حول تهمة بعينها، بقوله: (لا فائدة من سؤالى عن وقائع منفردة، وما ارتكب ضد إيطاليا والإيطاليين، منذ عشر سنوات وحتى الآن، كان بإرادتى وإذنى، عندما لم أشترك أنا نفسى فى تلك الأفعال ذاتها).

وردا عن سؤال، يجيب: (كانت الغارات تنفذ أيضا بأمرى وبعضها قمت بها أنا نفسى). يعطى الرئيس الكلمة لوكيل النيابة: بعد أن تناول الكلمة، أوجز مطلبه فى أن تتكرم المحكمة، بعد تأكيد إدانة المتهم بالجرائم المنسوبة إليه، بإصدار حكم الإعدام عليه وما يترتب عليه من عواقب.

ينهى الدفاع بدوره مرافعته بطلب الرأفة بالمتهم. وبعدما أعطى المتهم الكلمة كآخر المتحدثين، يعلن الرئيس قفل باب المناقشة، وتنسحب هيئة المحكمة إلى حجرة المداولة لتحديد الحكم. وعادت المحكمة بعد قليل إلى قاعة الجلسات؛ لينطق الرئيس بصوت عال بالحكم بالإدانة، والإعدام !!

وهناك فيلم عالمى شهير يروى سيرة المناضل الراحل بعنوان " أسد الصحراء " للمخرج السورى العالمى مصطفى العقاد تم إنتاجه فى عام ١٩٨١ م من بطولة الفنان العالمى أنتونى كوين ، الذى أدى شخصية عمر المختار رحمه الله.

(٨)

تشى جيفارا ..

لحظة خلدت صاحبها !!



ربما لو تعلم أمريكا الرأس المدبر لعملية إعدام هذا البطل .. لو تعلم الغيب لما أقدمت على فعلتها .. فقد جعلت من موت هذا البطل الذخيرة الروحية التى تشعل فى القلوب نار الثورة على الأمريكان، والتى لم تنطفئ حتى يومنا هذا !!

وربما لا يعرف العالم أجمع بطلا يستلهم عددا من البشر بقدر ما يفعله جيفارا، ولا تزال لحظة إعدامه بالرصاص على أيدى عملاء النظام الموالى للأمريكان، وبتحريض منهم ماثلة فى الأذهان، ولا يزال الأمريكيون يدفعون ثمنها، كل لحظة تنقلب عليهم فيها دولة من دول أمريكا اللاتينية والجنوبية، لدرجة أن مؤرخاً أمريكياً كتب مؤخرا يقول : هذا الرجل لا يريد أن يموت ..

دخلنا الألفية الثالثة وبعد قليل سينتهى عقدها الأول، ولا يزال بكلماته فى معظم خطابات الثوريين والزعماء السياسيين، وصوره على صدور الفتية، و فى البرلمانات وقصور الرئاسة .. والويل لأمريكا " .

إرنستو 'تشى' رافاييل جيفارا دِلاسيرنا 'الذى اشتهر بلقب "تشى جيفارا"، أو "التشى"، أو "تشى" هو ثورى كوبى أرجينتينى المولد، كان رفيق فيدل كاسترو. ويعتبر شخصية ثورية فذّة فى التاريخ .

درس الطب فى جامعة بيونس آيرس وتخرج عام ١٩٥٣، وكان مصاباً بالربو فلم يلتحق بالخدمة العسكرية. قام بجولة حول أمريكا الجنوبية مع صديقه ألبيرتو غرانادو على متن دراجة نارية وهو فى السنة الأخيرة من الطب وكونت تلك الرحلة شخصيته وإحساسه بوحدة أميركا الجنوبية وبالظلم الكبير الواقع من الإمبرياليين على المزارع اللاتينى البسيط.

توجه بعدها إلى غواتيمالا، حيث كان رئيسها يقود حكومة يسارية شعبية، كانت من خلال تعديلات -وعلى وجه الخصوص تعديلات فى شؤون الأرض والزراعة- تتجه نحو ثورية اشتراكية. وكانت الإطاحة بالحكومة الغواتيمالية عام ١٩٥٤ بانقلاب عسكرى مدعوم من قبل وكالة المخابرات المركزية.

فى عام ١٩٥٥ قابل جيفارا المناضلة اليسارية "هيلدا أكوستا" من "بيرو" فى

منفاها فى جواتيمالا، فتزوجها وأنجب منها طفلته الأولى، وهيلدا هى التى جعلته يقرأ للمرة الأولى بعض الكلاسيكيات الماركسية، إضافة إلى لينين وتروتسكى وماو تسى تونغ ماو.

سافر جيفارا للمكسيك بعد أن حذرته السفارة الأرجنتينية من أنه مطلوب من قبل المخابرات المركزية، والتقى هناك راؤول كاسترو المنفى مع أصدقائه الذين كانوا يجهزون للثورة وينتظرون خروج فيدل كاسترو من سجنه فى كوبا. ما إن خرج فيدل كاسترو من سجنه حتى قرر جيفارا الانضمام للثورة الكوبية، وقد رأى فيدل كاسترو أنهم فى أمس الحاجة إليه كطبيب.

"يجب أن نتذكر دائماً أن الإمبريالية نظام عالمى، هو المرحلة الأخيرة من الاستعمار، ويجب أن تهزم بمواجهة عالمية."هذا ما قاله أرنستو جيفارا.

ولد جيفارا فى ١٤ يونيو ١٩٢٨ فى روزاريو (الأرجنتين). أصيب بالربو منذ طفولته ولازمه المرض طوال حياته.ومراعاة لصحة ابنها المصاب بالربو استقرت أسرته فى ألتا غراسيا فى السيرا دو كوردوبا. وفيها أسس والده لجنة مساندة للجمهورية الإسبانية عام ١٩٣٧ وفى ١٩٤٤ استقرت الأسرة فى بيونس أيريس.

ومن ١٩٤٥ إلى ١٩٥٣ أتم إرنستو بنجاح دراساته الطبية. وبسرعة جعلته صلته بأكثر الناس فقرا وحرمانا وبالمرضى مثل المصابين بالجذام، وكذا سفره المديد الأول عبر أمريكا اللاتينية، واعيا بالتفاوت الاجتماعى وبالظلم.

امتهن الطب، إلا أنه ظل مولعاً بالأدب والسياسة والفلسفة، سافر أرنستو تشى جيفارا إلى غواتيمالا عام ١٩٥٤ على أمل الانضمام إلى صفوف الثوار لكن حكومة كاستيلو أرماس العميلة للولايات المتحدة الأميركية قضت على الثورة. فانتقل بعد ذلك إلى المكسيك حيث التقى بفيدل كاسترو وأشعلوا الثورة ضد نظام حكم "باتيستا" الرجعى حتى سقوطه سنة ١٩٥٩ وتولى منصب رئيس المصرف الوطنى سنة ١٩٥٩ . ووزارة الصناعة (١٩٦١ -١٩٦٥).

حصل تشى بالكاد على شهادته لما غادر من جديد الأرجنتين نحو رحلة جديدة

عبر أمريكا اللاتينية. وقد كان عام ١٩٥١، خلال رحلته الأولى، قد لاحظ بؤس الفلاحين الهنود. كما تبين استغلال العمال فى مناجم النحاس بشيلى والتى تملكها شركات أمريكية. وفى عام ١٩٥٣ فى بوليفيا وألبيرو، مرورا ببنما وبلدان أخرى، تناقش مع منفيين سياسيين يساريين من كل مكان تقريبا، ولاسيما مع كاسترويين كوبيين. وفى تلك اللحظة قرر فعلا الالتحاق بصفوف الثوريين. واعتبر نفسه آنذاك شيوعيا.

وفى العام ١٩٥٤ توقف فى غواتيمالا التى كانت تشهد غليانا ديمقراطيا فى ظل حكومة جاكوب أربنز. وشارك تشى فى مقاومة الانقلاب العسكرى الذى دبرته المخابرات الأمريكية والذى أنهى الإصلاحات الزراعية التى قام بها أربنز، وستطبع هذه التجربة فكره السياسى.

التحق آنذاك بالمكسيك. وهناك تعرف فى يوليو ١٩٥٥ على فيدل كاسترو الذى لجأ إلى ميكسيكو بعد الهجوم الفاشل على ثكنة مونكادا فى سانتياغو دو كوبا. وجنده كاسترو طبيبا فى البعثة التى ستحرر كوبا من ديكتاتورية باتيستا. وهناك سمى بتشى وهو تعبيير تعجب يستعمله الأرجنتينيون عمليا فى نهاية كل جملة.

وفى يونيو ١٩٥٦ سجن تشى فى المكسيك مع فيدل كاسترو ومجموعة متمردين كوبيين. وأطلق سراحهم بعد شهرين.

وفى ١٩٥٩ اكتسح رجال حرب العصابات هافانا برئاسة فيدل كاسترو وأسقطوا الديكتاتورية العسكرية لفولجنسيو باتيستا. هذا برغم تسليح حكومة الولايات المتحدة وتمويلها لباتيستا ولعملاء الـ CIA داخل جيش عصابات كاسترو.

دخل الثوار كوبا على ظهر زورق ولم يكن معهم سوى ثمانين رجلا لم يبق منهم سوى ١٠ رجال فقط، بينهم كاسترو وأخوه "راءول" وجيفارا، ولكن هذا الهجوم الفاشل أكسبهم مؤيدين كثيرين خاصة فى المناطق الريفية، وظلت المجموعة

تمارس حرب العصابات لمدة سنتين وخسروا نصف عددهم فى معركة مع الجيش.

كان خطاب كاسترو سبباً فى إضراب شامل، وبواسطة خطة جيفارا للنزول من جبال سييرا باتجاه العاصمة الكوبية تمكن الثوار من دخول العاصمة هافانا فى يناير ١٩٥٩ على رأس ثلاثمائة مقاتل، ليبدأ عهد جديد فى حياة كوبا بعد انتصار الثورة وإطاحتها بحكم الديكتاتور "باتيستا"، وفى تلك الأثناء اكتسب جيفارا لقب "تشى" الأرجنتينى، وتزوج من زوجته الثانية "إليدا مارش"، وأنجب منها أربعة أبناء بعد أن طلّق زوجته الأولى.

برز تشى جيفارا كقائد ومقاتل شرس جداً لا يهاب الموت وسريع البديهة يحسن التصرف فى الأزمات. لم يعد جيفارا مجرد طبيب بل أصبح قائدا برتبة عقيد، وشريك فيدل كاسترو فى قيادة الثورة، وقد أشرف كاسترو على إستراتيجية المعارك بينما قاد وخطط جيفارا للمعارك.

عرف كاسترو بخطاباته التى صنعت له وللثورة شعبيتها، لكن جيفارا كان خلف (أدلجة) الخطاب وإعادة رسم أيديولوجيا الثورة على الأساس الماركسى اللينينى.

صدر قانون يعطى الجنسية والمواطنية الكاملة لكل من حارب مع الثوار برتبة عقيد، ولم توجد هذه المواصفات سوى فى شى جيفارا الذى عيّن مديرا للمصرف المركزى وأشرف على محاكمات خصوم الثورة وبناء الدولة فى فترة لم تعلن فيها الثورة عن وجهها الشيوعى، وما إن أمسكت الثورة بزمام الأمور -وبخاصة الجيش- حتى قامت الحكومة الشيوعية التى كان فيها جيفارا وزيراً للصناعة وممثلاً لكوبا فى الخارج ومتحدثاً باسمها فى الأمم المتحدة. كما قام بزيارة الاتحاد السوفيتى والصين، واختلف مع السوفييت على إثر سحب صورايخهم من كوبا بعد أن وقعت الولايات المتحدة معاهدة عدم اعتداء مع كوبا.

تولى جيفارا بعد استقرار الحكومة الثورية الجديدة - وعلى رأسها فيدل كاسترو - عدة مناصب سياسية سعلى التوالى.

ومن خلال ذلك، قام الـ"تشى" بالتصدى بكل قوة لتدخلات الولايات المتحدة؛ فقرر تأميم جميع مصالح الدولة بالاتفاق مع كاسترو؛ فشددت الولايات المتحدة الحصار على كوبا، وهو ما جعل الحكومة الكوبية تتجه تدريجيا نحو الاتحاد السوفيتى. كما أعلنت عن مساندتها لحركات التحرير فى كل من: تشيلى، وفيتنام، والجزائر.

لم يرتح جيفارا للحياة السياسية فاختفى، ونشرت مقالات كثيرة عن مقتله لكى يرد لعل رده يحدد مكانه لكنه لم يرد.

نشرت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية شائعات تدعى فيها اختفاء إرنستو تشى جيفارا فى ظروف غامضة، ومقتله على يد زميله فى النضال القائد الكوبى فيدل كاسترو، مما اضطر الزعيم الكوبى للكشف عن الغموض الذى اكتنف اختفاءه من الجزيرة للشعب الكوبى فأدلى بخطابه الشهير الذى ورد فى بعض أجزائه ما يلى:

«لدى هنا رسالة كتبت بخط اليد، من الرفيق إرنستو جيفارا يقول فيها: أشعر أنى أتممت ما لدى من واجبات تربطنى بالثورة الكوبية على أرضها، لهذا أستودعك، وأستودع الرفاق، وأستودع شعبك الذى أصبح شعبى. أتقدم رسميا باستقالتى من قيادة الحزب، ومن منصبى كوزير، ومن رتبة القائد، ومن جنسيتى الكوبية، لم يعد يربطنى شىء قانونى بكوبا».

فى أكتوبر ١٩٦٥ أرسل جيفارا رسالة إلى كاسترو تخلى فيها نهائيا عن مسؤولياته فى قيادة الحزب، وعن منصبه كوزير، وعن رتبته كقائد، وعن وضعه ككوبى، إلا أنه أعلن عن أن هناك روابط طبيعة أخرى لا يمكن القضاء عليها بالأوراق الرسمية، كما عبر عن حبه العميق لكاسترو ولكوبا، وحنينه لأيام النضال المشترك.

أكدت هذه الرسالة إصراره على عدم العودة إلى كوبا بصفة رسمية، بل كثائر يبحث عن ملاذ آمن بين الحين والآخر. ثم أوقف مساعيه الثورية فى الكونغو وأخذ الثائر فيه يبحث عن قضية عالمية أخرى.

وقد قال فى ذلك: ".. إن الثورة تتجمد وإن الثوار ينتابهم الصقيع حين يجلسون فوق الكراسى، وأنا لا أستطيع أن أعيش ودماء الثورة مجمدة داخلى".

فى عام ١٩٦٥ سافر جيفارا إلى الكونغو وسعى لإقامة مجموعات **حرب** عصابات فيها. ومع أن فكرته لم تلق صدى واسعا لدى بعض القادة، أصر **جيفارا** على موقفه، وتموه بملابس رجل أعمال ثرى، لينطلق فى رحلة طويلة سافر **فيها** من بلد إلى آخر ليواجه المصاعب تلو الأخرى.

ذهب "تشى" لأفريقيا مسانداً للثورات التحررية، قائدا لـ ١٢٥ كوبيا، **ولكن** فشلت التجربة الأفريقية لأسباب عديدة، منها عدم تعاون رؤوس الثورة الأفارقة، واختلاف المناخ واللغة، وانتهى الأمر بالـ"تشى" فى أحد المستشفيات فى براغ للنقاهة، وزاره كاسترو بنفسه ليرجوه العودة، لكنه بقى فى زائير (جمهورية الكونغو الديمقراطية) محارباً بجانب قائد ثورة الكونغو باتريس لومومبا، لكنه فجأة ظهر فى بوليفيا قائدا لثورة جديدة، ولم يوثق هذه المرحلة سوى رسائله لفيدل كاسترو الذى لم ينقطع الاتصال معه حتى أيامه الأخيرة.

لم يكن مشروع "تشى" خلق حركة مسلحة بوليفية، بل التحضير (لرص) صفوف الحركات التحررية فى أمريكا اللاتينية لمجابهة النزعة الأمريكية المستغلة لثروات دول القارة. منذ بداية عام ١٩٦٧ وجد جيفارا نفسه مع مقاتليه العشرين، وحيداً يواجه وحدات الجيش المدججة بالسلاح بقيادة السى آى إيه فى برارى بوليفيا الاستوائية. أراد جيفارا أن يمضى بعض الوقت فى حشد القوى والعمل على تجنيد الفلاحين والهنود الحمر من حوله، ولكنه أجبر على خوض المعارك مبكراً.

وقد قام "تشى" بقيادة مجموعة من المحاربين لتحقيق هذه الأهداف، وقام أثناء تلك الفترة الواقعة بين ٧ نوفمبر ١٩٦٦ و٧ أكتوبر ١٩٦٧ بكتابة يوميات المعركة.

ألقى القبض على اثنين من مراسلى الثوار، فاعترفوا تحت قسوة التعذيب أن

جيفارا هو قائد الثوار. فبدأت حينها مطاردة لشخص واحد. بقيت السى آى إيه على رأس جهود الجيش البوليفى طوال الحملة، فانتشر آلاف الجنود لتمشيط المناطق الوعرة بحثا عن أربعين رجلا ضعيفا وجائعا. قسم جيفارا قواته لتسريع تقدمها، ثم أمضوا بعد ذلك أربعة أشهر متفرقين عن بعضهم فى الأدغال. إلى جانب ظروف الضعف والعزلة هذه، تعرض جيفارا إلى أزمات ربو حادة، مما ساهم فى تسهيل البحث عنه ومطاردته.

فى يوم ٨ أكتوبر ١٩٦٧ وفى أحد وديان بوليفيا الضيقة هاجمت قوات الجيش البوليفى المكونة من ١٥٠٠ فرد مجموعة جيفارا المكونة من ١٦ فرداً، وقد ظل جيفارا ورفاقه يقاتلون ٦ ساعات كاملة وهو شىء نادر الحدوث فى حرب العصابات فى منطقة صخرية وعرة، تجعل حتى الاتصال بينهم شبه مستحيل. وقد استمر "تشى" فى القتال حتى بعد موت جميع أفراد المجموعة رغم إصابته بجروح فى ساقه إلى أن دُمّرت بندقيته (م-٢) وضاع مخزن مسدسه وهو ما يفسر وقوعه فى الأسر حياً. نُقل "تشى" إلى قرية "لاهيجيرا"، وبقى حياً لمدة ٢٤ ساعة، ورفض أن يتبادل كلمة واحدة مع من أسروه. وفى مدرسة القرية نفذ ضابط الصف "ماريو تيران" تعليمات ضابطيه: "ميجيل أيوروا" و"أندريس سيلنيش" بإطلاق النار على "تشى".

دخل ماريو عليه متردداً فقال له "تشى": أطلق النار، لا تخف؛ إنك ببساطة ستقتل مجرد رجل"، لكنه تراجع، ثم عاد مرة أخرى بعد أن كرر الضابطان الأوامر له فأخذ يطلق الرصاص من أعلى إلى أسفل تحت الخصر حيث كانت الأوامر واضحة بعدم توجيه النيران إلى القلب أو الرأس حتى تطول فترة احتضاره، إلى أن قام رقيب ثمل بإطلاق رصاصةمن مسدسه فى الجانب الأيسر فأنهى حياته.

وقد رفضت السلطات البوليفية تسليم جثته لأخيه أو حتى إعلام أحد بمكانه أو بمقبرته حتى لا تكون مزاراً للثوار من كل أنحاء العالم.

وقد شبّت أزمة بعد عملية اغتياله وسميت بأزمة "كلمات جيفارا" أى مذكراته. وقد تم نشر هذه المذكرات بعد اغتياله بخمسة أعوام وصار جيفارا رمزاً من رموز الثوار على الظلم. نشر فليكس رودريجيس، العميل السابق لجهاز المخابرات الأميركية (CIA) عدة صور عن إعدام تشى جيفارا. وتمثل هذه الصور آخر لحظات حياة هذا الثورى الأرجنتينى قبل إعدامه بالرصاص بـ"لا هيجيرا" فى غابة "فالى غراندى" ببوليفيا، فى ٩ أكتوبر(تشرين الأول) من عام ١٩٦٧ . وتظهر الصور كيفية أسر تشى جيفارا، واستلقاءه على الأرض، وعينيه شبه المغلقتين ووجهه المتورم والأرض الملطخة بدمه بعد إعدامه. كما تنهى الصور كل الإشاعات حول مقتل تشى جيفارا أثناء معارك طاحنة مع الجيش البوليفى. وقبيل مدة كشف السيد فليكس رودريجيس النقاب عن أن أيدى تشى جيفارا بُترت من أجل التعرُّف على بصمات يديه. فى العام ١٩٩٧م كشف النقاب عن جثمانه وأعيد إلى كوبا، حيث قام الرئيس الكوبى السابق فيدل كاسترو بدفنه بصفة رسمية.

بعض أقوال تشى جيفارا:

- لا يهمنى متى وأين سأموت.
- ' أعرف حدوداً فالعالم بأسره وطنى.
- ن الطريق مظلم وحالك فإذا لم تحترق أنت وأنا فمن سينير الطريق.
- ما أن ينتصر أو يموت. وكثيرون سقطوا فى طريق النصر الطويل.
- الثوار يملأون العالم ضجيجا كى لا ينام العالم بثقله على أجساد الفقراء.
- ن يكون لدينا ما نحيا من أجله، إن لم نكن على استعداد أن نموت من أجله.
- أؤمن بأن النضال هو الحل الوحيد لأولئك الناس الذين يقاتلون لتحرير أنفسهم.

● الثورة قوية كالفولاذ، حمراء كالجمر، باقية كالسنديان، عميقة كحبنا الوحشى للوطن.

● أنا لست محررا، المحررون لا وجود لهم، فالشعوب وحدها هى من تحرر نفسها.

● إننى أحس على وجهى بألم كل صفعة توجّه إلى مظلوم فى هذه الدنيا، فأينما وجد الظلم فذاك هو وطنى.

● إن الثورة تتجمد وإن الثوار ينتابهم الصقيع حين يجلسون فوق الكراسى، وأنا لا أستطيع أن أعيش ودماء الثورة مجمدة داخلى".

(٩)

عبد الكريم قاسم..

لحظة عربية متكررة !!



لحظة إعدام هذا الرئيس مأساة عربية بكل معنى الكلمة، والبعض يقول إنها تتكرر كثيرا فى عالمنا، والبعض يقول إنها اللحظة " الظاهرة " فى أروقة الحكم العربية، خاصة فى مرحلة الستينيات.

لحظة إعدام الرئيس العراقى عبد الكريم قاسم لم تكن بواسطة عدو، ولكنها على أيدى صديق عمر، ومشوار حياة، وكفاح عسكرى وسياسى، هو عبد السلام عارف، وقد أتيحت لقاسم تصفية عارف، ولكنه تراجع، ولكن عندما سنحت الفرصة لعارف أجهز على رفيق العمر !!

تقول القصة إنه عند تشكيل نخبة من الضباط فى العراق لتنظيم الضباط الوطنيين (الذى أسماه الإعلاميون لاحقًا بتنظيم "الضباط الأحرار" أسوةً بتنظيم الضباط الأحرار فى مصر)، انضم لهذا التنظيم العقيد الركن عبد السلام عارف الذى طلب انضمام زميله العميد عبد الكريم قاسم إلى خليته.

تردد التنظيم فى ضمهما فى بادئ الأمر لأسباب تتعلق بوصفه "بالمزاجية والتطلعات الفردية". وبسبب تأجيل تنظيم الضباط الوطنيين بالقيام بالحركة لأكثر من مرة اتفق عبد السلام عارف مع عبد الكريم قاسم وبالتنسيق مع بعض الضباط من أعضاء التنظيم وهم الفريق نجيب الربيعى والعميد ناظم الطبقجلى والعقيد رفعت الحاج سرى والعميد عبد الرحمن عارف والعقيد عبد الوهاب الشواف على الشروع بالتحرك للإطاحة بالحكم الملكى دون الرجوع للتنظيم.

نجح التنظيم بالاستيلاء على السلطة، وتولى العميد عبد الكريم قاسم منصب رئيس الوزراء ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة بينما استلم الفريق نجيب الربيعى منصب رئيس مجلس السيادة ريثما يتم انتخاب رئيس للجمهورية. أما العقيد الركن عبد السلام عارف فتولى منصبى نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية. ووزعت باقى الوزارات على أعضاء التنظيم حسب إسهامهم بالثورة.

وتمتد علاقة الصداقة والود بين العميد عبد الكريم قاسم والعقيد الركن عبد السلام عارف إلى عام ١٩٣٨ حيث تقابلا لأول مرة فى الكلية العسكرية. وبعد أن

تخرج عبد السلام فى الكلية العسكرية التقى بعبدالكريم قاسم فى البصرة فى إحدى القطاعات العسكرية بعد نقل عارف بسبب اشتراكه بثورة رشيد عالى الكيلانى باشا عام ١٩٤١، وأثناء اللقاءات التى كانت تجمعهما كانا يتداولان مواضيع الساعة يومذاك من سوء الأوضاع التى يعيشها المواطن العراقى من جراء سياسة نورى السعيد باشا رئيس الوزراء والأمير عبد الإله الوصى على العرش، وخضوعهما للسياسة البريطانية فى العراق كما التقيا مرة أخرى فى كركوك فى عام ١٩٤٧ وجمعتهما الحياة العسكرية مرة أخرى فى الحرب الفلسطينية ١٩٤٨ حيث أرسل قاسم إلى مدينة كفر قاسم وأرسل عارف إلى مدينة جنين وهما على بعد ٦٠ كم الواحدة عن الأخرى، فكانت تتم بينهما اللقاءات المستمرة واستمرت علاقتهما حتى عام ١٩٥١ حيث فارق عبد السلام عارف رفيق سلاحه لمدة خمس سنوات حيث التحق فى ذلك العام بالدورة التدريبية الخاصة بالقطاعات العسكرية البريطانية ثم ما لبث أن أصبح معلماً للطلبة - الضباط العراقيين المبتعثين للدورات التدريبية والتى كانت تقام فى مدينة دوسلدورف الألمانية الغربية واستمر فى الخدمة هناك حتى عام ١٩٥٦.

بعد عودة عارف إلى العراق، نقل إلى اللواء ٢٠ عام ١٩٥٦ حيث انتمى إلى تنظيم الضباط الوطنيين وبعد عام على انتمائه التقيا ثانيةً عام ١٩٥٧ حين فاتح العقيد عبد السلام عارف قيادة التنظيم لضم زميله العميد عبد الكريم قاسم للتنظيم الذى تردد بضمه بادئ الأمر بسبب نزعته الفردية ومزاجيته.

وبعد انضمام قاسم تغيب الفريق نجيب الربيعى عن اجتماعات التنظيم لأسباب تتعلق بالتحاقه بوحداته فى أماكن مختلفة وتم تعيينه سفيرا للعراق فى السعودية، تم اختيار الضابط الأعلى رتبةً حسب السياقات العسكرية العميد ناجى طالب للرئاسة المؤقتة للتنظيم لحين عودة الفريق نجيب الربيعى إلا أن تدخل العضو الفاعل فى التنظيم العقيد عبد السلام عارف حال دون ذلك حيث دخل فى تفسير وشرح لمبررات طلب ترشيح زميله العميد عبد الكريم قاسم مبرراً إمكانيتهما بالعمل المشترك للقيام بالثورة كونهما يعملان فى موقع عسكرى

استراتيجى قرب بغداد ومع وجود كتائب مدفعية ودروع ومشاة وأسلحة وصنوف مساندة أخرى وختم قوله مبتسماً لا زعيم إلا كريم، الأمر الذى أحرج المجتمعين مما أدى إلى موافقتهم على مقترحه.

أتاح ترؤس عبد الكريم قاسم للجنة العليا للتنظيم لعبدالسلام عارف الفرصة للعمل المشترك مع قاسم لتحقيق آمالهما فى إحداث تغيير فى البلد. وبعد ورود بعض المعلومات للقصر الملكى ودار السراى للحكومة العراقية بأن تنظيماً سرياً قد تشكل هدفه إحداث تغيير فى البلد سارعت الحكومة بإصدار تعليماتها لقيادة الجيش بإحداث حركة تنقلات شملت العميد عبد الكريم قاسم والعقيد عبد السلام عارف اللذين نقلا إلى المنصورية فى محافظة ديالى حيث تم تنصيب قاسم آمراً للواء ١٩ وعارف آمراً للواء ٢٠ الذى أصبح مع مجموعة القطعات الذاهبة إلى الأردن تحت إمرة اللواء أحمد حقى.

وفى حركة سياسية لافتة للانتباه لامتصاص نقمة الضباط على الحكم وإحداث تفرقة فى صفوف الضباط المشتبه بانضمامهم للتنظيم قام الوصى على العرش الأمير عبد الإله مع الملك فيصل الثانى وبرفقتهما الفريق نورى السعيد باشا رئيس الوزراء بعدد من الزيارات للمواقع العسكرية المهمة الأولى بضمنها معسكر المنصورية، وفى الزيارة عرض نورى باشا على عبد الكريم قاسم منصب نائب القائد العام للجيش الذى اعتذر عنه وعرض على نجيب الربيعى منصب سفير العراق فى السعودية فقبله، وفى الزيارة التالية عرض نورى السعيد على عبد السلام عارف منصب وزير الدفاع والذى كان مرشحا قريبا لرتبة عميد ركن الذى اعتذر عنه هو الآخر حيث كان عارف معروفاً لديهم من خلال عضويته فى القيادة العامة للقوات المسلحة وعمله ملحقا عسكريا وضابط ارتباط فى ألمانيا. فما كان من ديوان سراى الحكومة إلا أن يعالج الأمر بنقل عبد السلام عارف مع عدد من الضباط المشتبه بانتمائهم للتنظيم إلى الأردن وهم من المعروف عنهم استياؤهم المعلن أو مشاركتهم بثورة رشيد عالى الكيلانى باشا عام ١٩٤١، حيث استغلت الحكومة قيام الاتحاد الفيدرالى الهاشمى بين المملكتين العراقية

والأردنية عام ١٩٥٨ وتوتر الحدود الأردنية - الإسرائيلية بسبب قيام الاتحاد من جهة وبسبب قيام الجمهورية العربية المتحدة فى نفس العام من الجهة الأخرى.

وفى مطلع يوليو عام ١٩٥٨ وعند إصدار الأوامر بتحرك القطعات للمفرق بالأردن مروراً ببغداد دعا ذلك كلاً من قاسم وعارف لعقد اجتماع عاجل للتنظيم حيث ابلغا التنظيم الذى تلكأ كثيرا بالقيام بالثورة بأنهما سيقودان عدداً من ضباط التنظيم لاستغلال هذه الفرصة للإطاحة بالنظام الملكى. ثم اتفق عارف مع قاسم بإعطاء التنظيم فرصة أخيرة للتحرك من خلال ضم الفرق العسكرية الأربع الموزعة فى المحافظات العراقية الأخرى لمساندة تحرك قطعات المنصورية فذهب عارف لوحده قائلا "أنا والزعيم نخبركم لآخر مرة بأنه فى حالة عدم الاشتراك معنا سنقول لكم هذا حدنا وياكم " ثم وضعا خطط التحضير والقيام بثورة تموز ١٩٥٨ رغم توجس العميد عبد الكريم قاسم من تصرفات الحكومة وأية عملية ثورة مضادة فاتفق مع العقيد عبد السلام عارف على إنشاء غرفة عمليات سرية يديرها قاسم من مقره فى معسكر المنصورية يمكنه من خلالها توجيه العمليات والحفاظ على ظهر الثورة وأوكلت لبقية الضباط تنفيذ العمليات داخل وخارج بغداد فأوكلت إلى عبد السلام عارف تنفيذ ثلاث عمليات وهى السيطرة على مقر قيادة الجيش والسيطرة على مركز اتصالات الهاتف المركزى والسيطرة على دار الإذاعة حيث أذاع عارف بنفسه البيان الأول للثورة صبيحة ١٤ تموز ١٩٥٨ وبهذا تكون الثورة قد نجحت فى الإطاحة بالحكم الملكى.

ومع وجود علاقات الصداقة المتينة بين قاسم وعارف إلا أنهما كانا مختلفين فى بعض التوجهات الفكرية فيعتقد بعض المؤرخين أنه وبعد نجاح الثورة حاول عارف إبراز نفسه كمفجر حقيقى للثورة من خلال دوره فيها حيث كان يدلى بخطابات عفوية وارتجالية والتى رأى فيها بعض المؤرخين وكذلك خصوم عارف بأنها كانت خطابات لامسؤولة. أما قاسم فكان يبرز نفسه على أساس أنه القائد والأب الروحى للثورة والمخطط لها، نحا قاسم نحو الفردية فنادى نفسه بالزعيم الأوحد وجمع السلطات بيده وعطل صلاحيات مجلس السيادة وعلق انتخاب

منصب رئيس الجمهورية وألغى تشكيل المجلس الوطنى لقيادة الثورة، ثم بدأت هواجسه بالحذر من منافسيه حتى رفاقه فى السلاح وأعضاء تنظيم الضباط الوطنيين.

كان هوى عارف مع التيار العروبى المتدين فى حين كان هوى قاسم مع التجربة الاشتراكية فتقرب للتيارات الشيوعية مما أبعده عن التوجهات الدينية والتيارات العربية والقومية التى كانت متعاظمة فى الشارع وقتذاك، وعمق ذلك سياسات كل من الطرفين غير المتحفظة تجاه الطرف الآخر وأدى ذلك إلى تسابق الطرفين على زعامة الثورة بينهما مما أعطى المبررات للعميد عبد الكريم قاسم لإزاحة العقيد عبد السلام عارف الذى كانت سلطاته ضعيفة أمام سلطات رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع الأمر الذى سهل مهمة الإطاحة به.

و بسبب بعض الأحداث المؤسفة حيث قامت الميليشيات الشيوعية (المقاومة الشعبية) ومساهمة بعض مؤيدى العميد عبد الكريم قاسم من العامة بموجة انتقام عارمة من أهالى الموصل وكركوك بسبب حركة العقيد الشواف الانقلابية فى الموصل وكذلك بسبب سلوكيات محكمة الثورة التى استهانت بالمتهمين حيث تم استغلال الحركة كذريعة لمحاكمة وتصفية خصوم قاسم من الأحرار والوطنيين مثل رشيد عالى الكيلانى باشا والعميد ناظم الطبقجلى وغيرهم ومن جهة أخرى تعمق الخلاف بين قاسم وعارف، وأدى هذا الخلاف الحاد إلى الإطاحة بزميله عبد السلام عارف كما أطاح بعدد من الزعامات العسكرية والسياسية وزج أسماءهم مع الانقلابيين والمنتفضين ضده تحت ذرائع شتى التى لم تثبتها محكمة الثورة التى رأسها ابن خالته المقدم فاضل عباس المهداوى ذو الميول الماركسية. وأعفى عبد السلام عارف من مناصبه عام ١٩٥٩، وأبعد بتعيينه سفيراً للعراق فى ألمانيا الغربية، وبعد عودته للعراق بسبب مرض والده لفقت لعارف تهمة محاولة قلب نظام الحكم، فحكم عليه بالإعدام ثم خفف إلى السجن المؤبد ثم الإقامة الجبرية لعدم كفاية الأدلة مما أدى إلى انتصار رئيس الوزراء عبد

الكريم قاسم فى الجولة الأولى ضد خصمه العنيد بإبعاده عن مسرح السياسة قابعاً تارةً فى السجن ينتظر يوم إعدامه، ورازحاً تحت الإقامة الجبرية فى منزله تارةً أخرى.

وعلى الرغم من هذه الخلافات الفكرية والسياسية إلا أن جذور العلاقة الطويلة الاجتماعية والمهنية بدت وكأنما أزيل عنها الغبار. ففى الوقت الذى يبدو فيه أن عبد الكريم قاسم لم يكن جاداً باتخاذ الخطوة الأخيرة بإعدام عارف وكأن العملية برمتها لعبة إقصاء وردع بين متنافسين، اتخذ عبد السلام عارف موقفاً مشابهاً حين أرسل قادة حركة أو انقلاب أو ثورة ٨ شباط ١٩٦٣ عبد الكريم قاسم للمحاكمة فى دار الإذاعة، حيث وجد نفسه مرةً ثانيةً وجهاً لوجه مع صديقه اللدود فانبرى عارف منفعلاً للدفاع عنه أمام معتقليه أعضاء تيار على صالح السعدى من حزب البعث متوسطاً عدم إعدامه والاكتفاء بنفيه إلى تركيا. فى النهاية، رضخ عبد السلام عارف لزملاء اليوم وكان هو من قرر الإعدام وبصورة عاجلة وبدون أية محاكمة لعبدالكريم قاسم فى دار الإذاعة.

أعدم عبد الكريم قاسم فى شهر رمضان، وكان صائما حين نفذ فيه حكم الإعدام رميا بالرصاص فى مبنى الإذاعة والتليفزيون, وقد رفض أن تعصب عيناه أثناء إعدامه وقبل إطلاق النار عليه هتف مناديا باسم العراق.

وينقسم العراقيون فيما بينهم فى رؤيتهم لرئيس الوزراء العميد "الزعيم" عبد الكريم قاسم فمنهم من يعتبره بأنه الأكثر عدالة ونزاهة وصدقا من بين حكام العراق الحديث والمخلص وأبو الضعفاء والقائد الفعلى للثورة، ويرى آخرون أنه قد أبرز نفسه على أنه القائد والأب الروحى للثورة والمخطط لها، العوامل التى دعته نحو الفردية والديكتاتورية فنادى نفسه بالزعيم الأوحد وجمع السلطات بيده وعطل صلاحيات مجلس السيادة وعلق انتخاب منصب رئيس الجمهورية وألغى تشكيل المجلس الوطنى لقيادة الثورة، كما سبق وأن حل مجلسى النواب والأعيان للحكم الملكى ولم يفسح المجال لانتخابات برلمان جديد وألغى جميع الأحزاب وعطل الصحافة واستبدلها بعدد محدود من صحافة الدولة. ثم

بدأت هواجسه بالحذر من منافسيه حتى رفاقه فى السلاح وأعضاء تنظيم الضباط الوطنيين الذين لم يسلموا من الاعتقال والتحقيق والإهانة وتلفيق التهم. كما يتهمه خصومه أيضاً بأنه كان يميل لجهة أو حزب على حساب الآخر رغم أنه لم يكن عضوا فى أى تنظيم أو حزب بعينه ويستشهدون بإيعازه أو فسح المجال لميليشيات الحزب الشيوعى العراقى التى شاركت الحكم معه منذ عام ١٩٥٩ بارتكاب أعمال العنف فى الموصل وكركوك على أعقاب حركة العصيان العسكرى المسلح التى قادها العقيد عبد الوهاب الشواف والتى أحيل على إثرها الكثير من المشتبه فيهم من الأبرياء والوطنيين بضمنهم الشخصية الوطنية قائد ثورة مارس ١٩٤١ رئيس الوزراء الأسبق رشيد عالى الكيلانى باشا والعميد "الزعيم" ناظم الطبقجلى وزجهم مع المتهمين فى محكمة الثورة التى سميت لاحقا بمحكمة المهداوى. حيث أعلن الكثير من المتهمين أمام المحكمة التى نقلت مباشرة عبر التليفزيون بأنهم قد أهينوا أو عذبوا أو اغتصبوا.

أما على صعيد المحسوبية فقد اتهمه خصومه بأنه آمن بالسلوك الستالينى فى الحكم حيث يجب على الحاكم ألا يملك شيئا إلا أنه جزءٌ من الدولة يصرف على نفسه وعائلته دون التملك الشخصى فقد سمح استغلال أخيه المعدم حامد قاسم والذى كان ذا صلاحيات ونفوذ واسعين والذى لقب بالبرنس حامد حيث كان فى السابق يعمل كاسباً بسيطا عند التجار من "الخضيرى" تمكن من جمع ثروة قدرت بالملايين من خلال إشرافه على توزيع أراضى الإصلاح الزراعى على الفلاحين مع محامى التسجيل عبد الكريم الحاج، ثم استغلت تحت مسميات تجارية فى بيروت وبعد اعتقاله أحيل إلى محكمة بداءة الرصافة التى أدانته وحكمت عليه بالسجن عامين، خرج بعدها وتوارى عن الأنظار حيث ظهر فجأةً بعد سنتين كواحد من كبار التجار وأصحاب الملايين وقد رشح نفسه عام ١٩٦٩ لمنصب نائب رئيس غرفة تجارة بغداد. كما وزع قاسم لأفراد عائلته (إخوته وأخواته) الدور السكنية المجانية فى الحى الراقى زيونة مع القادة العسكريين والذين ما زالوا يسكنون هذا الحى حتى يومنا هذا. ووزع لأقاربه المناصب مثل ابن خالته المقدم فاضل عباس المهداوى الذى منحه رتبة عميد وعينه رئيسا لمحكمة الثورة.

ويتهمه أكراد العراق بأنه تلاعب بالقضية الكردية ففى عام ١٩٥٨ ومع إعلان الجمهورية العراقية دعا رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم، القائد الكردى الملا مصطفى البارزانى للعودة إلى العراق حيث كان البارزانى لاجئا فى الاتحاد السوفيتى عقب انهيار الجمهورية الكردية القصيرة الأمد التى شكلها أكراد إيران فى مدينة مهاباد وشغل فيها البارزانى منصب وزير الدفاع إلا أن الحكومة انهارت بعد ١١ شهرا من نشوئها حيث تم القضاء عليها من قبل الحكومة الإيرانية بعد انسحاب القوات السوفيتية من الأراضى الإيرانية حيت دخلت القوات السوفيتية جزءا من الأراضى الإيرانية إبان الحرب العالمية الثانية. كان البرزانى فى ذلك الوقت قريبا من الخط الماركسى وعقدت مفاوضات فى حينها حول إعطاء الأكراد بعض الحقوق القومية لكن تطلعات البرزانى وتذوق طعم تجربة الجمهورية الكردية فى مهاباد جعلته يحلم بتجربة مماثلة فى العراق وهذا الطموح فاق ما كان فى نية عبد الكريم قاسم إعطاءه الأكراد من حقوق، الأمر الذى أدى إلى نشوب صراع بين الطرفين، حيث قام عبد الكريم قاسم بحملة عسكرية على معاقل البرزانى عام ١٩٦١، والتى من تداعياتها، يتهمه الأكراد بأنه اضطهدهم وألب عليهم العشائر العربية فى الحويجة والموصل مما أدى إلى وقوع أحداث مؤسفة من إراقة الدماء وتنكيل بين المكونين الاجتماعيين العراقيين.

أما أكثر الناس ارتباطاً به فهم من المقربين لديه فى الجيش وبعض الشخصيات الشيوعية. أما الآخرون فيتوزع ولاؤهم حسب مواقفه الوطنية ومنجزاته. وكذلك ارتبطت به بعض الطبقات الفلاحية فى جنوب العراق والتى وقف إلى صفها، والذين بالغوا بوصفه إلى حد إطلاق الأحاجى والخرافات التى كانت تنشر فى الصحافة يومذاك، فبعضهم ادعى أنه رأى صورة "الزعيم" على بيضة وآخرون نشروا بأنهم رأوا صورته بالمرقب متجلية على سطح القمر. وبقيت هذه الأحاجى يتداولها البسطاء ممن استفادوا من حكمه وبالغ فيها الآخرون منهم من المثقفين إلى حد الإطراء وإسناد أحداث غير واقعية لسيرة رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم.

وبعد سقوط نظام صدام حسين عام ٢٠٠٣ م عاد اسم عبد الكريم قاسم ليبرز فى الكثير من المحافل كقائد وطنى وزعيم ومؤسس للدولة العراقية وانتشرت صوره فى الكثير من البيوت والمكاتب وفى الشوارع وأقيمت له النصب والتماثيل فى العديد من المدن العراقية كالبصرة فى ساحة الزعيم عبد الكريم قاسم وبغداد فى ساحة عبد الكريم قاسم حيث أقيم له تمثال من البرونز بالحجم الطبيعى بتبرعات جماهيرية ووضع التمثال فى نفس المكان الذى تعرض فيه عبد الكريم قاسم لمحاولة اغتيال فاشلة عام ١٩٥٩ م. ودخلت صوره ضمن أعلى نسب الإقبال والشراء فى العراق وفق أحد استطلاعات الرأى التى أجرتها قناة العربية.وقد افتتحت الهيئة العامة للآثار عام ٢٠٠٩ م وبمناسبة أعياد ثورة تموز ١٩٥٨م قاعة فى المتحف الوطنى مخصصة للمقتنيات الشخصيه الخاصة بعبد الكريم قاسم والهدايا التى تلقاها خلال فترة حكمه إضافة إلى الأسلحة التى كان يستخدمها ومجموعة من الصور النادرة له وبعض إصدارات الصحف وحوت القاعة كذلك على تمثالين له أحدهما من البرونز والآخر من المرمر للنحات خالد الرحال.

(١٠)

روبسبير..

وكما طارت رؤوس خصومه !!



هناك لحظة ينسى السياسيون فيها أنهم بشر، فيتخذون هيئة الوحوش الضارية، ويفتكون بضحاياهم، ثم تأتى لحظة يتجرعون فيها من نفس الكأس، ويلقون حتفهم بنفس الطريقة الوحشية التى اختاروا لخصومهم ومعارضيهم الموت بها . وهكذا كانت لحظة القصاص الإلهى التى عاشها سفاح الثورة الفرنسية الأشهر روبسبير !!

روبسبير نموذج متقن للنفس البشرية عندما تتحول إلى وحش كاسر لا يشبع من سفك الدماء .. ولا يشبع من التمثيل بالآخرين .. ثورى تحول إلى قاتل بدم بارد .. كل همه أن يظل فى السلطة ، ولو استدعى ذلك أن يسوق أقرب الناس إليه إلى الجيلوتين ' المقصلة ' دون وازع من ضمير.. و باسم العدالة، وباسم الدفاع عن الثورة يفعل ذلك دون رحمة أو شفقة .. ودون أن يشعر حتى بالخجل، و الأهم دون الإحساس بأنه من الممكن أن يساق إلى نفس المصير المؤلم، الذى ساق إليه الآخرين .. إنه روبسبير سفاح الثورة الفرنسية!

هذا هو ماكسمليان روبسبير الذى ولد عام ١٧٥٨، فى " آراس " و نشأ فيها لأم ماتت، وعمره ست سنوات، وأب عاطل عن العمل، و لم يمر بمرحلة الشباب، كما كتبت شقيقته ذات مرة عنه، كما أنه لم يعش سوى ٣٦ عاما، وقد تولى حكم فرنسا بعد إعدام الملك لويس السادس عشر . و كان يرى نفسه كمصدر للقانون، حاله حال كل أشرار و طغاة التاريخ القديم والحديث !!

ورغم أنه تولى السلطة ثلاث سنوات، ثم انفرد بحكم فرنسا كحاكم مطلق لمدة عام واحد، إلا أن فرنسا عاشت فى ظل حكمه أسوأ عصور الإرهاب والطغيان، وأصبح الإعدام يوميا بالمقصلة من المشاهد المألوفة فى باريس .

وقال عنه المؤرخون إنه قتل ستة آلاف مواطن فرنسى فى ستة أسابيع دون أن يهتز له ضمير!

لقد كان روبسبير محاميا، واستطاع أن يبسط نفوذه، وكان متحمسا مثل بقية الثوار لآراء الفلاسفة الذين كانوا سببا فى قيام الثورة الفرنسية، ومهدوا للقيام

بها بأفكارهم : جاك جاك روسو، فولتير، ديدرو، ومونتسكيو، إلا أنه تنكر لهذه المبادئ، عندما قامت الثورة الفرنسية وأعدمت الملك لويس السادس عشر وزوجته مارى إنطوانيت .

وقد ساعد على قيام هذه الثورة الحالة الاقتصادية السيئة التى عاشتها فرنسا، بجانب الظلم المتمثل فى الزج بالأبرياء فى سجن الباستيل، وكان هذا الملك ضعيفا، ليست لديه القدرة على اتخاذ القرار المناسب فى الوقت المناسب .. ومن هنا فقد استيقظ الناس من كثرة الظلم الواقع على أهلهم، ومن شعور الناس بعجز الملك وتحكم زوجته، فبدأت الثورة فى ١٤ يوليو ١٧٨٩ ، وكان أول ما قامت به الجماهير الغاضبة هو تحطيم سجن الباستيل .

وكان اسم " ميرابو " قد برز بين الناس عندما قال لمندوب الملك، وهو فى الجمعية الوطنية - قل لسيدك - الملك - نحن هنا بأمر الشعب، ولن نتزحزح من أماكننا إلا على أسنة الرماح!!

وعندما حاولت الملكيات فى أوروبا أن تنقذ الملك لويس السادس عشر، أسرعت الثورة بالقبض على الملك الذى حاول الهرب مع زوجته وإعدامهما! وأعلنت الجمهورية سنة ١٧٩٢.

وتطورت الأحداث.. واستطاع المتطرفون من اليعاقبة (حزب الجبل) السيطرة على الأمور، وكان روبسبير قد دخل هذا الحزب، ثم استطاع أن يسيطر عليه ويصبح هو الحاكم الحقيقى لفرنسا!

ورغم أنه كان نحيل الجسد، صغير الجسم، إلا أنه كان خطيبا مفوها، يستطيع أن يسيطر على الجماهير بحسن إلقائه وبالشعارات التى يطلقها.

ويقول عنه المؤرخ ه.ج.ويلز: " أصبحت الثورة تحت سلطان زعيم متسلط شديد التعصب هو روبسبير. ومن العسير علينا أن نفضى فى هذا الرجل برأى، فإنه كان ضعيف البنية جبانا بفطرته، فقيرا مزهوا بنفسه، ولكنه أوتى ألزم الصفات لبلوغ القوة وهى الإيمان، فراح يعمل على إنقاذ الجمهورية على الصورة

التى خيلها إليه تصوره، كما كان يتوهم أنه لا منقذ لها إلا شخصه هو، ومن ثم أصبحت عقيدته الراسخة أن بقاءه فى الحكم هى السبيل لإنقاذ الجمهورية، وخيل إليه أن الروح الحى للجمهورية قد نشأ عن ذبح الملكيين وإعدام الملك.



هكذا كان مصير روبسبير كما مصير عشرات الآلاف من ضحايا روبيسبير الذين أرسلهم للمقصلة !!

ثم تحدث عن محكمة الثورة وعملها، وكيف ابتدأ بذلك سيل منهمر من الذبح والتقتيل، وجاء اختراع المقصلة " الجيلوتين " فى أنسب الأوقات لهذه النزعة الدموية، فأعدمت الملكة بالمقصلة، وكذلك أعدم معظم خصوم روبسبير بالمقصلة، وأعدم أيضا بالمقصلة كل كافر أنكر الكائن الأعلى الذى اتخذه روبسبير ربا .

ويقول المؤرخ الكبير: وانقضت الأيام يوما بعد يوم، وأسبوعا بعد أسبوع، وهذه الآلة الجهنمية تحز الرؤوس بعد الرؤوس ولسان حال روبسبير يقول هل من مزيد !

وأخيرا جاء دور روبسبير نفسه فعزل وأعدم بالمقصلة نفسها فى صيف عام ١٧٩٤ .. ولكن كيف كانت نهاية الطاغية ؟

و يؤكد المؤرخون أن مصطلح " الإرهاب " لم يكن شائعاً قبل ظهور روبسبير، وأن كلمة " إرهاب " تم استعمالها بقوة وكمصطلح فى الثورة الفرنسية، وفى عهد الحكومة التى سُميت بحكومة الإرهاب حيث " روبسبير" ورفاقه كانوا يرون الإرهاب عنواناً للفضيلة إذ قال روبسبير أمام لجنة الصحة العامة التابعة لـ "محكمة الرهبة " : "يجب أن يكون الهدف الأول لسياساتنا هو إرشاد الشعب بالمنطق وأعداء الشعب بالإرهاب، والإرهاب ليس أكثر من العدالة الفورية والشديدة وغير المرنة، لذلك فإن عنوان الفضيلة هو تحطيم أعداء الحرية بالإرهاب، وسوف يقدركم المؤسسون للجمهورية " !!

ويقول المؤرخ الدكتور محمد متولى : مضى روبسبير .. ذلك النمر الضارى.. دراكولا مصاص الدماء.. قضى على نفسه بتطرفه واشتطاته، فقد أصدر فى ١٠ يونيو سنة ١٧٩٤ قانونا كان بمثابة السيف على رقاب أعضاء المؤتمر الوطنى الفرنسى.. بمقتضى هذا القانون حرمان أعضاء المؤتمر من حصانتهم البرلمانية، وكان يهدف من وراء هذا القانون الإطاحة بكل من يرفع رأسه معارضا إياه، أو

مخالفا أفكاره .. ولكنه نسى ما قد يصنعه الخوف فى لحظة اليأس.. ذلك أن الشجاعة قد تدب حتى فى قلب الجبان إذا ما اضطر إلى الدفاع عن نفسه.

وخشى أعضاء المؤتمر الذين وعوا دروس المقصلة جيدا.. خشوا على أنفسهم ولذا دبرت مؤامرة ضد روبسبير وأعوانه، واتفق كل من باراس وتاليان متزعمى المؤامرة وهما من رجال الثورة اللذين كانا خائفين على ما يفعله روبسبير ومن معه، لذلك عزما على التخلص من هذا الطاغية .. وبدلا من استخدام الخطب والكلمات لإسقاطه استخدما نفس أسلحته.

القوة .. ومن ثم جهزا قوة عسكرية واقتحما بها دار البلدية التى كان بها روبسبير يحاول تبرير جرائمه وتدبير جرائم جديدة .

ونجحت إحدى الرصاصات التى أطلقت عليه فى أن تصيب فكه، واقتيد وهو يقطر دما إلى المقصلة، كى يذوق نفس الكأس التى أذاقها الكثير من فرائسه .

ويعلق مؤرخنا على هذا الحدث - الذى أطاح بهذا الطاغية الذى أحال حياة الناس فى فرنسا إلى جحيم لا يطاق.. بسفكه الدماء وعدم التورع بإنزال العقاب.. وأقل العقاب عنده هو الإعدام بالمقصلة - بلا مبرر - عقب على ذلك بقوله.. وهكذا انتهى هذا الكابوس المخيف الطويل، وزالت فجأة حمى التذبيح الممقوتة التى كلفت باريس وحدها ألفين وستمائة ضحية، وبقية أنحاء فرنسا أكثر من ٣٠ ألف قتيل!!

لقد وجهوا له تهمة الخيانة العظمى، فانفض من حوله أنصاره وتركوه لمصيره المحتوم، وانتهى هوان الشعب الفرنسى بتخلصه من حكم الطاغية، وبدت روح الأمل تدب من جديد لإقامة مجتمع الحرية والإخاء والمساواة الذى افتقدته الجماهير بعد ظلام ليل طويل '.

وكان إصرار حكام عهد الإرهاب تحت زعامة روبسبير فى فرنسا غريباً يتفق مع مزاجهم السوداوى، حيث إن أحد المحكوم عليهم بالإعدام نجح فى طعن نفسه بخنجر فمات، ولكن قادة المذابح أعلنوا أنهم يرفضون خداع العدالة، فحملوا جثة الرجل ونفذوا فيها الإعدام على المقصلة بفصل رأسه عن جسده.

وبدأت الثورة تأكل نفسها، فبعد اختفاء الخصوم إما على المقصلة، أو فى غياهب الوديان وثنايا الجبال، لم يعد أمام المزاج الدموى إلا تصفية الأصدقاء والحلفاء، فكان إذا أبدى أحد أدنى معارضة لروبسبير حكم عليه بأن (يطل من النافذة الجمهورية) وهى المقصلة أى أنه سيضع رأسه بين إطارات (الجيلوتين)، وعندما حاول أعظم أبطال الثورة الفرنسية جورج دانتون المحامى المفوه أن يوقف العنف ويتصدى لشلال الإعدام، تم القبض عليه، وأرسل ليحلق له على الموسى الوطنى (أحد أسماء المقصلة)، وأعدمت عائلات بأسرها بمن فيها الأطفال الرضع، خشية من ثأرهم إذا ما كبروا، وكان يطلب الى الأكبر سناً أن يشاهد ويتفرج على الأصغر سناً وهم يعدمون أولاً، ثم يدركونهم فى موكب الموت الهمجى الذى أبدع فيه سفاحو فرنسا.

لقد كان السفاح الأعظم روبسبير متزمتاً دَعِيّاً، متمسكاً حتى الإزعاج بما ظنه مبدأ لا يمكن التنازل عنه، وكان يحتقر الآخرين ويعتقد أنه مبعوث العناية الإلهية لإصلاح فرنسا، وكان يؤمن بأن المقصلة هى وسيلته الرئيسية لتنفيذ هذا الإصلاح، وتفاقم شعوره بأنه يمثل الفضيلة القصوى، وبدأ بالانقضاض على مجموعة مروجى الأفكار اللادينية وأرسلهم إلى المقصلة.

وظن الجميع أن الرجل متدين، ولكنه خرج الى الجميع بأفكار جديدة وغريبة عما أسماه الكائن الأعظم .

واخترع له عيداً ومهرجاناً كان هو المتحدث الأكبر فيه والأكثر نزعة للشرح والتحليل، ولم يكن هذا نوعاً من الرجوع إلى الله أو الإيمان بالأديان ولكنه قال: "إن الطبيعة هى ذلك الكائن الأعظم" غير أن معظم الناس انقسموا إلى فريقين، فريق يرى أن روبسبير عاقل ويعنى بالكائن الأعظم نفسه وفريق اعتبره مأفوناً تجاوز حدود العقل ومضى يهذى بأفكار ليست جديدة على كل من ينتفخ غروراً ويجد سلطة لا محدودة فى متناوله.

وقد اخترع روبسبيير مجموعة فريدة من التهم يعاقب مقترفها بالإعدام:

التعرض للوطنية بالسب أو القذف.

بث روح اليأس لدى المواطنين.

ترويج أخبار كاذبة.

انتهاك الأخلاقيات.

إفساد الضمير العام.

تعكير البراءة والطهارة الثورية، وتعويق طاقة الحكومة.

ومن أجل الإسراع بالإجراءات القانونية صدرت قوانين بمنع محامى الدفاع أو استدعاء أى شهود. أما المحلفون فكانوا مجموعة من المواطنين الشرفاء الذين كان بوسعهم الوصول الى حكم عادل دون الاستماع الى مرافعات الدفاع أو إفادات الشهود.

وكان الحكم دائماً واحداً من اثنين، البراءة أو الموت. وإذا وضعنا فى الحسبان مقولة روبسبير بأن الرأفة مرادفة لقتل الأمهات أو الآباء لعرفنا أن المحاكمة كانت تعنى دائماً الموت وارتفع معدل تنفيذ الأحكام إلى ثلاثين حكماً يومياً مع بداية نوفمبر ١٧٩٣.

من ناحية أخرى كان الجيش الفرنسى قد نجح مؤقتاً فى حماية الحدود وحقق بعض النجاح فى ردع الخطر، وبدأ بعض الجمهوريين يعربون عن عدم جدوى هذا الكم من القوانين والإجراءات والمحاكمات القمعية، وهنا ظهر روبسبير ليقول (إن أى فرد يعارض هذه الإجراءات لابد أنه عدو للثورة ويخفى فى صدره هذا العداء).

ولذلك بدأ حملة تحقيق واعتقالات جديدة للتعرف على ما فى صدور الناس، ولم يدرك وهو يمارس مزيداً من الاضطهاد والقمع أن الجميع يتندرون على "الكائن الأعظم" الذى اخترعه، وصاروا يسخرون منه من وراء ظهره.

وفى السادس والعشرين من يوليو عام ١٧٩٤م، ألقى روبسبير خطبة عصماء

نادى فيها بضرورة السير على درب الفضيلة وأهمية الالتزام بمكارم الأخلاق، وبينما كان يلقى كلمته كانوا يهتفون بحماس بالغ: (إلى الجيلوتين يا أعداء الثورة).

وفى اليوم التالى، بدأ نقاد روبسبير وخصومه يتحدثون عن تجاوز روبسبير لأصول البروتوكول، فلم يعد يتحدث باسم القيادة الجماعية، وإنما أصبح يتكلم باسمه فقط، مما يعنى أنه قلبها دكتاتورية خالصة، وكان الكثيرون قد ساورهم الخوف من أن تبعيتهم لروبسبير أو انضواءهم تحت قيادته لن يحميهم من تقلبات مزاجه، لذلك ما إن تفوه أحد الحاضرين بالاتهام حتى سارع العشرات الى تأييده، ومن حسن حظهم أن بلاغة روبسبير قد خانته، ولم يجد الكلمات التى يمكنه بها أن يرد الاتهام، وتلعثم الطاغية وتردد وشعر بالخوف لأول مرة. هنا صاح أحد الحاضرين:

"انظروا: إن دماء دانتون تخنق عبراته وتمنع كلماته!".

وسرعان ما تحرك خصومه ضده، وأدركوا بغريزة الحياة أنهم إن لم يلتفّوا ويجتمعوا ويتحالفوا ويتحركوا بسرعة، فإنهم موتى لا محالة .

وألقى القبض على روبسبير ورفاقه وأبرزهم كيتون وسان جوست وهم من عتاة السفاحين الذين عاثوا فى الأرض فساداً، إلى جانب خمسة عشر سفاحاً من خيرة مساعديه تم اقتيادهم مقيدين إلى غرفة مجاورة، ولم يستطع أن يطالب بالرحمة أو الرأفة التى حرم الآلاف منها، فأقدم على الانتحار، ولكن محاولته فشلت عندما انقض أحد الحراس عليه وخطف السلاح النارى الذى كان روبسبير يحمله وأقدم به على محاولة الانتحار التى تركته يتخبط فى دمائه حيث أصابه العيار النارى فى فكه، وانهمرت دماء غزيرة من الجرح غطت وجهه وثيابه فضلاً عن تهتك فكه.

وصعد روبسبير مع سبعة عشر من أقرب معاونيه الى المقصلة وواجه نصل الآلة التى أزهقت أرواح الآلاف بأوامره وتآمره . وكان منظر إعدامه مثيراً ، حيث صعد الدرج الخاص بالمقصلة وهو غارق فى دمائه، وكان قد وضع ضمادة من القماش على فكه، ورأى الجلاد أن ترك هذه الضمادة قد يعوق عمله، فنزع القماش بقوة صرخ معها روبسبير صرخة مدوية، ولم يسكت إلا عندما هوى حد المقصلة على رقبته لينهى حياة تمنى الملايين أن تنتهى قبل ذاك الموعد بسنين.

وتنفس الجميع الصعداء لموت روبسبير وسفاحيه السبعة عشر، وقد راهن الكثيرون على أن موت روبسبيير سيوقف حمامات الدم إلى الأبد، ويعيد لفرنسا بعض السكينة لبناء ما انهار ولترميم الدمار الذى عم البلاد فى جميع المجالات، وقد صدق رهانهم، لأن موت مارا وهيبير ودانتون قبل روبسبير لم يوقف مسيرة القتل، وقد توقف النزف فعلاً بعد موت السفاح الضئيل الجسم الممتلئ ضغينة ضد الحياة نفسها.

وتتفاوت الإحصائيات حول الأعداد الحقيقية لضحايا الثورة الفرنسية عامة، وحكم الإرهاب (حكم روبسبير ورفاقه) بصفة خاصة، ولكن أقرب التقديرات تشير الى أن ما يقرب من نصف مليون قد ماتوا، لتغسل دماؤهم تراب بلادهم، ولتبقى إنذاراً فى هذا البلد ضد أى تسلط محتمل، حتى أن الفرنسيين أصبحوا أكثر شعوب العالم خوفاً من الديكتاتورية وأحرص الناس على منح شعبهم حقوقه، فى الحرية والتعبير وطول إجراءات القضاء.

وبعد كابوس حكم الإرهاب كان التعليق على مصرع القيادات الثورية واحداً بعد واحد هو القول الشهير: إن الثورة دائماً تأكل أبناءها !!

(١١)

تشاوشيسكو..

لحظة بكى كالأطفال !!



عندما حلت اللحظة، واقترب الموت من الطاغية المستبد الذى أشاع نظامه الفساد فى البلاد، سام خصومه ومعارضيه سوء العذاب، ارتعدت أوصاله، وارتجفت فرائصه، وراحت الدنيا تدور به، ولم يصدق أنه لم يبق له فى الدنيا إلا ثوان معدودة .

حين نودىَ على الرئيس الرومانى نيكولاى تشاوشيسكو، وأدرك دنو اللحظة الأخيرة من أجله، أخذ يبكى كالأطفال، خاصة حين قام الجنود بتقييده قبل إطلاق الرصاص عليه .

أما السيدة الأولى " الأبشع " ليس فقط فى تاريخ بلادها، بل وسائر دول القارة الأوربية ، زوجته العجوز التى كانت تبلغ من العمر - آنذاك - ثلاثة وسبعين عاماً، فقد قامت بضرب أحد الجنود على و جهه حين حاول تقييدها قبل تنفيذ حكم الإعدام بها، لأنها لم تتصور أن هذا الجندى الذى كان لا يجرؤ على حتى رفع رأسه لكى يختلس نظرة أثناء سيرها، يمد يده لكى يعدها للموت!!

كان نيكولاى تشاوشيسكو من أشهر الطغاة المستبدين فى التاريخ المعاصر، وحكم بلاده رومانيا لمدة أربعة وعشرين عاما (١٩٦٥ حتى ١٩٨٩) بالحديد والنار.

وكما سائر طغاة التاريخ، أصيب تشاوشيسكو بجنون العظمة فى نهاية حياته فكان يخلع على نفسه الألقاب اللقب تلو الآخر مثل " القائد العظيم " و "الزعيم الملهم "و " دانوب الفكر "، نسبة لنهر الدانوب، و " منار الإنسانية المضىء " و"العبقرية التاريخية ".

وكان تشاوسيسكو، وبدعم وتشجيع وتحريض من زوجته " رأس الأفعى " فى نظامه ينكل بخصومه ومعارضيه، فيقتلهم ويعتقلهم ويعذبهم، وكان لا يقبل أى نقد، و لا يظهر أية رحمة مع معارضيه .

ومما جعله يذهب بعيدا فى طغيانه، بطانة السوء من الانتهازيين والمنافقين من رجال النظام وكتبته الذين كانوا يصفونه بـ " بيوليوس قيصر " و بـ " الإسكندر

الأكبر "، و " حامى الشعب " حتى طفح الكيل بشعبه فثار عليه وعليهم وقام بالثورة عليه وعلى نظامه ورجاله .ولكن كيف تم قتله ؟

انفجرت المظاهرات فى رومانيا فجأة وبشكل لم يكن متوقعاً وخصوصاً بعد أن قامت قوات الرئيس بقتل عدد من المتظاهرين من الطلبة فى ٢٠ ديسمبر من عام ١٩٨٩م و كانت المظاهرات العنيفة قد وصلت إلى قصر الرئيس الفخم فخرج تشاوشيسكو يخطب فيهم لكن المتظاهرين كانوا يهتفون ضده مما اضطره إلى قطع خطبته و فى اليوم التالى ازدادت المظاهرات حدة برغم عدد القتلى الذى فاق المئات و الجرحى الذى تعدى الألوف فغصت المستشفيات بهم و استطاع المتظاهرون حصار القصر و أخذت أصوات المتظاهرين تهدر مما أصاب تشاوشيسكو بالرعب فاضطر للهرب عن طريق الممرات السرية لقصره و بواسطة طائرة هليوكوبتر حطت به هو و زوجته خارج المدينة استقل بعدها سيارة سرقها أعوانه من إحدى المزارع للبحث عن مخبأه السرى الخاص الذى لم يعرف مكانه و استطاع الفلاحون القبض عليه و تسليمه للسلطة فعقدت له محاكمة سريعة تم تسجيلها على أشرطة سينمائية بثتها إحدى شبكات التليفزيون الفرنسية فكانت حدث العام - و قد كان تشاوشيسكو مع زوجته أثناء محاكمتهما فى غاية العصبية و جنون العظمة فقاما بشتم القضاة مما اضطرت المحكمة لتعجيل تنفيذ حكم الإعدام بهما .

4

الفصل الرابع

لحظة الاستسلام

(١)

الامبراطور العتيد هيروهيتو..
وقع وثيقة الاستسلام بدموعه !!



ربما لا توجد لحظة أقسى على الحاكم من تلك التى يمسك بها القلم لكى يوقع وثيقة استسلام بلاده لأعدائها مكرها ، وهذه هى اللحظة التاريخية التى لن ينساها العالم ، وفى مقدمته اليابانيون ، عندما بكى بحرقة إمبراطورهم العتيد هيروهيتو على قرار استسلام بلاده ، وقدم الوثيقة للأمريكيين !!

هيروهيتو لم يكن مجرد حاكم شأنه شأن سائر حكام العالم ، بل كان يعتبر فى أعين شعبه الوثنى بمثابة إله - والعياذ بالله - ، ومن هنا فقد كانت لحظة بكائه ذليلا مكسورا صدمة لم يفق منها اليابانيون لعقود طويلة من الزمان !!

وقد استسلمت اليابان لقوات الاحتلال فى ١٤ أغسطس ١٩٤٥ ، بعد إلقاء الأمريكيين قنبلتين نوويتين على مدينتى " هيروشيما " و " ناجازاكى " اليابانيتين ، عندما أعلمت الحكومة اليابانية قوات الحلفاء قبول إعلان " بوتسدام ".

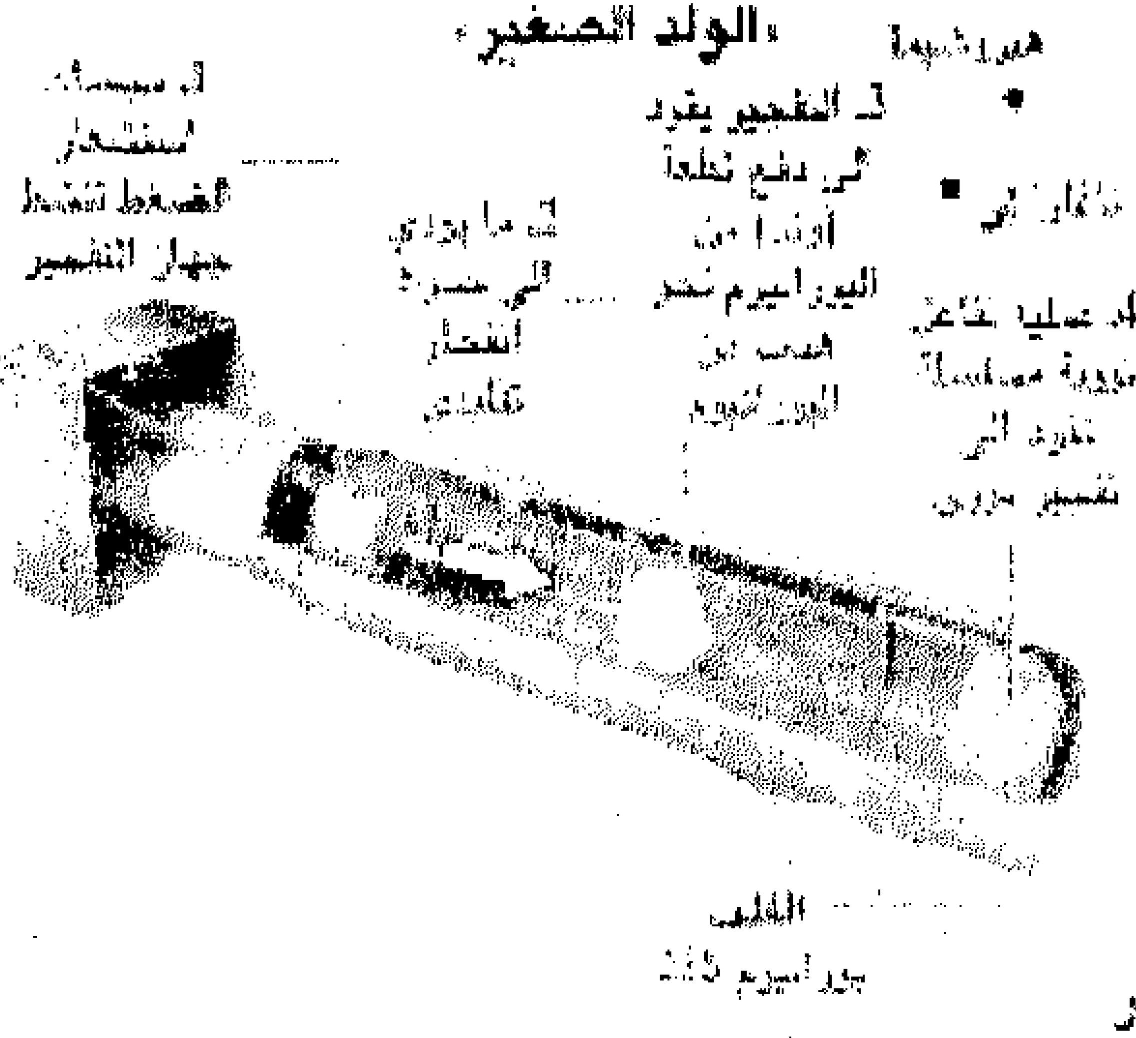
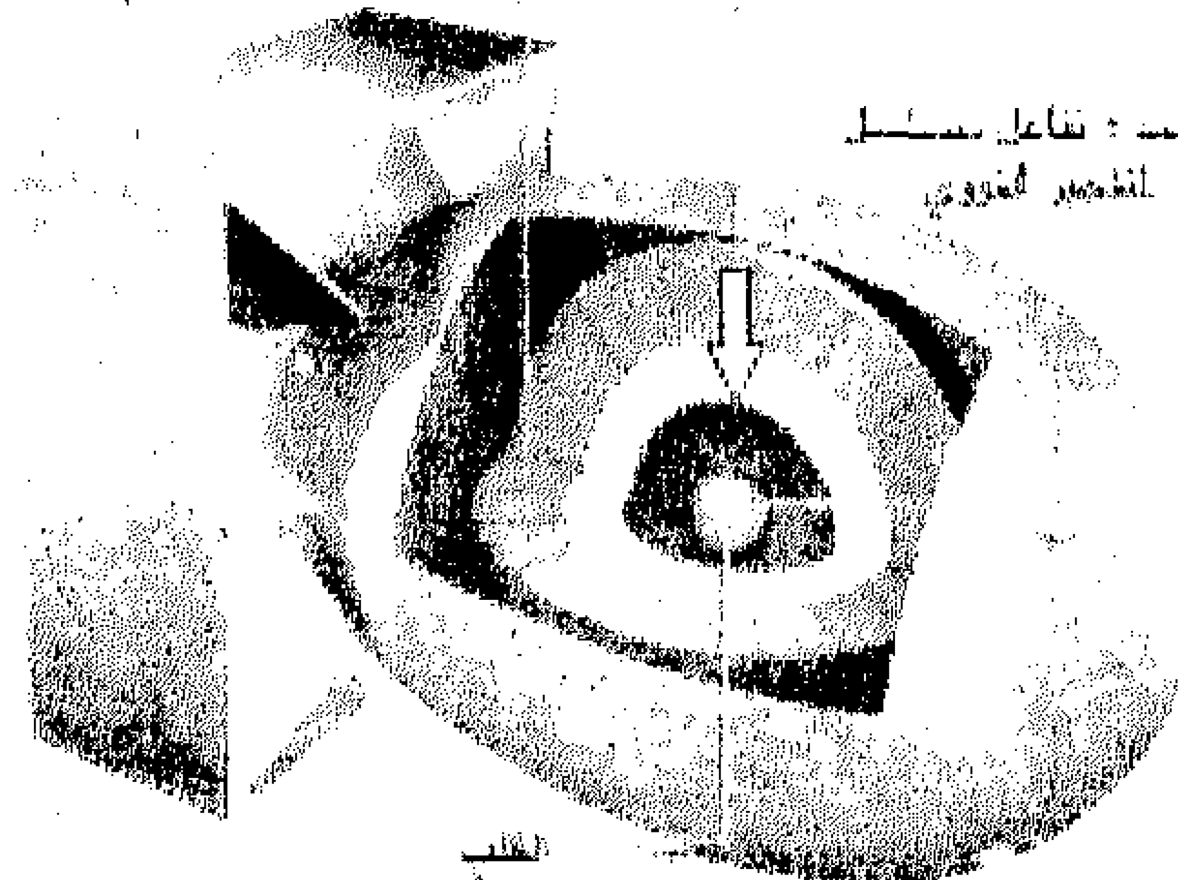
وفى اليوم التالى أعلن الإمبراطور هيروهيتو استسلام اليابان غير المشروط على المذياع لأول مرة يسمع فيها الشعب اليابانى صوت إمبراطورهم وهو اليوم الذى يعتبر آخر يوم فى الحرب العالمية الثانية.

فى نفس اليوم قام الرئيس الأمريكى هارى ترومان بتعيين الجنرال دوغلاس ماكارثر كقائد أعلى لقوات التحالف للإشراف على احتلال اليابان.

وكانت قوى التحالف قد اتفقت على تقسيم اليابان فيما بينها مثلما حدث فى احتلال ألمانيا، إلا أنه فى النهاية منح القائد الأعلى لقوات التحالف حكماً مباشرا على جزر اليابان الرئيسية (هونشو، هوكايدو، شيكوكو، كيوشو)، وتم تقسيم حكم الجزر المحيطة والمناطق الأخرى بين قوات الحلفاء .

وقد منع رفع العلم اليابانى (مع شعار الشمس) بشكل مؤقت حتى رفع المنع عام ١٩٤٨.

اول قنبلة ذرية في العالم



وكانت من أهم مسؤوليات ماكارثر هو وضع شبكة لتوزيع الطعام وذلك بعد حل الحكومة وتدمير محلات البيع فى المدن الرئيسية فقد كان الشعب يعانى الجوع، وعلى الرغم من جميع الجهود فإن الملايين من اليابانيين لم يتمكنوا من الحصول على الطعام بانتظام لعدة سنوات بعد الاستسلام.

وقد التقى ماكارثر مع الإمبراطور هيروهيتو فى ٢٧ سبتمبر والصورة التى تجمعهما تعتبر من أهم الصور فى التاريخ اليابانى على الرغم من ملابس الجنرال ماكارثر العسكرية دون أية ربطة عنق إلا أنه يعتقد أن الجنرال قد قام بذلك عن قصد لإرسال رسالة للإمبراطور بأن دولته هى تحت الاحتلال.

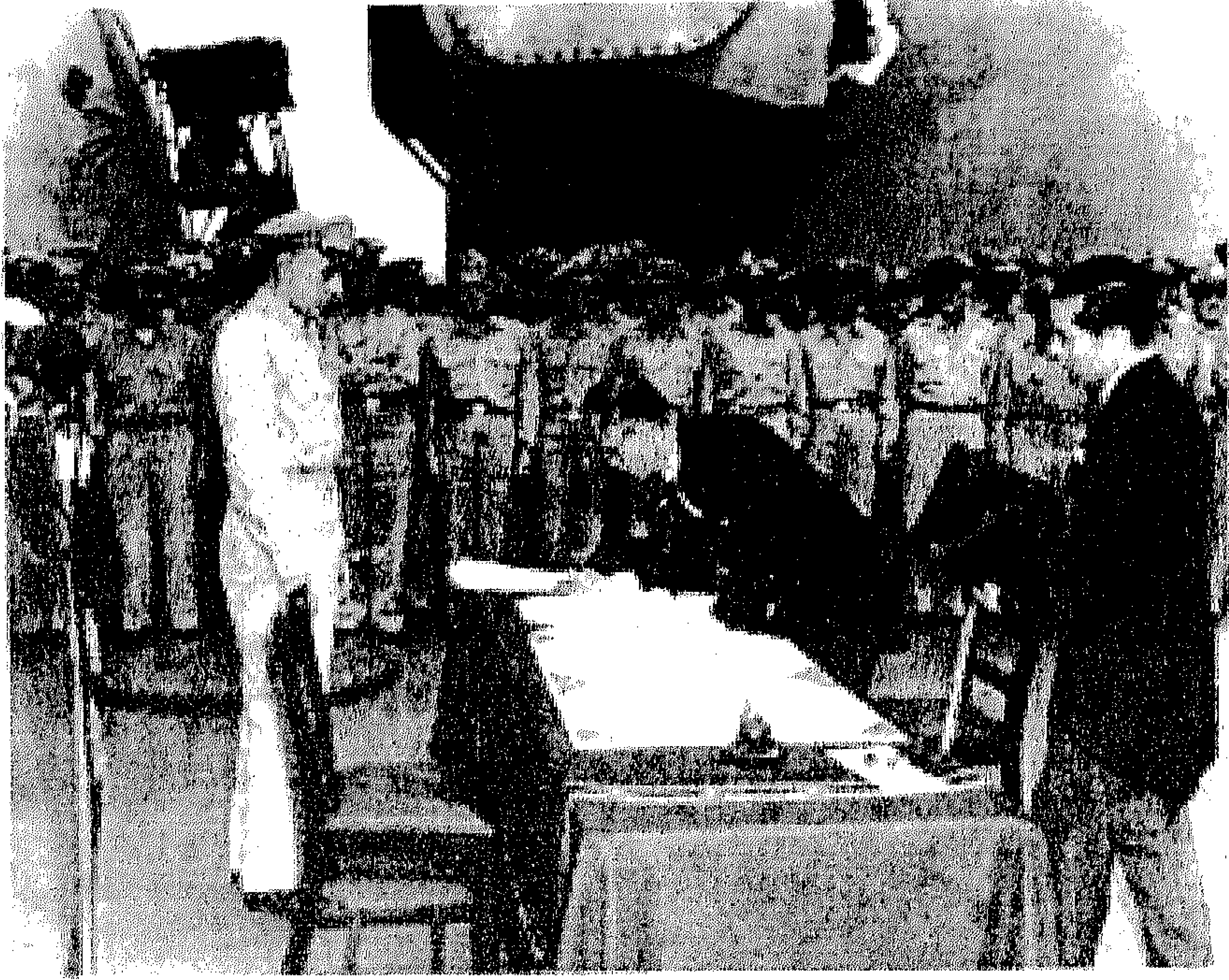
ولكن يذكر التاريخ رفض ماكارثر أى مطالبات من دول التحالف لمحاكمة الإمبراطور هيروهيتو كمجرم حرب، كما عمل على إقناع العائلة الإمبراطورية التى طالبت الإمبراطور بالتخلى عن سلطته بالبقاء عليها لعدم إشعال أى اضطراب فى الشعب اليابانى غير متوقع.

ومع نهاية ١٩٤٥ كان قد دخل إلى اليابان أكثر من ٣٥٠٠٠٠ جندى أمريكى. ومع ١٩٥٠ تم تخفيض أعداد الجنود بشكل كبير خاصة بعد غزو كوريا الشمالية لكوريا الجنوبية حيث أرسل الكثير من الجنود إلى كوريا الجنوبية لإيقاف الزحف الكورى الشمالى.

وقد تساءل وزير الدفاع الأمريكى الأسبق روبرت مكنمارا - فيما بعد - : هل انتصار الولايات المتحدة فى الحرب كان يبرّر القصف النووى لهيروشيما وناجازاكى ؟. وذهب مكنمارا بطل الحرب الأمريكية فى فيتنام إلى أبعد من ذلك عندما وصف مساهمته فى المسئولية العسكرية عن القصف النووى بأنها " جريمة حرب ".

يذكر أنه لم يسبق لوزير دفاع أمريكى أن مارس فضيلة النقد الذاتى كما فعل مكنمارا. فهو لم يقتصر على انتقاد إلقاء القنبلتين على اليابان وعلى مسئوليته فى تلك الجريمة الإنسانية الكبيرة، ولكنه انتقد كذلك الحرب على فيتنام وحمّل نفسه مسئولية ما وصفه بجريمة التشجيع على تلك الحرب.

لقد كانت هناك خيارات أخرى أمام الولايات المتحدة لحمل اليابان على الاستسلام من دون اللجوء إلى السلاح النووى؟



وزير الشؤون الخارجية اليابانى مامورو شيجميتسو يوقع الاستسلام اليابانى على متن سفينة يو إس إس ميسورى أمام الجنرال ريتشارد ك. ساذرلاند، ٢ سبتمبر ١٩٤٥، قبل أن تقدم إلى هيروهيتو لتوقيعها باعتباره إمبراطورا للدولة المستسلمة»

فى عام ١٩٤٦ أعدت وزارة الدفاع الأمريكية تقريرا سريا بعنوان: «جهود اليابان لإنهاء الحرب». اعترف التقرير الذى لم يذع إلا فى عام ١٩٩٥ أنه من المؤكد أن اليابان كانت على استعداد للاستسلام قبل ديسمبر ١٩٤٥، وربما قبل الأول من نوفمبر ١٩٤٥ حتى ولو لم تُلقَ القنبلتان النوويتان عليها، وحتى لو لم تدخل روسيا الحرب، وحتى لو لم تهدد بالاجتياح العسكرى».

إذن لماذا أصرّ الرئيس الأمريكى هارى ترومان على إلقاء القنبلتين على هيروشيما وناجازاكى؟

للإجابة عن هذا السؤال، لا بد من الإشارة إلى أن الولايات المتحدة كانت تمكّنت من حلّ الرموز السرّية ـ الشفرة ـ الخاصة باليابان أثناء المراحل الأخيرة للحرب، وفى ١٢ يوليو ١٩٤٥ كشفت واحدة من تلك الرسائل عن قرار الإمبراطور نفسه بالتدخل لإنهاء الحرب. كانت اليابان تعرف أن الرئيس السوفييتى الجنرال جوزيف ستالين وعد بدخول الحرب ضدها بعد ثلاثة أشهر من استسلام ألمانيا فى الثامن من مايو ,١٩٤٥ ولقد حصل ذلك بالفعل فى الثامن من أغسطس من ذلك العام. وكان ذلك وحده كافيا لإنهاء الحرب ولفرض شروط الاستسلام على اليابان أمام الدول الكبرى الثلاث بريطانيا والاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة خاصة بعد استسلام ألمانيا. غير أنه كانت للرئيس ترومان حسابات أخرى. لم يكن ترومان يحتاج إلى القنبلة النووية لإخضاع اليابان بقدر حاجته إليها لتخويف الاتحاد السوفييتى وإرهابه. جرت أول تجربة ناجحة للقنبلة فى ١٦ يوليو ١٩٤٥. وفى اليوم التالى كان ترومان مجتمعا فى بوتسدام مع ستالين وتشرشل.

يروى اللورد ألن بroوك رئيس أركان القوات البريطانية فى مذكراته أن تشرشل فوجئ باللهجة الفوقية وبالتصرّف الاستعدائى للرئيس الأمريكى وهو يحاور ستالين. فقد استفز ترومان الرئيس السوفييتى دون مبرّر وتوجه إليه بطلبات مستحيلة، بل تعجيزية. ولم يفهم تشرشل هذا التحول فى الأسلوب التفاوضى لترومان إلا فى اليوم التالى عندما عرف بنجاح التجربة النووية الأمريكية.

تكشف الوثائق الأمريكية أن وزير الخارجية فى ذلك الوقت «بيرنز» أبلغ الرئيس ترومان «بأن القنبلة النووية ستضع الولايات المتحدة فى موقف تفاوضى قوى يمكّنها من املاء شروطها لإنهاء الحرب». كذلك يروى العالم النووى الأمريكى »لى زيلارد« فى مذكراته التى نشرها بعنوان: «التاريخ الشخصى للقنبلة النووية» ، أن الوزير بيرنز اجتمع به فى البيت الأبيض، وأنه أثناء الاجتماع لم يثر بيرنز ما إذا كان استخدام القنبلة ضد المدن اليابانية ضروريا لكسب الحرب،

ولكنه كان يؤكد أن «امتلاكنا للقنبلة وإظهار فاعليتها سوف يجعل الاتحاد السوفييتى أكثر طواعية فى أوروبا». وهكذا كان.

جرى توظيف الإعلام على أوسع نطاق لإقناع الرأى العام الأمريكى بأن استخدام القنبلة كان ضروريا لتسريع إنهاء الحرب، وأن ذلك وفّر على الولايات المتحدة أكثر من مليون قتيل!. ولا يزال معظم الرأى العام الأمريكى حتى اليوم أسير هذا التوجيه.

أدّى إلقاء القنبلتين الأمريكيتين على اليابان إلى مقتل أكثر من مائة وأربعين ألف يابانى فى هذين اليومين. وقتل التلوث النووى فيما بعد عددا مماثلا. أما الرجل الذى قاد عملية إلقاء القنبلة توماس ويلسون فيربى، فقد مات فى فراشه الوثير فى مارس عام ٢٠٠٠ (أى بعد ٥٥ عاما) عن عمر ناهز الواحد والثمانين وهو قرير العين مرتاح الضمير؟!.

بالنسبة له، كان يؤدى مهمة عسكرية. وأن نجاح المهمة وضع حدا للحرب العالمية الثانية. ولكن بالنسبة للمسئولية الإنسانية فإن السؤال الذى لا يزال يفرض نفسه حتى اليوم هو: من المسئول؟.

هل تقع المسئولية على الرئيس فرانكلين روزفلت الذى أطلق مشروع مانهاتن لإنتاج القنبلة النووية؟.

هل تقع المسئولية على العالم الفيزيائى ألبرت أينشتاين الذى أقنع روزفلت بإمكانية وبضرورة إنتاج القنبلة؟.

هل تقع المسئولية على العالم النووى ـ الألمانى الأصل ـ روبرت أوبنهيمر الذى كان قائد فريق العلماء الذى أنتج القنبلة؟.

هل تقع المسئولية على الرئيس الأمريكى هارى ترومان الذى أعطى الأمر السياسى بإسقاط القنبلتين؟.

كان أينشتاين يهوديا ألمانيا، وكان يعرف أن العلماء الألمان قادرون على إنتاج

القنبلة وأنهم على مقربة من إنتاجها، وإنهم يعملون على تركيبها. وبذلك أقنع الرئيس روزفلت باستعجال إنتاجها واستخدامها لحسم الحرب لمصلحة الولايات المتحدة.

وكان أمل أينشتاين هو أن تلقى القنبلة الأولى على مدينة ألمانية وليس على مدينة يابانية. غير أن الخوف من أن يصيب الإشعاع النووى الشعوب الأوروبية المتاخمة لألمانيا أدى إلى اختيار الهدف اليابانى البعيد والمنعزل حيث تتوافر ضمانات كافية بأن كل الضحايا المباشرين وغير المباشرين سيكونون من اليابانيين وحدهم.

فى شهر مارس ١٩٤٥ أمطر الأمريكيون العاصمة اليابانية طوكيو بالقنابل فقتل ٨٥ ألف يابانى، حمل هذا القصف حكومة الإمبراطور هيروهيتو على قبول البحث فى شروط الاستسلام. وفى هذه الأثناء، أُلقيت القنبلة النووية الأولى، ثم أُتبعت بالثانية بعد ثلاثة أيام، وفى اليوم السادس كانت اليابان توقع على وثيقة الاستسلام.

من هنا، لم يكن استخدام السلاح النووى ضروريا لحمل اليابان على الاستسلام. ولكنه كان أداة لحملها على قبول استسلام مذل، مما عزّز من الموقف الأمريكى التفاوضى مع الاتحاد السوفييتى السابق على اقتسام تركة عالم ما بعد الحرب.

لم يكن استخدام السلاح النووى ضد اليابان هدف أينشتاين. كان هدفه الانتقام من ألمانيا النازية. ولقد أعرب عن خيبة أمله بعد أن اطلع على النتائج المروعة لقنبلة هيروشيما بقوله: «لقد كان الأفضل لى لو عملت فى تصليح الساعات بدلا من العمل فى علوم الفيزياء».

ولكن قبل أن يعهد إلى «توماس فيربى» بالمهمة «رقم ١٣» بترؤس الفريق الذى أسقط القنبلة على هيروشيما، اشترك فيربى هذا فى الحرب على الجبهة الأوروبية وقام بثلاث وستين عملية ضد مدن ألمانية ومنها بصورة خاصة مدينة

درسدن التى تحوّلت مبانيها إلى أنقاض. وقد أدى تفاهمه مع الطيار العسكرى «بول تيبتس» ونجاحهما معا فى إصابة الأهداف الألمانية المقررة إلى اختيارهما للمهمة على هيروشيما.

أُخضع الفريق إلى تدريبات مكثفة جرت فى جزيرة تنيان فى المحيط الهادئ، وأُخضع عناصره (١١ طيارا) لفحوصات وتحليلات نفسية معمقة، قبل الانطلاق بطائرة «اينولاجاى»، التى لا يزال سلاح الطيران الأمريكى يحتفظ بها حتى اليوم، فى رحلة استغرقت ١٣ ساعة دون توقف إلى هدفها المنكود. ولذلك أطلق رقم ١٣ اسما على تلك المهمة التى وضعت العالم أمام مرحلة جديدة من الوحشية اللاإنسانية كما يؤكد المؤرخون والباحثون .

5

الفصل الخامس

لحظة الاستقالة القهرية

١

ريتشارد نيكسون..

الاستقالة أو السجن !!



ريتشارد نيكسون هو الرئيس الأمريكى الوحيد الذى استقال من منصبه .. بالطبع لم يكن هذا بمحض إرادته ، وإنما كان رغما عنه ، لاتقاء شر محاكمة مذلة بعد فضيحة سياسية مدوية ، لم يكن ليعلم إلى أن ستمضى به !!

وقد توقف الأمريكيون طويلا أمام اللحظة التى انهمرت فيها دموع الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون ، ، وهو يعلن استقالته المذلة ، حتى بدا الأمر ، وكأن بكاء الرئيس أهم كثيرا من استقالته ، فالشعب الأمريكى - آنذاك - بدا فى حاجة ملحة لرؤية رئيسهم ذليلا منكسرا ، بعد أن خدعهم وورطهم فى فضيحة انتخابية قذرة، حتى يشفوا غليلهم منه . بدوا فعلا كمن كانوا بحاجة لسماع اعتذاره ورؤية دموعه.

الغريب أنه ومنذ تلك اللحظة ،لم يعد البكاء لدى السياسيين الأميركيين عيباً.. وأصبحوا كلهم يبكون عند أى خطب وإن لم يكن كما فى حالة نيكسون " لحظة استقالة مذلة " !!

وكان العام ١٩٦٨ عاماً سيئا للرئيس ريتشارد نيكسون حيث فاز بصعوبة شديدة على منافسه الديموقراطى همفرى، بنسبة ٤٣,٥ إلى ٤٢٪ .مما جعل موقف الرئيس ريتشارد نيكسون أثناء معركة التجديد للرئاسة عام ١٩٧٢ صعبا جدا.

قرر الرئيس نيكسون التجسس على مكاتب الحزب الديمقراطى المنافس فى مبنى ووترجيت. وفى ٢٧ يونيو ١٩٧٢ ألقى القبض على خمسة أشخاص فى واشنطن بمقر الحزب الديمقراطى وهم ينصبون أجهزة تسجيل مموهة، كان البيت الأبيض قد سجل ٦٤ مكالمة، فتفجرت أزمة سياسية هائلة وتوجهت أصابع الاتهام إلى الرئيس نيكسون.

واستقال على إثر ذلك الرئيس فى أغسطس ١٩٧٢ .

وتمت محاكمته بسبب الفضيحة وفى ٨ سبتمبر ١٩٧٢ أصدر الرئيس الأمريكى جيرالد فورد عفواً بحق ريتشارد نيكسون .

وتعتبر صحيفة " واشنطن بوست " الأمريكية هى السبب وراء استقالة نيكسون وهى من أكبر وأعرق الصحف فى العاصمة الأمريكية واشنطن، ولقد ذاع صيتها عالميا فى بداية السبعينيات وذلك بسبب فضيحة ووترجيت .

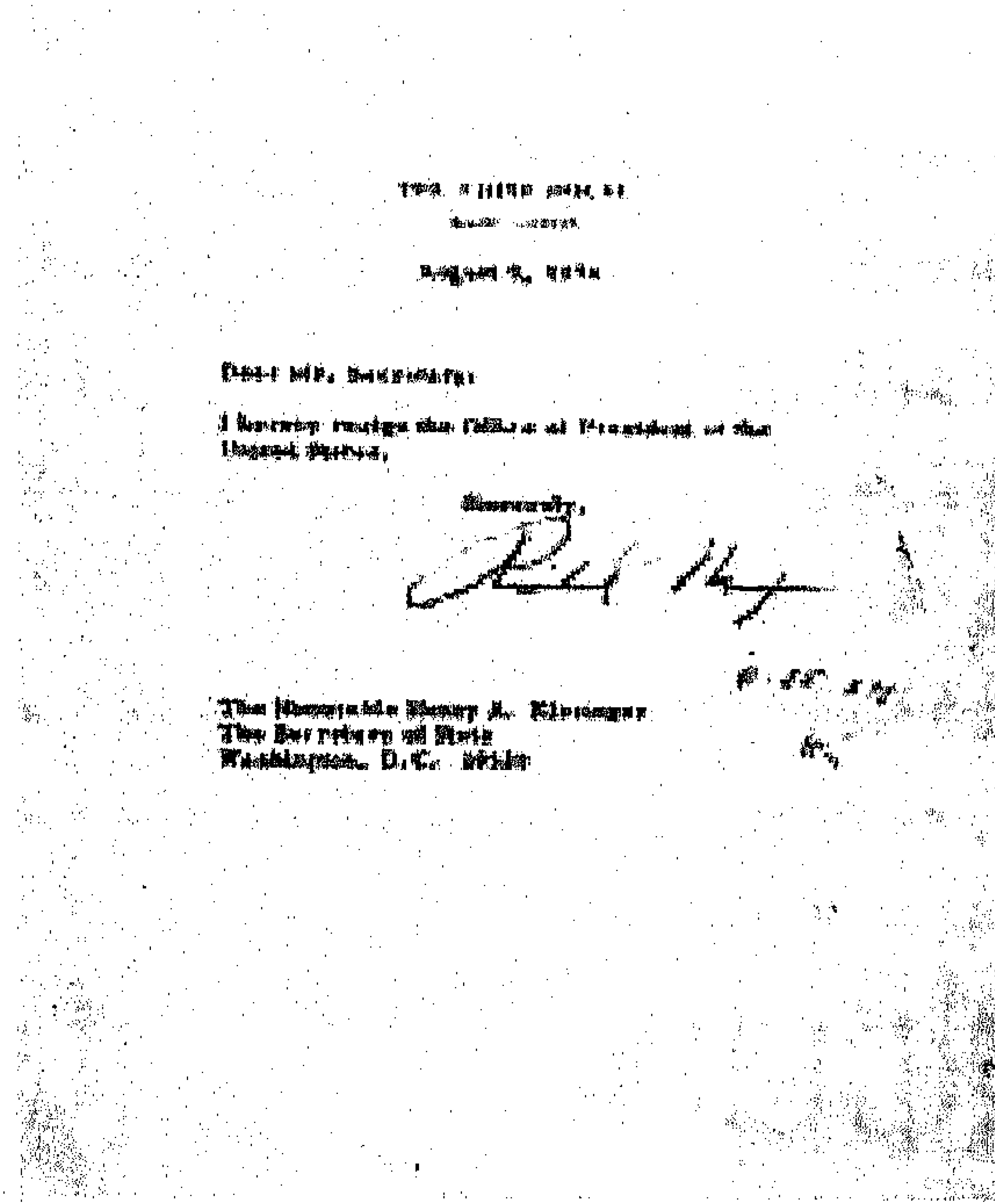
وقد قام الصحفيان بوب وود ورد وكارل بيرنستاين بتقصى الحقائق فى هذه الفضيحة التى كانت سببا" رئيسيا" فى استقالة الرئيس نيكسون من منصب الرئاسة الأمريكية.

وتعتبر فضيحة ووترجيت من أشهر الفضائح السياسية فى العصر الحديث وترجع تفاصيل هذه الفضيحة إلى صباح يوم السابع عشر من يونيو عام ١٩٧٢ عندما اكتشف البوليس الأمريكى وجود خمسة أشخاص غرباء فى مقر اللجنة القومية للحزب الديمقراطى واتضح أن سبب وجود هؤلاء اللصوص هو ضبط أجهزة التصنت التى زرعوها فى شهر مايو أثناء العطلة الصيفية للحزب وكذلك لتصوير بعض مستندات الحزب الديمقراطى.

وقد كان وراء كشف كل هذه المعلومات كل من بوب ودورد وكارل بيرنستاين وهما الثنائى اللذان أزاحا الستار عن شبكة من التجسس السياسى والفساد التى كانت تحمل كل عناصر أفلام هوليود السينمائية .

وفى النهاية تم اتهام ٤٠ مسئولاً حكومياً واستقالة الرئيس ريتشارد نيكسون وتغير تماما ثالوث العلاقة بين المسئولين السياسيين والإعلام والجمهور.

ووترجيت اسم لأكبر فضيحة سياسية فى تاريخ الولايات المتحدة. وقد انطوت تلك الفضيحة على العديد من الأعمال غير المشروعة، كان الغرض منها مساعدة الرئيس ريتشارد نيكسون على الفوز بإعادة انتخابه عام ١٩٧٢.



استقالة نيكسون ..

وتختلف ووترجيت عن معظم ما سبقها من فضائح سياسية، حيث لم تؤد فيها الأطماع الشخصية -على مايبدو - دورا مهما. إنما كانت ووترجيت بمثابة ضربة سددت لواحدة من أهم دعائم الديمقراطية، ألا وهى حرية ونزاهة الانتخابات.

وتضمنت أعمال ووترجيت التنصت على المكالمات الهاتفية وانتهاك العديد من قوانين تمويل الانتخابات، وأعمال التخريب والإعاقة، ومحاولة استغلال مصالح حكومية للإضرار بالخصوم السياسيين.

وانصبت الفضيحة على محاولة التستر على كثير من تلك الأفعال. وقد وجه الاتهام لنحو ٤٠ شخصًا لارتكابهم جرائم متعلقة بالفضيحة نفسها أو جرائم ذات صلة بها. واعترف معظم هؤلاء بجرائمهم، أو أدانتهم هيئات المحلفين.

وفاق عدد كبار موظفى الحكومة المتورطين فى ووترجيت عدد المتورطين فى أية فضيحة سياسية سابقة. وفى عام ١٩٧٥ أسفرت التحقيقات عن إدانة المدعى

العام الأسبق جون ميتشيل واثنين من كبار معاونى نيكسون هما جون إرليكمان وهـ. هولدمان لارتكابهما جرائم يحاسب عليها القانون.

وفى نفس العام اعترف وزير التجارة الأسبق موريس ستانس مدير حملة إعادة انتخاب نيكسون بارتكابه الجرائم المتهم بها فى قضية ووترجيت، وحُكم عليه بغرامة قدرها ٥,٠٠٠ دولار أمريكى. وأسفرت القضية أيضًا عن استقالة المدعى العام ريتشارد كلايندنست عام ١٩٧٣.

الاقتحام والتستر. أخذت الفضيحة تسميتها من اسم مجمع ووترجيت السكانى والتجارى الكائن فى واشنطن العاصمة.

وفى يوم ١٧ يونيو ١٩٧٢، قبض رجال الشرطة على خمسة رجال بتهمة اقتحام مقر الحزب الديمقراطى فى مجمع ووترجيت. وكان من بين المقبوض عليهم جيمس مكورد الأصغر، منسق الأمن فى لجنة إعادة انتخاب نيكسون. ووجه الاتهام للرجال الخمسة لارتكابهم عددًا من الجرائم، منها الاقتحام بغرض السرقة والتصنت على المكالمات الهاتفية.

وفى يناير ١٩٧٣، اعترف خمسة أشخاص من بين المتهمين السبعة منهم هَنت أنهم مذنبون، بينما أدانت هيئة المحلَّفين الاثنين الآخرين وهما لدى ومكورد.
وكان سكرتير نيكسون الصحفى قد أعلن مراراً أنه ما من عضو من أعضاء هيئة موظفى البيت الأبيض متورط فى الفضيحة.

ولكن الصحافة وجدت الدليل على أن بعض معاونى الرئيس فى البيت الأبيض كانوا قد قاموا بتمويل عمليات تخريب وتجسس ضد المتقدمين للترشيح لمنصب الرئاسة من قبل الحزب الديمقراطى لعام ١٩٧٢.
وقد تزعَّم التحقيق فى الموضوع اثنان من مراسلى صحيفة الواشنطن بوست هما كارل برّنستاين وبوب وُدّورد.

وفى أوائل عام ١٩٧٣م ظهرت أدلة تربط بين عدد من كبار رجال البيت الأبيض وخُطَط اقتحام مبنى ووترجيت، أو بينهم وبين محاولة إخفاء أدلة تثبت تورط بعض أعضاء إدارة الرئيس نيكسون فى الموضوع.

وكانت الأدلة تشير إلى أن بعض المسؤولين فى البيت الأبيض قد حاولوا توريط هيئة المخابرات المركزية ومكتب التحقيقات الفيدرالى فى عملية التستر، بزعم أن الموضوع متعلق بالأمن القومى.

وفى ٣٠ أبريل عام ١٩٧٣م قرر نيكسون أنه لا علاقة له بالتخطيط لعملية اقتحام مبنى ووترجيت أو التستر عليها، ووعد أن وزارة العدل سوف تُعين وكيل نيابة خاصا لتولى القضية. وفى شهر مايو عين لتولى هذا المنصب أرشيبالد كوكس الأستاذ بكلية الحقوق بجامعة هارفارد.

وفى شهر مايو أيضًا بدأت لجنة مجلس الشيوخ المختارة لبحث نشاطات حملة الانتخابات الرئاسية، وبدأت جلسات الاستماع حول قضية ووترجيت. وصار جون و. دين الثالث، مستشار الرئيس السابق، الشاهد الرئيسى ضد نيكسون فى تلك الجلسات.

واعترف دين أنه أدى دورًا مهمًا فى محاولة البيت الأبيض التستر على الفضيحة، وصرح بأن نيكسون كان على علم بنشاطاته فى هذا الصدد. كما كشف دينْ عن خطط إدارة نيكسون لاستغلال مصلحة الإيرادات الداخلية (الضرائب) وهيئات حكومية أخرى لمعاقبة خصوم كان البيت الأبيض يضعهم فيما يُسمى بقوائم الأعداء.

وقد حُكم على دين فيما بعد بالسجن لمدة تتراوح بين سنة وأربع سنوات. وبعد أن أمضى فى السجن أربعة أشهر، خفض الحكم الصادر ضده وأطلق سراحه.

الجدل حول الشرائط. فى شهر يوليو نما إلى علم اللجنة التابعة لمجلس الشيوخ سالفة الذكر أن نيكسون كان قد دأب منذ عام ١٩٧١م على تسجيل ما يجرى من محادثات فى غرف مكتبه بالبيت الأبيض على شرائط. وكانت اللجنة والأستاذ كوكس يعتقدان أن أشرطة التسجيل هذه يمكن أن يكون فيها الإجابة عن أسئلة أساسية أثيرت أثناء التحقيقات التى قاموا بها.

ومن ثم، طالبوا نيكسون بتسليمهم أشرطة معينة، ولكنه رفض أن يفعل ذلك مُدعيًا أن الدستور يعطيه الحق فى الحفاظ على سرية الأشرطة، فقرر جون ج.

سيريكا قاضى الدائرة فى المحاكم الفيدرالية أن يستمع إلى الأشرطة بنفسه وأمر نيكسون بتسليمه إياها.

واستأنف نيكسون الأمر الصادر إليه، ولكن محكمة الاستئناف الفيدرالية أيدت قرار سيريكا.

وفى أكتوبر عرض نيكسون أن يقدم ملخصات للأشرطة ولكن كوكس صرح بأن الملخصات لن تكون مقبولة كدليل فى المحكمة ورفض العرض. وأمر نيكسون المدعى العام إليوت ل. ريتشاردسون بفصل كوكس من وظيفته.

ولكن ريتشاردسون رفض الانصياع للأمر وقدم استقالته. كذلك قدم وليم د. ركلشوس، نائب المدعى العام استقالته عندما طلب منه نيكسون فصل كوكس. عندئذ عين نيكسون المحامى العام روبرت هـ. بورك قائمًا بأعمال المدعى العام، فقام بفصل كوكس، وحل ليون جاورسكى، وهو محام مشهور من تكساس محل كوكس فيما بعد.

أغضبت تصرفات الرئيس كثيرًا من الأمريكيين. وفى أكتوبر بدأ عدد من أعضاء مجلس النواب إجراءات توجيه الاتهام إليه تمهيدًا لعزله.

وقبل نيكسون فى وقت لاحق من عام ١٩٧٣م تسليم الشرائط المطلوبة إلى القاضى سيريكا.

وتبين اختفاء شرائط تسجيل ثلاث محادثات رئيسية، وصرح البيت الأبيض بأن جهاز التسجيل لم يكن يعمل بصورة سليمة أثناء تسجيل اثنتين من تلك المحادثات، وأن الشريط الثالث مُسح بطريق الخطأ.

فى أبريل ١٩٧٤م، أصدر جاورسكى أمرًا قضائيا إلى نيكسون بتقديم شرائط التسجيل والوثائق الخاصة بأربع وستين محادثة من محادثات البيت الأبيض إلى المحكمة.

وقال جاورسكى إنَّها تحتوى على أدلة تخص قضية التستر. وفى نهاية شهر أبريل، أفرج نيكسون عن ١,٢٥٤ صفحة تمثل نسخة كتابية مُحررة من محادثات البيت الأبيض وقال إنها تحكى قصة ووترجيت بالكامل.

ومع ذلك فقد أصر جاورسكى على ضرورة الحصول على الأشرطة والوثائق الأصلية التى سبق أن طلبها. ومرة أخرى ادعى نيكسون أن الدستور يعطيه الحق فى حماية سرية الوثائق.

عندئذ رفع جاورسكى قضية ضد نيكسون أمام المحكمة الفيدرالية. وفى شهر يوليو أمرت محكمة الولايات المتحدة العليا نيكسون بتسليم المواد المطلوبة إلى جاورسكى، وأصدرت حكمها بالإجماع بأنه ليس من حق أى رئيس للولايات المتحدة حجب الأدلة فى قضية جنائية.

وفى مارس ١٩٧٤م قدم سبعة من كبار المسؤولين السابقين فى إدارة نيكسون يمثلون أعضاء لجنة إعادة انتخابه إلى المحاكمة بتهمة التآمر للتستر على جريمة اقتحام ووترجيت بغرض السرقة.

وكان من بين المسؤولين المتهمين إرليكمان، رئيس المجلس الاستشارى للشؤون الداخلية، وهولدمان، رئيس هيئة موظفى البيت الأبيض، وميتشل، المدعى العام.

استمرت المحاكمة فى هذه القضية من أكتوبر ١٩٧٤م حتى يناير ١٩٧٥م. وقد حُكم بإدانة كل من إرليكمان وهولدمان وميتشل لثبوت تهم التآمر وإعاقة وتضليل العدالة عليهم، وحكم عليهم بالسجن لمدد تتراوح بين عامين ونصف العام وثمانية أعوام.

وقد خُففت الأحكام فيما بعد إلى مدد تتراوح بين عام وأربعة أعوام.

تعرض الرئيس نيكسون فى يوليو ١٩٧٤م لنكسة كبيرة أخرى، عندما أوصت اللجنة القضائية التابعة لمجلس النواب بتوجيه الاتهام إليه، تمهيدًا لمحاكمته وعزله. واعتمدت اللجنة ثلاثة بنود للاتهام لعرضها على مجلس النواب بكامل هيئته للنظر وإبداء الرأى.

وقد انطوى البند الأول على اتهام نيكسون بإعاقة العدالة فى الفضيحة المذكورة. أما البندان الآخران فيتهمانه بسوء استعمال السلطات الرئاسية ومخالفة القانون بحجب الأدلة عن اللجنة القضائية.

استمر محامو نيكسون الرئيسيون فى الدفاع بأن الرئيس لم يرتكب أى خطأ يستوجب توجيه الاتهام إليه وعزله.

وفى الخامس من أغسطس، أفرج نيكسون عن مزيد من النسخ الكتابية لتسجيلات محادثات البيت الأبيض، أقنعت معظم الأمريكيين أن نيكسون كان قد سمح بالتستر على موضوع ووترجيت على الأقل منذ ٢٣ يونيو ١٩٧٢م؛ أى بعد ستة أيام من حادثة الاقتحام.

وفقد نيكسون على الفور تقريبًا كل ما كان قد تبقى له من تأييد فى الكونجرس فقدم استقالته يوم ٩ أغسطس وتولى نائب الرئيس، جيرالد فورد، منصب الرئاسة فى نفس اليوم.

وفى ٨ سبتمبر، عفا الرئيس فورد عن نيكسون فيما يختص بكل الجرائم الفيدرالية التى يمكن أن يكون قد ارتكبها أثناء قيامه بعمله رئيسًا للولايات المتحدة.

آثار أخرى لووترجيت. فى ١٩٧٤م وافق الكونجرس على إجراء تعديلات بخصوص تمويل الحملات الانتخابية الفيدرالية. يحدد بعضها المبالغ التى يمكن أن يقدمها المتبرعون إلى المرشحين لمنصب الرئيس أو لمنصب نائب الرئيس أو لعضوية الكونجرس، وبعض التعديلات الأخرى تتطلب تقديم تقارير تفصيلية بكل التبرعات والمصروفات.

وقد حدد عدد من مجالس الولايات التشريعية المبالغ التى يمكن التبرع بها، كذلك المبالغ التى يمكن صرفها فى الحملات الانتخابية. كما اعتمدت قواعد أخلاقية يلتزم بها موظفو الحكومة.

وقد حفلت السينما بعدد كبير من الأفلام التى دارت حول الرئيس نيكسون الرئيس السابع والثلاثين فى عداد الرؤساء الأمريكيين منذ الاستقلال فى الرابع من يوليو سنة ١٧٧٦ واشتهر بأنه الرئيس الأمريكى الوحيد فى التاريخ، وإلى اليوم الذى استقال. وهو فعل ذلك مضطراً بسبب فضيحة ووترجيت.

٢

جون بروفيومو ..

لحظة الخزى والعار !!



لحظة بشعة تلك التى تهوى بزعيم سياسى ، ليس لسبب يتعلق بالسياسة ، وإنما يتعلق بالسقوط فى براثن امرأة ، أطلق لها العنان كى تعبث بجسده ، ومعه منصبه الحساس ، ثم يكتشف فى لحظة أخرى أكثر بشاعة أنها جاسوسة تعمل لحساب أعداء بلاده التى يفترض بحكم منصبه أن يسهر على حمايتها ، وفى لحظة جمعت كل اللحظات المأساوية يستقيل الرجل !!

"من قال إن السياسة مملة ؟".. هكذا علقت صحيفة " الإندبندنت " البريطانية، وهى ترصد هذه الفضيحة الكبرى التى تسببت فى الإجهاز على سياسى عتيد ، وصادرت مستقبله السياسى الكبير !!

جون بروفيومو، وزير الدفاع البريطانى الأسبق، الذى اضطر للاستقالة من منصبه عام ١٩٦٣ بسبب فضيحة جنسية دوت أصداؤها فى جميع أنحاء المملكة المتحدة والعالم أجمع، وذلك لأن بروفيومو شغل منصباً مهماً فى حكومة هارولد مكميلان المحافظة فى فترة الحرب الباردة، وكان السبب وراء استقالته إدلاؤه بإفادة كاذبة أمام مجلس العموم حول العلاقة التى كانت تربطه ببائعة هوى تدعى كرستين كلير، قبل أن يعترف بحقيقة هذه العلاقة.

ولم تكن كلير فتاة عادية، بل كانت تتمتع بمهارات ومميزات كثيرة، منها الذكاء والجمال ، اللذان كانا سبباً فى تجنيدها كجاسوسة من قبل المخابرات السوفيتية للإيقاع ببروفيومو عندما كان وزيرا للدفاع عام ١٩٦٣ وإقامة علاقة غير شرعية معه، نجحت من خلالها فى نقل معلومات مهمة إلى المخابرات السوفيتية.



كريستين كيلر بطلة اللحظة الفاصلة فى حياة الزعيم البريطانى !!

وكانت هذه الفضيحة سبباً فى استقالة الحكومة بعد عدة أشهر، بعد أن اعترف بروفيومو بها وبعد أن كشفت كلير عن علاقة غرامية تربطها مع ضابط مخابرات روسى يدعى برجين إيفانوف الذى كان يعمل مساعداً للملحق البحرى السوفيتى فى لندن، وبعد استقالته، كرس بروفيومو حياته للأعمال الخيرية حتى وفاته.

أما المرأة التى أسقطته فلا تزال حية ترزق .. كريستين كيلر ، تلك المرأة التى أدى جمالها الرائع فى سنى المراهقة إلى أن يفقد وزير منصبه، وترنحت بسببه وزارة بريطانية اهتزت من جذورها وأوشكت على السقوط من عل، وكانت صورتها على مقعد وثير يبرز جمالها فى بريطانيا الستينيات فى شعبية فنانى (البيتلز) آنذاك، وأصبح اسمها مرادفاً لكلمة الفضيحة.

اليوم وفى أحد أسواق شمال لندن تروح (الفاتنة) العجوز وتجىء دون أن يتعرف أحد على الفتاة التى قلبت حياة بروفيومو وزير (الحربية)، وهى اليوم سعيدة بهذا التجاهل غير المقصود، ولقد ظلت طوال عقود تكافح للتخلص من ماضيها، ولجأت لأكثر من أسلوب وطريقة فعمدت إلى تغيير اسمها وانتقلت من حياة لندن الصاخبة إلى الريف البريطانى متخذة من الضواحى مسكناً وملجأ ومهرباً، وبعكس حياة اللهو والمجون التى عايشتها أصبحت تفضل صحبة القطط على بنى جنسها من البشر، تأنس لأصوات الذئاب وتهرب إلى مخدعها إن صوّت إلى جانبها إنسان.

فى الستينيات كانت تقطع الأميال لتحضر حفلة راقصة وتتخير الاجتماعات غير المحتشمة، وتتخذ من الجاغوار والليموزين وسيلة للوصول إلى مبتغاها وإذا صادف أن ارتدت شيئاً يُذكر فهو عادة لا يزيد على تنورة (مينى سكيرت)، أما الآن فهى تولى اهتماماً خاصاً لما تتناوله قططها وتقصد المحال الكبرى لهذا الغرض ووسيلتها للتنقل الحافلات العامة، وقد تخلت (المينى سكيرت)، عن مكانها لسترة من الصوف مع (الجينز) ولكن ما الذى أعاد للأذهان ذكرى الجاسوسة كريستين كيلر بعد كل هذه السنوات؟

فعند وفاة بروفيومو كانت أخبار الرجل النحيل ذى التسعين عاماً قد عمت الصحف بعد أن اختفى جون بروفيمو من الأضواء لعقود مضت فرض على نفسه خلالها العزلة، وظهرت صورته عند حضوره ذكرى رئيس وزراء بريطانيا السابق إدوارد هيث ، وكان وزير الحربية البريطانى بروفيومو، خريج هارو وأكسفورد قد اضطر للاستقالة من حكومة هارولد ماكميلان عام ١٩٦٣ بعد أن كذب على البرلمان البريطانى حول علاقته بالآنسة كيلر، وكانوا يصفونها آنذاك بالمرأة المغوية، والفاتنة عند الطلب ثم (التورتة) المحشوة بالعسل.



وهكذا أصبحت الفضيحة حديث الصحف ومادتها الدسمة

بسبب تفصيلاتها المثيرة والمخجلة أيضا !!

وقال بروفيومو لأعضاء البرلمان إن علاقته بها كانت محتشمة لم (ترق) لغير ذلك، وفى الحقيقة كان الوزير قد التقى بعارضة الأزياء ذات التسعة عشر ربيعاً قبل ذلك بعامين عندما رآها تسبح فى حوض سباحة خاص باللورد أستر وبدأ معها علاقة حميمة فى الوقت ذاته الذى كانت تتبادل فيه الحب مع الملحق البحرى الروسى فى قمة أيام الحرب الباردة.

وأوشكت الفضيحة أن تعصف بحكومة المحافظين، وغيرت إلى الأبد نظرة التقديس التى كان يكنها البريطانيون لرجال السياسة، وأصبحت قصة كريستين كيلر والوزير معلماً بارزاً من معالم تلك السنة إلى جانب اغتيال الرئيس الأميركى كيندى، وجنون الشباب بأغانى (البيتلز) وسرقة القطار الكبرى.

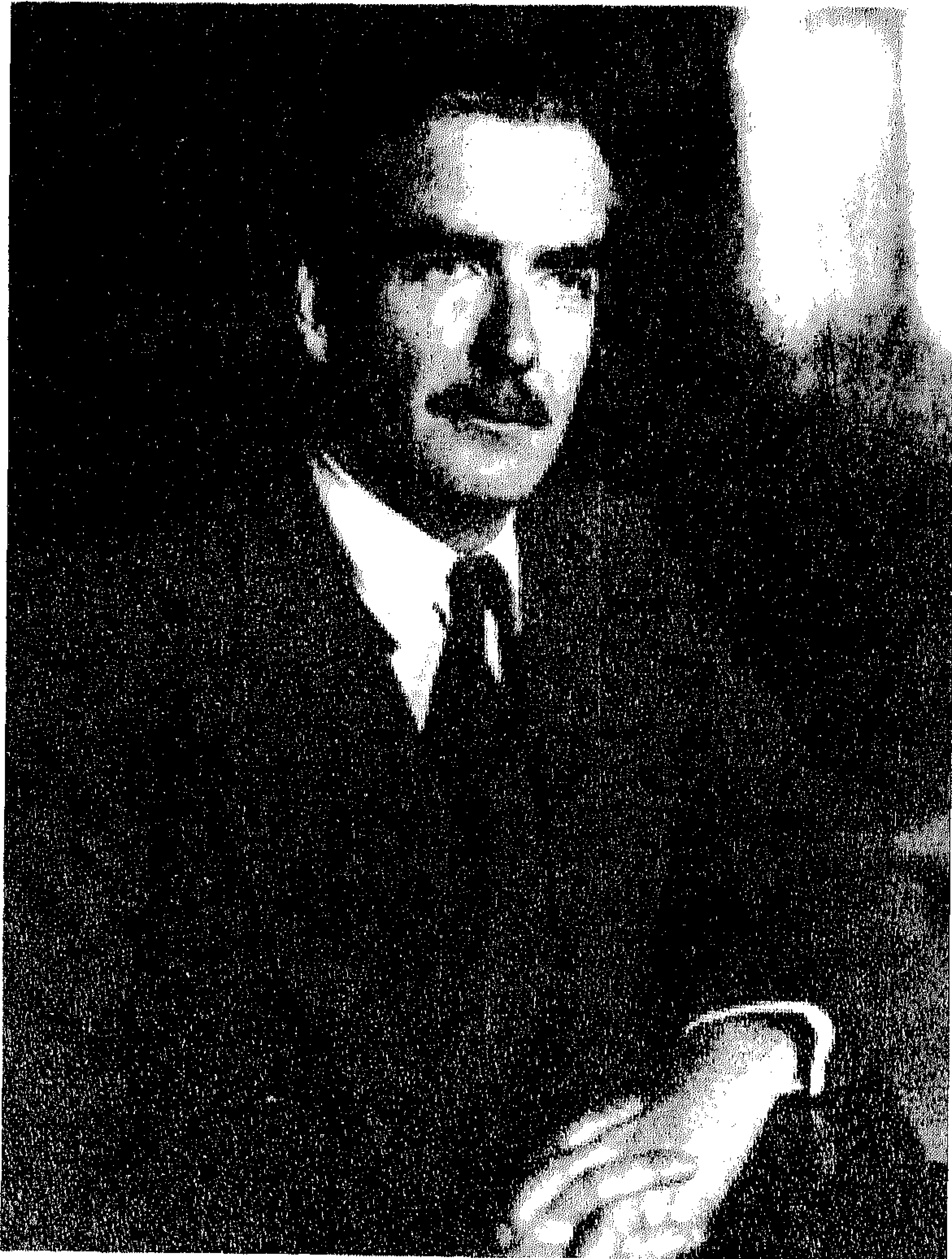
وقد أضرم النار من جديد فى القصة القديمة مسلسل وثائقى لقناة التليفزيون البريطانى مؤخرا يحكى قصة الجاسوسة كيلر والوزير، وقد حدث ما حدث للوزير ولكن ماذا حدث للآنسة كيلر؟ تزوجت مرتين وأنجبت ابنين، وعملت فى مصبغة لغسل وكى الملابس، وظهرت فى مجلة (للرجال فقط)، واستخدمتها إحدى المدارس ولكن مديرها سرعان ما طردها حين علم بقصتها، وطبعت قبل أربع سنوات كتاباً بعنوان: (إليكم الحقيقة ـ أخيراً)، ورغم أن الذين يرونها الآن لا يربطون بين السيدة المحبة للقطط، والجاسوسة ولكنها تقول: (طوال حياتى لم أستطع أن أهرب من اسمى)، وهى ترفض الإدلاء بأحاديث صحفية عن الماضى أما المستقبل فيلخصه كتابها الجديد: (لقد بقيت على قيد الحياة ولا أرغب فى أكثر من هذا)، كما تقول.

آخر ما كتب عنها فى نساء الجاسوسية أنها كانت تسعى للشهرة واعتبرت أن معرفة الآخرين بها ستروج لمهنتها الخارجة عن الزواج الشرعى، وقادتها رغبتها فى الشهرة إلى التجسس.

(٣)

أنطونى إيدن .. دفع ثمن

فشل العدوان الثلاثى !!



فى مذكراته يصف انطونى ناتينغ الذى كان مساعدا لوزير الخارجية البريطانى نوبة من نوبات غضب إيدن وهو يصيح فى الهاتف : " ما هذا الكلام الفارغ حول فرض عزلة على عبدالناصر أو تحييده .. إننى أريد تحطيمه ألا تفهم ذلك .. أريد إزاحته واذا كنت ووزارة الخارجية لا توافقان على ذلك إذا عليك الحضور إلى مجلس الوزراء لشرح هذا الأمر " .

و يتحمل إيدن، مسؤولية اتخاذ قرار اشتراك بريطانيا مع فرنسا وإسرائيل فى العدوان الثلاثى على مصر فى أكتوبر ١٩٥٦، بعد أن أممت مصر قناة السويس فى يوليه من العام نفسه ، وبسبب فشل العدوان اضطر فى لحظة انكسار وتحت وطأة هزيمته السياسية المروعة إلى تقديم استقالته !!

أنطونى إيدن هو سياسى ورجل دولة بريطانى استعمارى" ولد فى درهام فى إنجلترا عام ١٨٩٧ . وكان ينتمى إلى هذا النوع من السياسيين الذين يعانون من الغرور والوثوق المفرط فى النفس، وازدراء النصيحة والمشورة التى تتعارض وما يعتقدونه، بل وحتى رفض أية نصيحة مهما كانت.

كان يعمل كضابط أركان حرب فى الجبهة الفرنسية خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨)، ثم درس فى جامعة أكسفورد. وتخرج فيها عام , ١٩٢١ بدأ حياته السياسية عام ١٩٢٣، حين دخل البرلمان عن المحافظين فى لمنجتون. وفى الفترة بين ١٩٢٥ إلى ١٩٣٥، مثّل الحكومة فى اجتماعات عصبة الأمم، وكان يشغل ـ آنذاك ـ منصب نائب وزير الشؤون البرلمانية. ثم صار وزيراً للخارجية فى عام ١٩٣٥، لكنه استقال فى عام ١٩٣٨، لاختلافه مع سياسة رئيس الوزراء، نيفيل تشمبرلين، المهادنة لهتلر الألمانى، وموسولينى الإيطالى. وعينه تشرشل وزيراً للخارجية مرة ثانية من عام ١٩٤٠ إلى ١٩٤٥، وكان له دور كبير فى تشجيع إنشاء الجامعة العربية ضمن الرؤية البريطانية لإنهاء الخلافة وفصل العرب عن المسلمين.

وعين للمرة الثالثة وزيراً للخارجية من عام ١٩٥١ إلى ١٩٥٥. وفي عام ١٩٥٥، أصبح رئيساً لوزراء بريطانيا، إثر استقالة ونستون تشرتشل.

ويتحمل إيدن، مسؤولية اتخاذ قرار اشتراك بريطانيا مع فرنسا وإسرائيل فى العدوان الثلاثى على مصر فى أكتوبر ١٩٥٦، بعد أن أممت مصر قناة السويس فى يوليه من العام نفسه.

وقد وُجِّه له انتقادات كثيرة بسبب قراره هذا، وتم وقف إطلاق النار تحت ضغط كثير من دول العالم وضغط الأمم المتحدة، بالإضافة إلى المقاومة الشعبية المصرية فى منطقة قناة السويس وبفشل هذا العدوان استقال إيدن وانسحب من الحياة السياسة تماماً. مُنح لقب فارس بعد نيله للوسام الإنجليزى جارتر فى عام ١٩٥٤، وفى عام ١٩٦١، أصبح عضواً فى مجلس اللوردات، تحت لقب (إيرل أفون) وتوفى عام ١٩٧٧.

لقد حظى انطونى ايدن قبل استقالته بحياة سياسية باهرة. فقد كان عضوا فى البرلمان البريطانى فى سن السادسة والعشرين، وأصبح فى عام ١٩٣٥، أى فى سن الثامنة والثلاثين، أصغر وزير للخارجية البريطانية فى القرن العشرين، واستقال فى ٢٠ فبراير ١٩٣٨ بسبب رفض نيفيل شيمبرلين رئيس وزرائه لمبادرة من الرئيس الأميركى فرانكلين روزفلت حول اوروبا، وعاد لتولى منصب فى حكومة وينستون تشرشل فى عام ١٩٤٠ كوزير مسؤول عن الجيش، ثم تولى منصب وزير الخارجية مرة أخرى فى عام ١٩٤١ عندما تم تعيين لورد هاليفاكس، الذى لم يكن ليثق به تشرشل، سفيراً لدى واشنطن.

وفى عام ١٩٤٥ عندما خسر تشرشل الانتخابات العامة أصبح إيدن نائبا لزعيم حزب المحافظين فى المعارضة، وعاد لإدارة وزارة الخارجية عندما فاز المحافظون على حزب العمال فى الانتخابات العامة فى عام ١٩٥١ وبالتالى فقد بلغ مجموع السنوات التى قضاها كوزير للخارجية أكثر من عشر سنوات.

وكان إيدن أنيقا ووسيما يحظى بإعجاب العديد من النساء فى حزب

المحافظين. ويحظى بشعبية لدى جميع قطاعات الحزب، وعلينا الإقرار أنه كان على تشرشل بعد معاناته من السكتة القلبية مرتين فى عام ١٩٤٩، التقاعد واعطاء الفرصة لأنطونى إيدن لقيادة الحملة الانتخابية كزعيم للحزب، ولكنه صمد واستمر فى عمله فى الحزب.

وكان شعور إيدن بالإحباط جراء الانتظار الذى لا ينتهى لمغادرة الزعيم المسن للساحة يظهر بين وقت وآخر، وكان ذلك يؤرقه ويساهم فى توتره ونوبات غضبه التى تظهر عليه عادة فى السر وحول أمور تافهة وليست تلك الجادة، وكان ذلك السلوك يؤثر على شخصيته الساحرة الودودة.

كان عام ١٩٥٦ وهو عام رئاسة إيدن لمجلس الوزراء عصيبا، فقد بدأ بحملة انتقادات واسعة فى الصحافة وبصفة خاصة مقالة قاسية نشرت فى صحيفة «ديلى تلغراف»المؤيدة للمحافظين فى ٣ يناير جاء فيها إن الناس ينتظرون من الحكومة «أن تبدى قوة وحزما، وقد أثّر هذا الأمر فى إيدن، وقد يكون شكل عاملا فى جعله يصر على التصرف بقوة وحزم فى وقت لاحق من ذلك العام عندما نشبت أزمة قناة السويس.

وفى شهر مارس، وفى أعقاب نقاش حاد دار فى البرلمان حول الوضع فى الأردن، فقد إيدن، وعلى غير عادته، أعصابه، وانطلقت صيحات الاستنكار من مقاعد المعارضة تدعوه إلى الاستقالة.

ووفقا لمؤلف سيرته روبرت رودس جيمس فقد كتبت زوجته كلارسيا فى يومياتها فى ٧ مارس إن «الأحداث الجارية فى الأردن هزّت أنطونى وهو يعانى من الإرهاق الذى يستنزف قواه وقدرته على التفكير». بيد أنها فى كتابها الذى يعتمد على يومياتها جاء فيه فقط ما يلى «إن الأحداث التى جرت فى الأردن كان لها تأثير قوى» مع عدم الإشارة إلى الإرهاق. وكان الجنرال جون باغوث غلوب القائد العسكري البريطانى للجيش الأردنى قد أزيح من منصبه من قبل الملك

حسين، وقد ألقى إيدن باللوم فى ذلك على تأثير الرئيس جمال عبدالناصر فى الملك حسين.

لقد حكمت بريطانيا مصر منذ عام ١٨٨٢ ، واستمرت فى التأثير على الحكم الملكى تأثيرا قويا حتى إطاحة جمال عبدالناصر بالملك فاروق فى عام ١٩٥٢، وكان إيدن وجيله يعتبرون حرية الملاحة عبر قناة السويس مسألة حيوية بالنسبة لبريطانيا. وبدأ إيدن يتبنى موقفا عدائيا شخصيا تجاه ناصر. وكان قد التقاه مرة واحدة فى القاهرة عندما كان وزيرا للخارجية.

وفى ٢٠ يناير ١٩٥٥ وصفت كلاريسا إيدن جمال عبدالناصر فى يومياتها بعد لقائه فى حفل عشاء أُقيم فى السفارة البريطانية فى القاهرة «الجنرال ناصر فى الخامسة والثلاثين من عمره ولم يغادر مصر البتة وهو غامض ومهذب للغاية نوعا ما ولغته الإنكليزية لا بأس بها».

كما كتبت فى وقت لاحق أنه اتضح أن عبدالناصر شعر بإهانة بالغة فى تلك الليلة، حيث شعر أنه كان على ايدن أن يأتى لرؤيته كرئيس وقد جاء وهو يرتدى بدلة ولم يكن يدرى أن إيدن سيرتدى بدلة رسمية وربطة سوداء. وأخيرا فقد شعر بالانزعاج لأن أنطونى تحدث إليه بالعربية.

غير أن إيدن كان فى وقت سابق قد واجه الواقع بشجاعة وتفاوض حول اتفاقية قناة السويس وانسحاب القوات البريطانية فى عام ١٩٥٤، وهو أمر لم يستسغه تشرشل وكان يلقى انتقادا حادا من أوساط فى حزب المحافظين. وبموجبها غادر آخر جندى مدينة بورسعيد فى ١٣ يونيو ١٩٥٦.

وبصفته رئيسا للوزراء شارك إيدن فى المفاوضات الأميركية - البريطانية حول تمويل السد العالى فى أسوان، المشروع المصرى المهم، وكان الرئيس إيزنهاور يتعافى من الالتهاب ووزير خارجيته جون فوستر دالس كان يشغله النفوذ السوفيتى المتزايد فى مصر، ولا يحبذ دعم مشروع السد، وفى ١٧ يوليو أبلغ السفير البريطانى لدى أميركا إخطار واشنطن بأن المملكة المتحدة لا تؤيد

الانسحاب من ذلك المشروع، غير أن دالسى استنتج، وهو محق فى ذلك، أن البريطانيين يتحدثون من أجل تسجيل موقف ويعنون ذلك تماما، وأعلن دالسى الذى واجه ضغوطا من الكونجرس، انسحاب الولايات المتحدة فى ١٩ يوليو.

وفى لندن، ذهب رئيس مجلس التجارة بيتر ثورنيكروفت للقاء إيدن لإقناعه بمشروع السد العالى، وقد واجه إحدى نوبات غضب إيدن الشهيرة الذى استاء من تدخل ثورينكروفت، حيث قال إنه بعد قرار الأميركيين يعتبر المشروع فى حكم المنتهى، وأن اقتراح عملية إعادة إحيائه أمر غير لائق، ويعد هذا مؤشرا على تقلب مزاج إيدن.

وبعد مضى ستة أيام من ذلك تحرّك عبدالناصر، ففى يوم ٢٦ يوليو ذكرى تخلى الملك فاروق عن العرش، وفى خطاب حماسى ألقاه فى ميدان المنشية فى الإسكندرية أعلن عبدالناصر عن تأميم شركة قناة السويس.

جاءت تلك الخطوة فى جزء منها كرد على القرار الخاص بمشروع السد العالى، وعندما وردت أنباء خطبة عبدالناصر كان إيدن صدفة يستضيف حفل عشاء فى مقره فى ١٠ داوننغ ستريت على شرف الملك فيصل، ملك العراق، ورئيس وزرائه نورى السعيد.

وكانت نصيحة العراق هى ضرب عبدالناصر ضربة موجعة. عاجلا، وبعد العشاء استدعى إيدن القائم بالأعمال الأميركى ساعيا، ويا للمفارقة، إذا ماوضعنا فى الاعتبار الأحداث اللاحقة، لإشراك الأميركيين منذ البداية، كما استدعى أيضا السفير الفرنسى للمشاركة فى النقاش حول خطوة عبدالناصر، بالإضافة إلى أربعة وزراء هم صديقه المقرب وزير الخارجية سلوين لويد وماركيز سالزبورى وكونت كيلميور ورئيس القضاء والسير إليك دوغلاس هيوم، كما استدعى كذلك اثنين من رؤساء الأركان هما الفيلد مارشال سير غيرالد تيمبلر والأدميرال إيرل مونتباتن. وقد استمر الاجتماع حتى الساعة الرابعة فجرا.

وقد وضعت أزمة السويس، حدّاً فاصلاً بين عهدين. عهد انتهى وعهد بدأ

لكل من بريطانيا وأوروبا والولايات المتحدة فى الشرق الأوسط. أما ما حدث نتيجة لذلك فى العالم العربى فكان البركان الذى فجّر الانقلابات والثورات على الأنظمة الحاكمة وغيّر ما غيّر من تحالفات العرب مع دول العالم، أكثر مما غيّر من حكّامه. كانت أزمة السويس بداية نصف قرن من صراعات وحروب وغزوات واغتيالات أدت إلى الصورة التى نحن فيها اليوم.

وكما قلنا إن إيدن عرف بقرار تأميم عبد الناصر لقناة السويس ليلة ٢٦ تموز ١٩٥٦ بالذات خلال عشاء كان يقيمه فى «١٠ داوننغ ستريت»، على شرف الملك فيصل الثانى ملك العراق، الذى كان فى زيارة رسمية لبريطانيا.

كان ذلك عندما دخل عليه سكرتيره الخاص عند الساعة العاشرة ليلاً، ليخبره بما قاله عبد الناصر فى خطابه بالإسكندرية. ونهض الجميع من العشاء ليتفرقوا فى الغرف الجانبية لمقر رئيس الوزراء البريطانى، يتبادلون الآراء فى هذا الحدث الخطير.

وكان الانقسام الحاد الذى أحدثته حرب السويس فى المجتمع البريطانى، بين «الاستعماريين القدامى» الذين يؤمنون باستعمال القوة لحماية ما يعتقدون أنه لمصلحة بلادهم وبين «المتحررين الجدد» الذين يرفضون استعمال القوة ويدعون إلى التخلى عن المستعمرات وتحرير شعوبها.

٤

جولدا مائير..

لحظة الاستفاقة المهينة !!



ربما لم يمر أى سياسى فى التاريخ بلحظة انكسار مذل كما حدث مع هذه الصهيونية العتيدة "جولدا مائير".. السيدة التى أطلقوا عليها "رجل إسرائيل القوى" والتى هاجرت من روسيا إلى أمريكا ثم إلى فلسطين.

كانت لحظة استقالتها شهادة وفاة لها كسياسية ، ووثيقة اعتراف بهزيمة مروعة فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ أمام الأعداء العرب ، بعدما روجت هى وزبانيتها فى الحكم بأن إسرائيل دولة يستحيل هزيمتها ، وأن جيشها هو الجيش الذى لايقهر !!

فبتسلم جولدا مائير السلطة فى عام ١٩٦٩، كان دايان وزيراً للدفاع. ورفض دايان شنّ هجوم احترازى على كل من مصر و سوريا لقناعة دايان بقدرة الجيش الإسرائيلى على صد أى هجوم عربى على إسرائيل وللحيلولة من تصوير إسرائيل أن تكون البادئة بالهجوم.

وبتعاقب الهزائم الإسرائيلية فى بداية حرب أكتوبر، كان دايان على استعداد للإعلان عن هزيمة إسرائيل لولا منعه من قبل مائير من الإدلاء بمثل هذا التصريح المذل .

وبعد الحرب، قامت اللجنة المسؤولة بإعداد تقرير حرب ١٩٧٣ بإعفاء الكادر السياسى الإسرائيلى من المسؤولية فى تكبّد الخسائر فى الأيام الأولى من الحرب إلا أن الغضب والاحتجاج الشعبى الإسرائيلى أدّى إلى استقالة كل من دايان ومائير.

ولدت جولدا مائير فى أسرة فقيرة يعمل عائلها نجارا فى كييف بروسيا عام ١٨٩٨، واضطرت الأسرة تحت ضغط الفقر إلى السفر للولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٠٦ بحثا عن فرص عمل أفضل.

تلقت مائير تعليمها الأولى فى روسيا ثم التحقت بمدرسة للمعلمين فى الولايات المتحدة الأميركية، قبل هجرتها إلى فلسطين عام١٩٢١ .

انضمت إلى حزب عمال صهيونى عام ١٩١٥ . وفى عام ١٩٢١، هاجرت إلى فلسطين.

أثناء حرب ١٩٤٨، جمعت جولدا مائير ٥٠٠ مليون دولار، من يهود الولايات المتحدة الأمريكية، لشراء أسلحة ومعدات قتالية للتنظيمات العسكرية الصهيونية.

وفى نفس السنة تنكرت فى زى عربى واجتمعت مع الملك عبد الله عاهل المملكة الأردنية فى محاولة لإقناعه بعدم مهاجمة الدولة التى ستنشأ.

وعقب إعلان قيام الكيان الصهيونى ، تولت مائير عدة مناصب دبلوماسية ووزارية. فعُينت أول سفيرة لإسرائيل فى موسكو عام ١٩٤٨، وشغلت منصب وزيرة العمل (١٩٤٩ ـ ١٩٥٦) ووزيرة الخارجية (١٩٥٦ ـ ١٩٦٦)، وعندما عينت وزيرة للخارجية تخلت عن اسمها بالمولد إلى اسم جولدا مائير.

وفى عام ١٩٦٥، انتخبت سكرتيرة لحزب الماباى وعارضت بن جوريون بشأن قضية لافون والتحالف مع اتحاد العمال.

وبعد عدوان يونيه ١٩٦٧، تولت منصب السكرتير العام لحزب العمل الموحد. وفى ١٩٦٩، تولت رئاسة الوزراء، بعد موت أشكول. وأولت تطوير العلاقات مع أفريقيا وتوثيق التحالف مع أمريكا اهتماما خاصاً، وفى عهدها اندلعت حرب أكتوبر ١٩٧٣، وعبر الجيش المصرى قناة السويس وخط بارليف، مما جعلها عرضة لانتقادات شديدة داخل الكيان الصهيونى، أدت إلى استقالتها فى يونيه ١٩٧٤.

اشتهرت جولدا مائير بتشددها مع العرب والتمسك بالأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧، وبإنكار وجود الشعب الفلسطينى، وقلقها الشديد إزاء تزايد الشعب الفلسطينى.

انتهت حرب ١٩٧٣وانخفضت معها شعبية جولدا مائير فقدمت استقالتها من رئاسة الحكومة عام ١٩٧٤، وقضت العام الأخير من حياتها (١٩٧٨) تكتب سيرتها الذاتية.

وباستقالة جولدا مائير أثناء حرب أكتوبر، ووفاة بن جوريون اختفى هذا الجيل تماما ليتولى القيادة جيل جديد كان ممثلا فى "إسحق رابين" أول جنرال يتولى رئاسة الوزراء الإسرائيلية بعد أن انكشف للعالم كذب أسطورة الديمقراطية الإسرائيلية الزائفة، وأيضا تلاشى أسطورة التفوق العسكرى الإسرائيلى الذى لا يقهر..فقد انهارت الأساطير على أيدى المصريين يوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣.

(٥)

جون ميجور..

لحظة الاعتراف بالرذيلة !!



فى لحظة مأساوية بكل معنى الكلمة ، أقر رئيس الوزراء البريطانى جون ميجور، الذى اعتبر نفسه داعية العودة إلى احترام القيم الأخلاقية خلال فترة ترؤسه الحكومة البريطانية (١٩٩٠ ـ ١٩٩٧)، بأنه أقام علاقة مع زميلته كورى قبل وصوله إلى رئاسة الحكومة!!

ووصف ميجور الفضيحة قائلاً "إنها واحدة من الأحداث التى وقعت فى حياتى وأخجل منها شديد الخجل، والتى خشيت طويلاً من أن يتم كشفها أمام الجمهور".

وأكد رئيس الوزراء البريطانى السابق لحظة استقالته أن زوجته نورما، التى تزوجها فى ١٩٧٠، كانت على علم بهذه العلاقة وأنها صفحت عنه !!

جون ميجور هو رئيس الوزراء البريطانى الأسبق فى الفترة من عام ١٩٩٠ حتى عام ١٩٩٧.

وعندما تسربت أخبار عن العلاقة العاطفية التى جمعت بين ميجور، قبل أن يصبح رئيساً للحكومة، ورفيقته فى حزب المحافظين إيدوينا كورى والتى استمرت أربع سنوات كاملة، ارتجف العالم.

فوفقاً لمذكرات كورى المثيرة للغثيان والتى تم نشرها على حلقات فى صحيفة التايمز عام ٢٠٠٢، فإن العلاقة بينهما بدأت عام ١٩٨٤ عندما كانت كورى عضواً معارضاً فى البرلمان وكان ميجور وزيراً للخزانة فى حكومة مارجريت تاتشر.

وقالت كورى فى مذكراتها إن حبها لميجور لم يتوقف بل ظل جزءاً من حياتها، وادعت كورى أنها أنهت العلاقة عام ١٩٨٨ قبل أشهر قليلة من استقالتها بسبب فضيحة السالمونيلا، وقبل عامين من أن يصبح ميجور رئيساً للوزراء لأنه، وبحسب ما كتبت "لم يكن هناك إمكانية للاستمرار فى هذه العلاقة دون المخاطرة بالكشف عنها".

(٦)

بيتر روبنسون..

لحظة الاعتراف بخيانة الزوجة !!



فى لحظة فاصلة يمتزج فيها الشعور بالخيانة الزوجية ، بالعار السياسى ، اضطر رئيس وزراء أيرلندا الشمالية بيتر روبنسون إلى ترك منصبه فى مطلع عام ٢٠١٠ ، بسبب فضيحة جنسية-سياسية ناجمة عن إقامة زوجته إيريس علاقة غرامية بشاب يصغرها سنا.

وكان روبنسون قد عاش وزوجته حياة ترف تتناقض مع تقاليد التقشف المتبعة فى بلفاست، فكان انهيار بيتهما السياسى مدويا.

وفى لحظة مؤثرة ، أنهت الفضيحة الغرامية لزوجة رئيس الوزراء مستقبل عائلة سياسية كبرى فى أيرلندا الشمالية !!

وأعلنت إيريس روبنسون (٦٠ عاما)، وهى من أتباع البروتستانتية المتزمتة، أن الله غفر لها العلاقة الغرامية التى أقامتها مع شاب يبلغ اليوم من العمر ٢١ عاما. ولكن الرأى العام فى أيرلندا الشمالية لم يوافقها الرأى وهو لا يبدى أى تساهل معها.

ويشتبه فى أن رئيس الوزراء، الذى يؤكد براءته، لم يبلغ السلطات بالتحويلات المالية المفترضة التى قدمتها زوجته لعشيقها الشاب كيرك ماكمبلى.

ويعتقد أن إيريس، وهى أيضا عضو فى البرلمان، حصلت فى ٢٠٠٨ على ٥٥ ألف يورو من مستثمرين اثنين قدمتها لعشيقها لمساعدته على فتح مطعم.

وتفيد مزاعم بأن رئيس الوزراء كان على علم بالعلاقة الغرامية التى جمعت زوجته بالشاب، لكنه لم يبلغ السلطات المعنية، الأمر الذى يشكل انتهاكا لأنظمة البرلمان. إلا أنه نفى أن يكون قد علم سابقا بأمر هذه العلاقة أو بالمال الذى حصلت عليه زوجته. وقال "لم أكن على علم على الإطلاق (..) إذا أخفى عنكم أحد علاقة فليس مستغربا أن يخفى كل ما هو متصل بها ".

وتزوج بيتر وإيريس روبنسون فى ١٩٧٠ وهما عضوان فى البرلمان البريطانى وكذلك فى الجمعية العامة فى أيرلندا الشمالية. وبلغ الزوجان أوج نجاحهما بعد تعيين بيتر روبنسون رئيسا للوزراء فى يونيو ٢٠٠٨ بعد مسيرة طويلة فى الحزب الوحدوى الديمقراطى.

فقد كانت حياة الزوجين غاية فى الترف، وناهزت مصاريفهما مداخيلهما المقدرة بـ٥٠٠ ألف جنيه استرلينى سنويا (٥٥٠ الف يورو)، بحسب الصحف التى نشرت هذه الأرقام لدى انفجار فضيحة أخرى هى فضيحة فواتير البرلمانيين البريطانيين.

وفى هذا الإطار وصفت صحفية فى أسبوعية "صنداى هيرالد" دعاها آل روبنسون إلى منزلهما فى شرق بلفاست، المنزل من الداخل بأنه أشبه بمتحف ملىء بالأثريات والتحف تزينه الستائر الحريرية والثريات. وبحسب تقارير إعلامية فإن الزوجين يملكان منزلا ثانيا فى ولاية فلوريدا.

ونفى آل روبنسون وجود أية مخالفة فى فواتيرهم. ولكن إيريس، التى استقالت من مهامها، ستكون معركتها أكثر صعوبة فى دفع اتهامات "النفاق" الموجهة إليها.

وبعيد أيام من تولى زوجها مهام رئاسة الوزراء، وصفت إيريس المثلية الجنسية بأنها "بغيضة"، فى استعارة لتعبير من الكتاب المقدس، الأمر الذى أثار عاصفة من الاحتجاجات.

وشكل إقرارها أخيراً، فى بيان، بأنها أقامت علاقة غرامية مع شاب يصغرها بأربعين عاما، هو نجل صديق للعائلة توفى مؤخرا، صدمة بالنسبة إلى الرأى العام فى بلفاست زاد من وقعها تمسك الزوجين طويلا بالقيم البروتستانتية المتزمتة.

ويقول تيم وهو سائق سيارة أجرة شمال بلفاست إن "الناس لا يتعاطفون معها البتة"، موضحا أنه "فى الوقت الذى كانت تهاجم فيه المثلية، كانت ترتكب هى نفسها الزنا، وهى (الجريمة المحظورة) فى الوصايا العشر".

وفى مقاطعة يشكل فيه الدين، سواء أكان كاثوليكيا أم بروتستانتيا جزءا لا يتجزأ من الحياة السياسية، جاءت هذه الفضيحة التى تمزج بين الجنس والسياسة والمال لتزيد من وقع الصدمة.

وكتبت عبارة "زناة" بالأحمر على لوحة لكنيسة العنصرة فى شمال بلفاست حيث يصلى الزوجان.

وحتى فى دائرتها الانتخابية فى شرق بلفاست، من النادر أن تجد من يؤيد النائبة إيريس روبنسون. ويقول أحد التجار رافضا الكشف عن اسمه "أشعر بالأسف حيال أسرتها وأطفالها"، مضيفا "إنها امرأة غبية حقا".

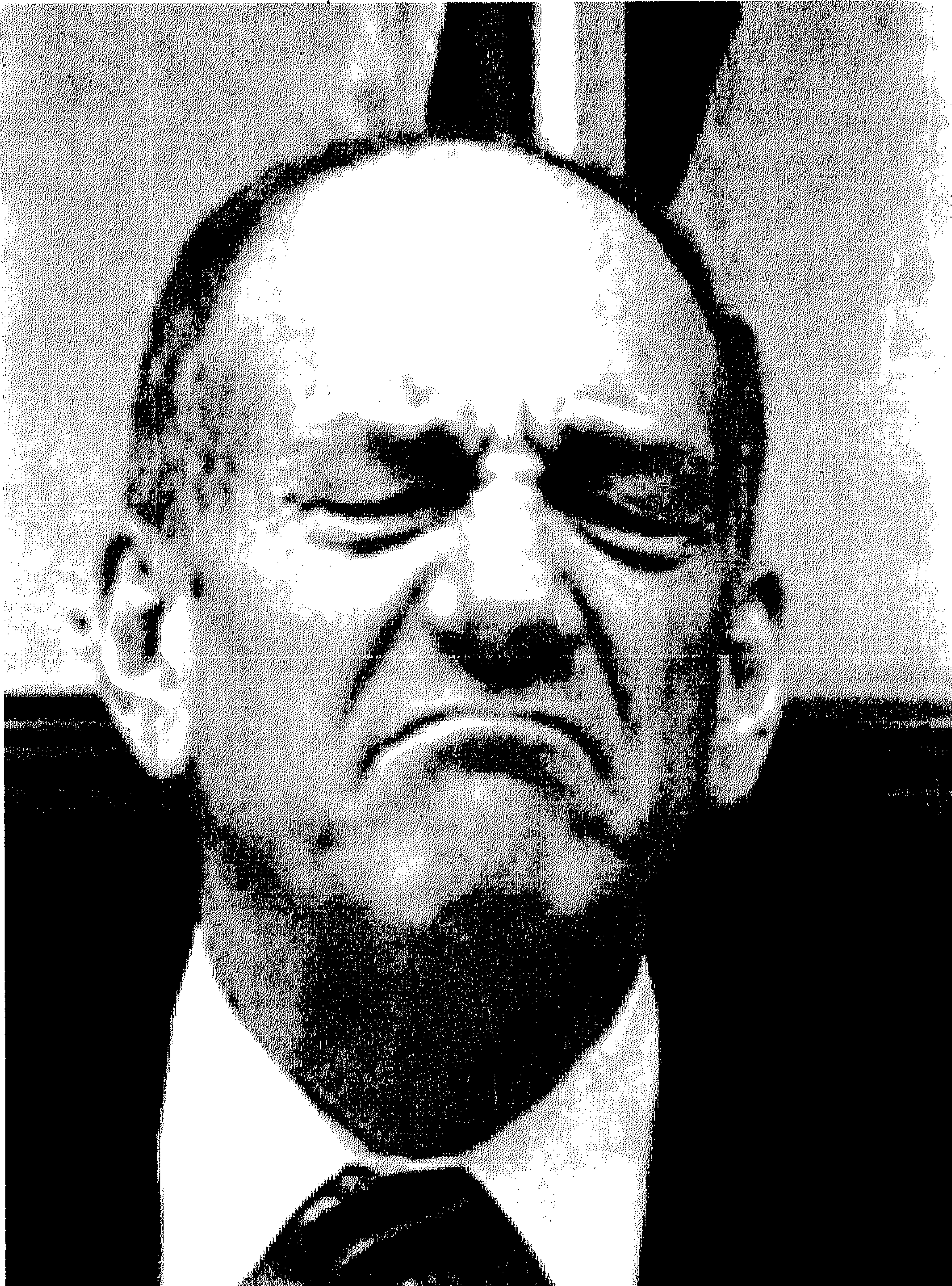
وكانت إيريس روبنسون قد أعلنت فى بيان أن ما فعلته ناجم عن إصابتها بالاكتئاب.

وقال بيتر روبنسون إنه اختار البقاء بجانب زوجته، التى تخضع لعلاج نفسى فى بلفاست، لمساعدتها على الشفاء، إلا أن مستقبله السياسى غامض جدا.

(٧)

إيهود اولمرت ..

لحظة السقوط والفشل !!



فى لحظة مذلة ومهانة بعد هزيمة عسكرية مدوية أمام حزب الله فى جنوب لبنان ، أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت الضالع فى قضايا فساد استقالته خلال اجتماع لمجلس الوزراء وسلم المهمة لوزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبى ليفنى التى كانت - آنذاك - تأمل فى خلافته فى أسرع وقت ممكن.

وأعلن متحدث باسم أولمرت أن الأخير سيقدم كتاب استقالته إلى الرئيس شيمون بيريز مما يفتح المجال رسميا لخلافته فى رئاسة الحكومة.

وقال أولمرت للصحفيين عند افتتاح جلسة مجلس الوزراء الأسبوعية- فيما بعد - "قررت التخلى عن مهامى بصفتى رئيسا للحكومة الإسرائيلية".

وأضاف أولمرت : "آمل فى أن تتمكن تسيبى ليفنى من إعلان حكومة فى أسرع وقت ممكن بالتشكيلة التى ستختارها".

وقد خلفت ليفنى إيهود أولمرت على رأس حزب كاديما إثر فوزها فى الانتخابات الداخلية للحزب التى جرت قبل ساعات من الاستقالة.

ومن جهة أخرى ، توجه إلى أولمرت الذى خلف إرييل شارون فى يناير ٢٠٠٦ اتهامات بالفساد فى قضيتين سرعتا قرار استقالته.

ولكن يظل السبب الرئيسى فى استقالة أولمرت هو لعنة جنوب لبنان التى أطاحت فى النهاية به ومعه حكومته المجرمة الفاشلة !!

فقد تضمن تقرير للجنة تحقيق فى حرب لبنان التى دارت رحاها عام ٢٠٠٦ توبيخا حاداً للحكومة وأبرز حالة الاستياء تجاه جيل من الزعماء المنتخبين والمتنافسين الذين يعتبر الإسرائيليون أنهم لا يتحلون بالمهارات الكافية للتعامل مع التحديات الإقليمية التى تلوح فى الأفق.

وتجلى المزاج السائد فى الأوساط الإسرائيلية بعد نتائج لجنة فينوجراد عندما بث التليفزيون الإسرائيلى نتائج استطلاع للرأى سئل المشاركون فيه "أى السياسيين تعتبرونه أقل سوءا.."

ولم يكن مفاجئا أن يحتل أولمرت مرتبة متدنية. فقد وصفته اللجنة بأنه مسؤول عن اخفاقات الحرب على مقاتلى حزب الله اللبنانى فضلا عن فضائح الفساد التى تطارده.

وقال ناحوم بارنيا المحلل بصحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية اليومية "خلاصة القول هى أن أولمرت يجب أن يرحل ".

"وبعد أخذ ذلك فى الاعتبار ما زال بإمكانه النجاة من الناحية السياسية لا لأن الحرب تكللت بالنجاح ولكن لأن البدائل - حتى بمعايير اللجنة- ليست أفضل".

وعلى الرغم من معدلات الرضا التى تقل عن عشرة فى المائة ، تعهد أولمرت وقال يونا ياهاف رئيس بلدية حيفا الذى أمطر حزب الله مدينته الشمالية بالصواريخ خلال الحرب التى استمرت ٣٤ يوما "أشعر بالحزن اليوم لرؤية هذا الكم من الإسرائيليين الذين يتمتعون بالحاجة الى إعدام زعمائهم".

وفى أخطر ضربة لأولمرت حتى الآن ذكر تليفزيون القناة العاشرة الإسرائيلى أن وزيرة الخارجية تسيبى ليفنى أبلغت مساعديها بأنه "ينبغى أن يرحل". وينظر إلى ليفنى على نطاق واسع على أنها أبرز المرشحين لخلافة أولمرت.

وسعى أولمرت الذى تعهد بألا يستقيل للاحتفاظ بمنصبه بعد أن ذكرت تقارير لوسائل الإعلام أن أغلبية المشرعين فى حزب كاديما الذى ينتمى إلى الوسط يفضلون رحيله.

وجاء فى بيان لمكتب أولمرت أنه يحظى بمساندة نائب نقل عنه فى وقت سابق أنه يحثه على الاستقالة.

وفى حزب كاديما قام رئيس كتلة الحزب فى البرلمان أفيجدور ايتزاكى يجمع توقيعات على خطاب قدمه لأولمرت لمطالبته بالاستقالة.

وتحدثت عناوين الصحف عن "تضييق الخناق" حول رقبة أولمرت وتصويب "مسدس إلى رأسه."

وقالت لجنة فينوجراد للتحقيق إن الحكومة وافقت دون نقاش على قرار

خوض الحرب ولكن أولمرت يتحمل "المسؤولية العليا" فى شن هجوم جوى وبحرى وبرى دون خطة ملائمة بعد أن أسر حزب الله جنديين اسرائيليين فى ١٢ يوليو ٢٠٠٦.

وبعد سلسلة اتهامات بالفساد والكسب غير المشروع أصبح الكثير من الإسرائيليين مستائين من الطبقة الحاكمة ورأى البعض فى التقرير الذى صدر عن الحرب القشة التى قصمت ظهر أولمرت.

وقبل أولمرت كما كان متوقعا على نطاق واسع تحمل المسؤولية عن "الكثير من الاخطاء"

فخلال الحرب التى استمرت ٣٤ يوما والتى أمطر خلالها حزب الله إسرائيل بنحو أربعة آلاف صاروخ وقصفت طائرات حربية إسرائيلية جنوب العاصمة اللبنانية بيروت حيث أحد معاقل حزب الله.

ولقى نحو ١٢٠٠ شخص حتفهم فى لبنان منهم نحو ٩٠٠ مدنى فى حين قتل ١١٧ جنديا إسرائيليا و٤١ مدنيا بسبب صواريخ حزب الله التى ضربت شمال إسرائيل.

وكشف استطلاع للرأى نشرته صحيفة "يديعوت أحرونوت" نتائجه أن أغلبية ساحقة من الإسرائيليين ترغب فى استقالة رئيس الوزراء إيهود أولمرت بعد التقرير المرحلى القاسى الذى أصدره القاضى الياهو فينوغراد حول الحرب على لبنان. وقال ٦٥٪ من الإسرائيليين إنهم يؤيدون استقالته فورا.

وجاء تقرير لجنة التحقيق الإسرائيلية أقسى مما كان متوقعا حيث حمل أولمرت ووزير الدفاع عمير بيريتس مسؤولية "الفشل الذريع" فى إدارة الحرب ولكن من غير أن يوصى باستقالة أى منهما.

غير أن رئيس لجنة التحقيق القاضى إلياهو فينوغراد حذر من أن التقرير النهائى للجنة المتوقع صدوره - فى وقت لاحق - يمكن أن يتضمن "توصيات شخصية" بما معناه توصيات بالاستقالة.

وخلال الحرب التى استمرت بين ١٢ يوليو و١٤ أغسطس ٢٠٠٦ ، اضطر نحو

مليون إسرائيلى فى الشمال إلى الاحتماء فى ملاجئ محصنة أو النزوح باتجاه الجنوب هربا من الصواريخ التى أطلقتها باتجاههم ميليشيا حزب الله اللبنانية والتى بلغ عددها نحو أربعة آلاف صاروخ.

وكانت غالبية هذه الملاجئ مهملة دون صيانة منذ سنوات وفى أماكن كثيرة لم يكن هناك ملاجئ أصلا ولا سيما فى المناطق العربية فى الجليل.

وصعق الرأى العام الإسرائيلى لرؤية الإسرائيليين يضطرون إلى ترك منازلهم والإقامة فى أماكن لا تتوفر فيها الشروط الصحية الدنيا وفى أحيان كثيرة فى أماكن لا أجهزة تكييف فيها فى حمأة حر الصيف.

وأخيرا سقط رئيس الحكومة الإسرائيلية إيهود أولمرت وانزياحه عن منصبه السياسى ، الذى تشبث به كثيرا، هو إقالة أكثر منها استقالة، وأثبتت الأحداث أنه قابل للتدمير والعزل، وهو الذى كان قد وصف نفسه (بغير القابل للتدمير) !.

تأتى استقالة أولمرت ، وعدم دخوله للانتخابات على رئاسة حزب كاديما تنفيذا لاتفاق مع حزب العمل، وشريكه الأساسى فى الائتلاف، جرى توقيعه فى يونيو الماضى بعد إثارة فضيحة جديدة له فى سلسلة فضائحه الكثيرة، وبعد أن هدد حزب العمل، بالتصويت على حل الكنيست ، الأمر الذى حدا بأولمرت للحفاظ على ماء وجهه من خلال الاستقالة الطوعية وعدم الترشيح لقيادة حزبه فى الانتخابات.

سقوط أولمرت هو أحد الأسباب البعيدة أيضا لإخفاق إسرائيل فى حربها العدوانية على لبنان فى عام ٢٠٠٦، وبعد أن حمله تقرير فينوغراد مسؤولية غير مباشرة فى التسرع فى اتخاذ قرار الحرب وعدم الاستعداد جيدا لخوضها، وليس فقط بفعل فضائحه المالية الكثيرة، التى كانت سببا مباشرا فى ازدياد الضغوط الداخلية عليه، حتى فى صفوف حزبه من أجل مغادرة موقعه السياسى بعد أن أزكمت رائحة فضائحه أنوف الإسرائيليين وفقا لأحد المعلقين السياسيين الإسرائيليين وبعد أن وصلت شعبيته إلى الحضيض وإلى أدنى مستوى يصل إليه أى رئيس وزراء إسرائيلى سابق.

6

الفصل السادس

لحظة الهروب

(١)

شاه إيران..

هرب ولم يبك عليه أحد !!



إنها للحظة مأساوية أن يفكر فى الهرب إمبراطور متوج ، وحاكم يجلس فى قصره " قصر كولستان " على عرش الطاووس الذى كان مرصعا بـ ٢٧ ألف جوهرة ويحمل فوق رأسه تاج أكبر إمبراطوريات الشرق تزينه ٣٧٥٥ جوهرة من الماس والأحجار الكريمة.

فعلا لحظة مأساوية لم تكن بالتأكيد تخطر ببال الإمبراطور ، أو شعبه ، أو العالم ، ولكنها حدثت مع شاه إيران الراحل محمد رضا بهلوى !!

لم يتصور أحد يوما أن رجلا بهذه القوة ويملك ثروة قدرت آخر أيامه بـ٢٠ مليار دولار و١٥ قصرا فى دول العالم المختلفة ، وعقارات ، وفنادق فى أرقى المدن وأفخم الشوارع فى عواصم المال يمكن أن يلوذ بالفرار ، تاركا السلطة والنفوذ والجاه والصولجان ليتسول مأوى أو منفى من حلفائه وأصدقائه ، فيديرون له ظهورهم ، ويموت منفيا فى البلد الوحيد الذى قبله " مصر " بعيدا عن طاووسه.. وبعد حياة أشبه بالأساطير وفى لحظة من لحظات الاعتراف بالحقيقة المجردة ، لحظة الاختيار الصعب ، قرر شاه إيران محمد رضا بهلوى الهرب بعد ٣٨ عاما عاشها فوق هذا العرش .

لم يكن يدرى عندما استلم العرش أن الزمن يخفى خلف ستارته مفاجآت ومآسيَ لم تخطر على باله ، ولم يحسب لها حسابا.

لم يكن يدرى يوم ٢١ ديسمبر ١٩٥٩ يوم زفافه على فرح ديبا كزوجة ثالثة وهى التى اختارها قلبه، وليس كما الأمر بالنسبة لزوجته الأولى فوزية شقيقة الملك فاروق التى اختارها له والده وعاش معها ١٠ سنوات وطلقها عام ١٩٤٩، لتختار له الأسرة الإمبراطورة ثريا إصفنديارى التى عاشت معه هى الأخرى حوالى ١٠ سنوات وطلقها عام ١٩٥٨، لم يدر ذلك اليوم وكان كليلة من ليالى ألف ليلة وليلة أنه سيهرب كالفأر المذعور فى يوم ما .

ففى ذلك اليوم اتجهت أنظار العالم إلى هذا القصر الذى شهد الزواج، حيث

كانت هناك مائة وخمسون عدسة صحفية تحتل مكانها فى قصر المرمر وقصر كولستان، وتعلقت العيون آنذاك بالعروس وفستانها الذى سحر العقول، فقد كان طول ذيله ثمانية أمتار ويزن عشرة كيلو غرامات.

فى ذلك اليوم لم يكن يحق للكادحين من شعبه ، الذى يقاسى ويلات العيش ، المرور من جانب القصر.

حكاية أشبه بالأفلام الميلودرامية لو عرف صاحبها نهايتها قبل أن يبدأ ربما اختار أن يعيش حياة أخرى أكثر بساطة وهدوءا ولرضى أن يجلس فوق عرش الحقيقة، ويكتفى بتاج السعادة وصولجان الرضا، ولكن من حكمة القدر أن يظل الغد لغزا لا يفصح عن وجهه إلا مع شروق شمسه.

يوم ١٦ يناير عام ١٩٧٩ ، هو ذكرى هروب شاه إيران بعد تعاظم السخط الجماهيرى للشعب الإيرانى ضد الطاغية الذى حكم البلد بقبضة حديدية.

ولد الشاه فى مدينة آلاشت التابعة لمحافظة مازندران وجاء إلى سدة الحكم بعد التماس والده رضا خان مير بنج لمحمد على فروغى الذى كان على اتصال دائم مع السفارة البريطانية التى أوعزت إليه أن يكتب له رسالة استقالته للحكم وطلب منه أن يضمن له تسليم الحكم لولده محمد رضا.

وقد وفى فروغى بما وعد رضا خان لمجىء ولده إلى الحكم وبعد فترة تنمر الشاه الشاب فكان مصيره الهروب إلى بغداد ومن ثم إلى إيطاليا إلى أن عاد إلى إيران بعد الانقلاب العسكرى الذى دبره الجنرال فضل الله زاهدى والد أردشير الذى أصبح صهر الشاه فيما بعد حيث تزوج ابنته شهناز ضد رئيس الوزراء محمد مصدق.

وواصل الشاه جرائمه ضد الشعب الإيرانى ولم يأخذ الدروس والعبر من الماضى وهروبه إلى العراق ثم إلى ايطاليا حيث واصل نهج والده الذى كان يتمثل بالقهر والبطش والتنكيل والتعذيب وقتل العلماء الذين لم يكن لهم ذنب سوى أنهم كانوا يطالبونه بمنح الحرية للشعب.

وفى مثل هذا اليوم اضطر الشاه إلى الهروب من إيران للمرة الثانية ظنا منه أنه سيعود إليها كما حدث ذلك فى المرة الأولى إلا أن الإرادة الإلهية التى تمثلت فى طلب الشعب الإيرانى الذى التف حول مرجعه الدينى آية الله الخمينى شاءت أن يواجه الطاغية الذل وأصبح مشردا بين الدول التى كانت تقف إلى جانبه بالأمس فى قتل الشعب.

وأخيرا استضافه أنور السادات بإيعاز من أمريكا التى عجزت عن استضافته خوفا من سخط أبناء الشعب الأمريكى حتى توفى فيها فى ٢٧ عام ١٩٨٠ وله من العمر ٦٠ عاما.

وبعد هذا الهروب الذى كان يعتبر بداية لانتصار الشعب الإيرانى فى ثورته استعد لاستقبال الخمينى الذى عاد إلى أرض الوطن وسط استقبال كبير.

فقد قامت المظاهرات الحاشدة من جميع فئات الشعب واستمرت ليلاً ونهاراً بلا انقطاع وكانت أعداد القتلى تتزايد يوماً بعد يوم إلى درجة أن قسماً كبيراً من الجيش انضم للمتظاهرين بسبب تأثره للوحشية التى كانت تقاوم بها المظاهرات مما اضطر الشاه وتحت إلحاح الولايات المتحدة الأمريكية إلى مغادرة إيران بطائرته الخاصة .

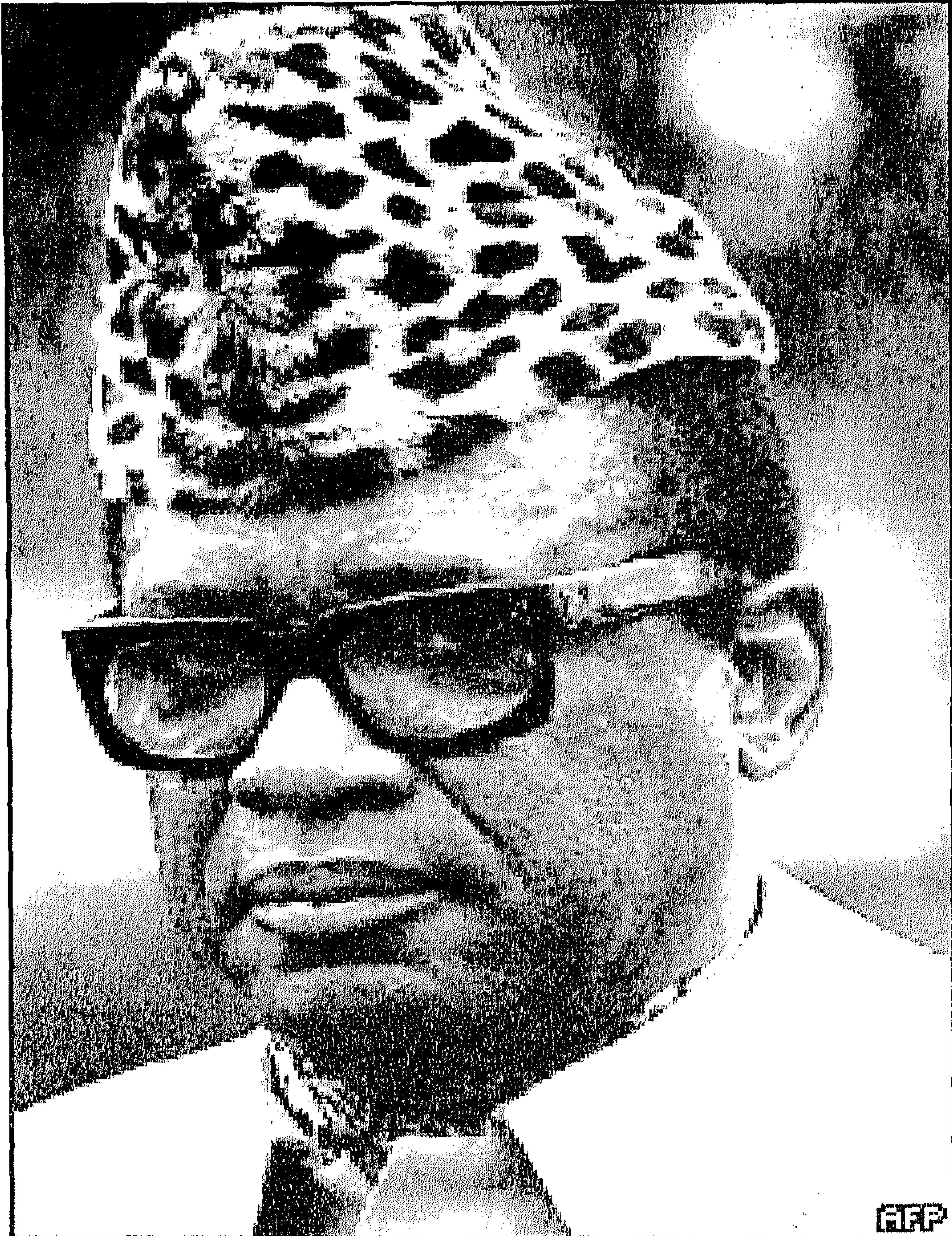
بعد هروب الشاه من إيران نزلت طائرته فى مصر وكان يشعر بالإحباط الشديد بسبب عدم رغبة كثير من دول العالم استقباله ونتيجة للصدمات النفسية المتعاقبة أصيب الشاه بتوعك شديد اضطر على إثره للسفر إلى المغرب ومنها إلى بنما حيث اتضح هناك أنه مصاب بسرطان فى الطحال مما استوجب إجراء عملية جراحية له فعاد إلى مصر لإجراء تلك العملية ولكن لم تفلح تلك العملية فى شفائه من ذلك المرض فتوفى الشاه فى مصر وقد تم تشييع جثمان الشاه فى جنازة عسكرية ضخمة أقامها له أنور السادات وشارك فيها الرئيس الأمريكى السابق نيكسون كما شارك ملك اليونان السابق الملك قسطنطين الذى كان يعمل مديراً لأعمال الشاه .

وقد أثيرت كثير من الشائعات حول وفاة شاه إيران تقول بأن مخابرات إحدى الدول الكبرى قامت بالتخلص منه برغم أن من قام بعمل العملية الجراحية هم أطباء تم اختيارهم بواسطة زوجة شاه إيران الإمبراطور ة فرح ديبا وتقول الشائعة إن أحد الجراحين قد أحدث جرحاً بالخطأ أثناء إجراء العملية وقد تسبب ذلك الجرح فى حدوث خراج أدى إلى تسمم جسد الشاه ووفاته .

(٢)

موبوتو سى سيكو..

حتى سائق التاكسى !!



طاغية آخر اضطر فى لحظة انكسار طال انتظارها من جانب شعبه البائس ، أن يفر هاربا ، ليبحث عن مكان يأويه .

وربما يكون موبوتو الذى لم يتورع عن نهب ثروات بلاده الغنية بالمعادن النفيسة ، واليورانيوم الذى صنعت منه أول قنبلة نووية ، ويضخ حصيلتها فى حسابات باسمه فى الخارج ، قبل أن ينقلب عليه حلفاؤه القدامى " الأمريكان " ويزودون مساعده المنشق لوران كابيلا بالسلاح ، ويجندون له دول الجوار المعادية لكى يزحفوا بقواتهم لإسقاطه فلا يجد مفرا من الهرب فى لحظة جمع فيها بين الذعر من الاعتقال والمرض الذى كان قد بدأ ينهش فى جسده !!

قصة هروب الطاغية الزائيرى موبوتو سيكى سيكو والبطانة القريبة منه من زائير سابقاً " الكونغو الديمقراطية حالياً " فيها الكثير من العبر والدروس .

موبوتو الذى حكم البلاد وعاث فى الأرض الفساد لمدة تزيد على الثلاثين سنة. ثلاثون عاماً أو يزيد من الصلف والتبختر والخيلاء حتى يخيل لمن يراه وهو فى ذلك الحال أنه سيعمر إلى أبد الآبدين.

ففى عهده لم يكن فرق بين ملكية الدولة والملكية الخاصة له وللحاشية المقربة منه. استشرى الفساد بين هذه الفئة فازدهرت وحققت ثراء فاحشاً على حساب أحد أفقر شعوب العالم.

هكذا كان حاله أيام عتوه وتجبره وعندما طرد ذكرت الوكالات أن رئيس جنوب أفريقيا – مانديلا – كان يبحث له عن مأوى لأن جميع الأبواب سدت فى وجهه، ففرنسا التى يملك فيها فيلا فخمة ترفض استقباله، والمغرب الذى يملك فيه قصراً ويمكث الآن فيه لن يستقبله إلا لفترة قصيرة.

سدت كل الأبواب فى وجه موبوتو، لا أحد يريده... كان الرجل أمامه بضعة شهور يعيشها ، إنه يعانى من سرطان البروستاتا، إنه يبحث عن مكان يموت فيه".

ابنة أحد جنرالات موبوتو وهى فى طريقها للهروب قالت : "يجب أن نخرج من هنا بأسرع ما يمكن... هذا الصباح فقط أهاننى سائق سيارة أجرة زائيرى،

قال لى بأنه لا يريدنى فى سيارته" ، هذه البنية التى كانت تعيش فى دلع ولم يكن الضباط الكبار يتجرؤون على نهرها واعتراض طريقها دارت الأيام دورتها وجاءت اللحظة التى تجرأ فيها عليها سائق سيارة أجرة!

نفس الموال نجده فى حالة أخرى لدولة أفريقية فى هذه المرة هى الكونغو. تلك دولة اضطرت بلجيكا إلى الخروج منها وإعلان استقلالها فى عام ١٩٦٠ تحت ضغط المقاومة فى الداخل وحركة التحرر الوطنى الدولية السائدة فى الخارج. لكن لأن الكونغو تبلغ مساحتها مرتين ونصف المرة مساحة دولة بحجم مصر مثلا، ولأن تلك المساحة تختزن فى أرضها أكبر مخزون فى العالم من النحاس والماس فضلا عن كونها المنتج الأول فى العالم لمادة الكوبالت زائد الزنك والفضة والقصدير والمنجنيز وبعض تلك المواد مهم للغاية للصناعات العسكرية، فلم يكن لوحوش الغابة الدولية أن يمرروا استقلال الكونغو فى سلام أو يسمحوا عن طيب خاطر بأن تعود تلك الثروات المنهوبة إلى أصحابها.

لقد جرى خطف واغتيال رئيس وزرائها بياتريس لومومبا ثم جرى اغتيال داج همرشولد السكرتير العام للأمم المتحدة نفسه بإسقاط طائرته وهو فى الطريق إلى الكونغو.وبمزيج من المصالح الدولية المستفيدة وتجنيد مرتزقة دوليين وتوجيه واشتراك أجهزة مخابرات أمريكية وأوروبية . وكل هذا جرى الكشف عن وثائقه فيما بعد . وحمامات دم تابعها العالم فى حينها أصبح للشركات الأجنبية المعنية رجلها الحاكم الجديد فى الكونغو وهو موبوتو سى سيكو.

لم يضع الرجل الجديد وقتا فأعاد الاحتكارات الأجنبية إلى سطوتها لتعود نفس المعادلة المتكررة هنا مرة أخرى: اللصوص الكبار ينهبون ثروات الكونغو، واللص الصغير الحاكم يواجه كل تمرد داخلى بالمزيد والمزيد من القمع. ولمساعدته فى القمع احتشدت نفس القوى السفلية فى الحياة الدولية كالعادة.وفى عام ١٩٧٧ مثلا قامت طائرات فرنسية بنقل قوات مغربية إلى الكونغو لمواجهة انتفاضة جديدة مدعمين بخبراء أرسلهم أنور السادات من مصر.

فى العام التالى أرسلت فرنسا وبلجيكا مباشرة قوات من عندهما لمواجهة انتفاضة جديدة. وفى العام التالى أرسل مظليون من بلجيكا لمساعدة موبوتو من جديد، وهكذا، حتى نجح لوران كابيلا فى إزاحته من السلطة نهائيا فى ١٩٩٧ فهرب إلى المغرب إلى أن توفى هناك.

ومرة أخرى أصبح السؤال المتكرر هو: هل يستطيع الكونغو استعادة بلايين الدولارات التى هربها موبوتو إلى الخارج طوال سنوات حكمه؟ والسؤال الآخر:هل تفصح تلك البنوك الغربية التى احتفظ فيها موبوتو بحساباته وأرصدته السرية عن المبالغ الحقيقية لتلك البلايين المهربة؟

موبوتو سى سيكو الرئيس الزائيرى السابق توفى بمرض السرطان فى ٧ سبتمبر ١٩٩٧ فى مستشفى بالرباط بعد بضعة أشهر من منفاه وحل مكانه لوران ديزيريه كابيلا.

7

الفصل السابع

لحظة الانتصار

(١)

محمد الفاتح ..

لحظة تحقق البشارة النبوية



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش) (رواه الإمام أحمد فى مسنده). وهكذا حقق السلطان محمد الفاتح هذه البشارة النبوية .. ولنا أن نتخيل لحظة انتصار هذا السلطان العظيم ، والتى لا يضاهيها انتصار !!

محمد الفاتح هو السلطان محمد الثانى ، و يعتبر السلطان العثمانى السابع فى سلسلة آل عثمان يلقب بالفاتح وأبى الخيرات. حكم ما يقرب من ثلاثين عاماً كانت خيراً وعزة للمسلمين.

تولى حكم الدولة العثمانية بعد وفاة والده فى ١٦ محرم عام ٨٥٥هـ الموافق ١٨ فبراير عام ١٤٥١م وكان عمره آنذاك ٢٢ سنة ولقد امتاز السلطان محمد الفاتح بشخصية فذة جمعت بين القوة والعدل كما أنه فاق أقرانه منذ حداثته فى كثير من العلوم التى كان يتلقاها فى مدرسة الأمراء خاصة معرفته لكثير من لغات عصره وميله الشديد لدراسة كتب التاريخ، مما ساعده فيما بعد على إبراز شخصيته فى الإدارة وميادين القتال حتى أنه اشتهر أخيراً فى التاريخ بلقب محمد الفاتح، لفتحه القسطنطينية. وقد انتهج المنهج الذى سار عليه والده وأجداده فى الفتوحات ولقد برز بعد توليه السلطة فى الدولة العثمانية بقيامه بإعادة تنظيم إدارات الدولة المختلفة، واهتم كثيراً بالأمور المالية فعمل على تحديد موارد الدولة وطرق الصرف منها بشكل يمنع الإسراف والبذخ أو الترف. وكذلك ركز على تطوير كتائب الجيش وأعاد تنظيمها ووضع سجلات خاصة بالجند، وزاد من مرتباتهم وأمدهم بأحدث الأسلحة المتوفرة فى ذلك العصر. وعمل على تطوير إدارة الأقاليم وأقر بعض الولاة السابقين فى أقاليمهم وعزل من ظهر منه تقصير أو إهمال وطور البلاط السلطانى وأمد الدولة بالخبرات الإدارية والعسكرية الجيدة مما ساهم فى استقرار الدولة والتقدم إلى الأمام وبعد أن قطع أشواطاً مثمرة فى الإصلاح الداخلى تطلع إلى المناطق المسيحية فى أوروبا لفتحها ونشر الإسلام فيها، ولقد ساعدته عوامل عدة فى تحقيق أهدافه، منها الضعف الذى وصلت إليه الإمبراطورية البيزنطية بسبب المنازعات مع الدول

الأوروبية الأخرى، وكذلك بسبب الخلافات الداخلية التى عمت جميع مناطقها وقبل محمد الفاتح كانت هناك عدة حملات جهادية مكثفة ضد الدولة البيزنطية، ولكنها لم تتمكن من الوصول إلى القسطنطينية نفسها وتهديدها مع أنها هزتها وأثرت على الأحداث داخلها، وبخاصة تلك الحملة التى تمت فى أيام هارون الرشيد سنة ١٩٠هـ.

وقد قامت فيما بعد عدة دويلات إسلامية فى آسيا الصغرى كان من أهمها دولة السلاجقة، التى امتدت سلطتها إلى آسيا الصغرى. كما أن زعيمها ألب أرسلان ٤٥٥- ٤٦٥هـ / ١٠٧٢-١٠٦٣م استطاع أن يهزم امبراطور الروم ديمونوس فى موقعة ملاذ كرد عام ٤٦٤هـ١٠٧٠/م ثم أسره وضربه وسجنه وبعد مدة أطلق سراحه بعد أن تعهد بدفع جزية سنوية للسلطان السلجوقى، وهذا يمثل خضوع جزء كبير من امبراطورية الروم للدولة الإسلامية السلجوقية وبعد ضعف دولة السلاجقة الكبرى ظهرت عدة دول سلجوقية كان منها دولة سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى والتى استطاعت مد سلطتها إلى سواحل بحر إيجه غربا وإضعاف الامبراطورية الرومانية.

وفى مطلع القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى خلف العثمانيون سلاجقة الروم وتجددت المحاولات الإسلامية لفتح القسطنطينية وكانت البداية حين جرت محاولة لفتحها فى أيام السلطان بايزيد " الصاعقة " الذى تمكنت قواته من محاصرتها بقوة سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٣م، وأخذ السلطان يفاوض الإمبراطور البيزنطى لتسليم المدينة سلماً إلى المسلمين، ولكنه أخذ يراوغ ويماطل ويحاول طلب المساعدات الأوربية لصد الهجوم الإسلامى عن القسطنطينية، وفى الوقت نفسه وصلت جيوش المغول يقودها تيمورلنك إلى داخل الأراضى العثمانية وأخذت تعيث فسادا، فاضطر السلطان بايزيد لسحب قواته وفك الحصار عن القسطنطينية لمواجهة المغول بنفسه ومعه بقية القوات العثمانية، حيث دارت بين الطرفين معركة أنقرة الشهيرة، والتى أسر فيها بايزيد الصاعقة ثم مات بعد ذلك فى الأسر سنة ١٤٠٢م وكان نتيجة ذلك ان تفككت الدولة العثمانية مؤقتا، وتوقف التفكير فى فتح القسطنطينية إلى حين.

وما إن استقرت الأحوال فى الدولة حتى عادت روح الجهاد من جديد ، ففى أيام السلطان مراد الثانى جرت عدة محاولات لفتح القسطنطينية وتمكنت جيوش العثمانيين فى أيامه من محاصرتها أكثرة من مرة ، وكان الإمبراطور البيزنطى فى أثناء تلك المحاولات يعمل على إيقاع الفتنة فى صفوف العثمانيين بدعم الخارجين على السلطان، وبهذه الطريقة نجح فى إشغاله عن هدفه الذى حرص عليه ، فلم يتمكن العثمانيون من تحقيق ما كانوا يطمحون إليه إلا فى زمن ابنه محمد الفاتح فيما بعد .

كان محمد الفاتح يمارس الأعمال السلطانية فى حياة أبيه ومنذ تلك الفترة وهو يعايش صراع الدولة البيزنطية فى الظروف المختلفة، كما كان على اطلاع تام بالمحاولات العثمانية السابقة لفتح القسطنطينية، بل ويعلم بما سبقها من محاولات متكررة فى العصور الإسلامية المختلفة، وبالتالى فمنذ أن ولى السلطنة العثمانية سنة ٨٥٥هـ الموافق ١٤٥١هـ م كان يتطلع إلى فتح القسطنطينية ويفكر فى فتحها ولقد ساهمت تربية العلماء على تنشئته على حب الإسلام والإيمان والعمل بالقرآن وسنة سيد الأنام ولذلك نشأ على حب الالتزام بالشريعة الإسلامية، واتصف بالتقى والورع، ومحبا للعلم والعلماء ومشجعا على نشر العلوم ويعود تدينه الرفيع للتربية الإسلامية الرشيدة التى تلقاها منذ الصغر ، بتوجيهات من والده ، وجهود الشخصيات العلمية القوية التى أشرفت على تربيته، وصفاء أولئك الأساتذة الكبار وعزوفهم عن الدنيا وابتعادهم عن الغرور ومجاهدتهم لأنفسهم ، ممن أشرفوا على رعايته.

لقد تأثر محمد الفاتح بالعلماء الربانيين منذ طفولته ومن أخصهم العالم الربانى "أحمد بن إسماعيل الكورانى" المشهود له بالفضيلة التامة، وكان مدرسه فى عهد السلطان "مراد الثانى" والد "الفاتح". وفى ذلك الوقت كان محمد الثانى -الفاتح- ، أميرا فى بلدة "مغنيسيا" وقد أرسل إليه والده عددا من المعلمين ولم يمتثل أمرهم ، ولم يقرأ شيئا ، حتى أنه لم يختم القرآن الكريم ، فطلب السلطان المذكور ، رجلا له مهابة وحدّة ، فذكروا له المولى "الكورانى" ، فجعله معلما لولده

وأعطاه قضيبا يضربه بذلك إذا خالف أمره . فذهب إليه، فدخل عليه والقضيب بيده، فقال: أرسلنى والدك للتعليم والضرب إذا خالفت أمرى، فضحك السلطان محمد خان من ذلك الكلام، فضربه المولى الكورانى فى ذلك المجلس ضربا شديداً، حتى خاف منه السلطان محمد خان، وختم القرآن فى مدة يسيرة".

هذه التربية الإسلامية الصادقة، وهؤلاء المربون الأفاضل، ممن كان منهم بالأخص هذا العالم الفاضل، ممن يمزق الأمر السلطانى إذا وجد به مخالفة للشرع أو لا ينحنى للسلطان، ويخاطبه باسمه، ويصافحه ولا يقبل يده، بل السلطان يقبل يده. من الطبيعى أن يتخرج من بين جنباتها أناس عظماء كمحمد الفاتح، وأن يكون مسلماً مؤمناً ملتزماً بحدود الشريعة، مقيداً بالأوامر والنواهى معظماً لها ومدافعاً عن إجراءات تطبيقها على نفسه أولاً ثم على رعيته، تقيّاً صالحاً يطلب الدعاء من العلماء العاملين الصالحين.

وبرز دور الشيخ شمس الدين فى تكوين شخصية محمد الفاتح وبث فيه منذ صغره أمرين هما:

١- مضاعفة حركة الجهاد العثمانية.

٢- الإيحاء دوماً لمحمد منذ صغره بأنه الأمير المقصود بالحديث النبوى: (لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش) لذلك كان الفاتح يطمع أن ينطبق عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكور.

بذل السلطان محمد الثانى جهوده المختلفة للتخطيط والترتيب لفتح القسطنطينية، وبذل فى ذلك جهوداً كبيرة فى تقوية الجيش العثمانى بالقوى البشرية حتى وصل تعداده إلى قرابة ربع مليون مجاهد وهذا عدد كبير مقارنة بجيوش الدول فى تلك الفترة، كما عنى عناية خاصة بتدريب تلك الجموع على فنون القتال المختلفة وبمختلف أنواع الأسلحة التى تؤهلهم للعملية الجهادية المنتظرة كما اعتنى الفاتح بإعدادهم إعداداً معنوياً قوياً وغرس روح الجهاد فيهم، وتذكيرهم بثناء الرسول صلى الله عليه وسلم على الجيش الذى يفتح

القسطنطينية وعسى أن يكونوا هم الجيش المقصود بذلك، مما أعطاهم قوة معنوية وشجاعة منقطعة النظير، كما كان لانتشار العلماء بين الجنود أثر كبير فى تقوية عزائم الجنود وربطهم بالجهاد الحقيقى وفق أوامر الله.

وقد اعتنى السلطان بإقامة قلعة روملى حصار فى الجانب الأوروبى على مضيق البسفور فى أضيق نقطة منه مقابل القلعة التى أسست فى عهد السلطان بايزيد فى البر الآسيوى، وقد حاول الإمبراطور البيزنطى ثنى السلطان الفاتح عن بناء القلعة مقابل التزامات مالية تعهد بها إلا أن الفاتح أصر على البناء لما يعلمه من أهمية عسكرية لهذا الموقع، حتى اكتملت قلعة عالية ومحصنة، وصل ارتفاعها إلى ٨٢ متراً وأصبحت القلعتان متقابلتين ولا يفصل بينهما سوى ٦٦٠م تتحكمان فى عبور السفن من شرقى البسفور إلى غربه وتستطيع نيران مدافعهما منع أية سفينة من الوصول إلى القسطنطينية من المناطق التى تقع شرقها مثل مملكة طرابزون وغيرها من الأماكن التى تستطيع دعم المدينة عند الحاجة.

أ- اهتمام السلطان بجمع الأسلحة اللازمة:

اعتنى السلطان عناية خاصة بجمع الأسلحة اللازمة لفتح القسطنطينية، ومن أهمها المدافع التى أخذت اهتماماً خاصاً منه حيث أحضر مهندساً مجرياً يدعى أوربان كان بارعاً فى صناعة المدافع فأحسن استقباله ووفر له جميع الإمكانيات المالية والمادية والبشرية، وقد تمكن هذا المهندس من تصميم وتنفيذ العديد من المدافع الضخمة كان على رأسها المدفع السلطانى المشهور، والذى ذكر أن وزنه كان يصل إلى مئات الأطنان وأنه يحتاج إلى مئات الثيران القوية لتحريكه، وقد أشرف السلطان بنفسه على صناعة هذه المدافع وتجريبها.

ويضاف إلى هذا الاستعداد ما بذله الفاتح من عناية خاصة بالأسطول العثمانى حيث عمل على تقويته وتزويده بالسفن المختلفة ليكون مؤهلاً للقيام بدوره فى الهجوم على القسطنطينية، تلك المدينة البحرية التى لا يكمل حصارها

دون وجود قوة بحرية تقوم بهذه المهمة وقد ذكر أن السفن التى أعدت لهذا الأمر بلغت أكثر من أربعمائة سفينة.

كما عمل الفاتح قبل هجومه على القسطنطينية على عقد معاهدات مع أعدائه المختلفين ليتفرغ لعدو واحد، فعقد معاهدة مع إمارة غلطة المجاورة للقسطنطينية من الشرق ويفصل بينهما مضيق القرن الذهبى، كما عقد معاهدات مع جنوة والبندقية وهما من الإمارات الأوروبية المجاورة، ولكن هذه المعاهدات لم تصمد حينما بدأ الهجوم الفعلى على القسطنطينية، حيث وصلت قوات من تلك المدن وغيرها للمشاركة فى الدفاع عن القسطنطينية مشاركة لبنى عقيدتهم من النصارى متناسين عهودهم ومواثيقهم مع المسلمين.

فى هذه الأثناء التى كان السلطان يعد العدة فيها للفتح استمات الإمبراطور البيزنطى فى محاولاته لثنيه عن هدفه، بتقديم الأموال والهدايا المختلفة إليه، وبمحاولة رشوة بعض مستشاريه ليؤثروا على قراره ولكن السلطان كان عازماً على تنفيذ مخططه ولم تثنه هذه الأمور عن هدفه، ولما رأى الإمبراطور البيزنطى شدة عزيمة السلطان على تنفيذ هدفه عمد إلى طلب المساعدات من مختلف الدول والمدن الأوروبية وعلى رأسها البابا زعيم المذهب الكاثوليكى، فى الوقت الذى كانت فيه كنائس الدولة البيزنطية وعلى رأسها القسطنطينية تابعة للكنيسة الأرثوذكسية وكان بينهما عداء شديد وقد اضطر الإمبراطور لمجاملة البابا بأن يتقرب إليه ويظهر له استعداده للعمل على توحيد الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية لتصبح خاضعة له، فى الوقت الذى لم يكن الأرثوذكس يرغبون فى ذلك، وقد قام البابا بناءً على ذلك بإرسال مندوب منه إلى القسطنطينية، خطب فى كنيسة آيا صوفيا ودعا للبابا وأعلن توحيد الكنيستين، مما أغضب جمهور الأرثوذكس فى المدينة، وجعلهم يقومون بحركة مضادة لهذا العمل الإمبراطورى الكاثوليكى المشترك، حتى قال بعض زعماء الأرثوذكس : إننى أفضل أن أشاهد فى ديار البيزنط عمائم الترك على أن أشاهد القبعة اللاتينية .

كانت القسطنطينية محاطة بالمياه البحرية من ثلاث جهات، مضيق البسفور ،

وبحر مرمرة ، والقرن الذهبى الذى كان محمياً بسلسلة ضخمة جداً تتحكم فى دخول السفن إليه، بالإضافة إلى ذلك فإن خطين من الأسوار كانت تحيطان بها من الناحية البرية من شاطئ بحر مرمرة الى القرن الذهبى، يتخللها نهر ليكوس، وكان بين السورين فضاء يبلغ عرضه ٦٠ قدماً ويرتفع السور الداخلى منها ٤٠ قدماً وعليه أبراج يصل ارتفاعها إلى ٦٠ قدماً ، أما السور الخارجى فيبلغ ارتفاعه قرابة خمس وعشرين قدماً وعليه أبراج موزعة مليئة بالجند، وبالتالى فإن المدينة من الناحية العسكرية تعد من أفضل مدن العالم تحصيناً، لما عليها من الأسوار والقلاع والحصون إضافة إلى التحصينات الطبيعية، وبالتالى فإنه يصعب اختراقها، ولذلك فقد استعصت على عشرات المحاولات العسكرية لاقتحامها ومنها إحدى عشرة محاولة إسلامية سابقة... كان السلطان الفاتح يكمل استعدادات فتح القسطنطينية ويعرف أخبارها ويجهز الخرائط اللازمة لحصارها، كما كان يقوم بنفسه بزيارات استطلاعية يشاهد فيها استحكامات القسطنطينية وأسوارها، وقد عمل السلطان على تمهيد الطريق بين أدرنة والقسطنطينية لكى تكون صالحة لجر المدافع العملاقة خلالها إلى القسطنطينية، وقد تحركت المدافع من أدرنة الى قرب القسطنطينية، فى مدة شهرين حيث تمت حمايتها بقسم من الجيش حتى وصلت الأجناد العثمانية يقودها الفاتح بنفسه الى مشارف القسطنطينية فى يوم الخميس ٢٦ ربيع الأول ٨٥٧هـ الموافق ٦ أبريل ١٤٥٣م ، فجمع الجند وكانوا قرابة مائتين وخمسين ألف جندى، فخطب فيهم خطبة قوية حثهم فيها على الجهاد وطلب النصر أو الشهادة ، وذكرهم فيها بالتضحية وصدق القتال عند اللقاء، وقرأ عليهم الآيات القرآنية التى تحث على ذلك، كما ذكر لهم الأحاديث النبوية التى تبشر بفتح القسطنطينية وفضل الجيش الفاتح لها وأميره، ومافى فتحها من عز للإسلام والمسلمين ، وقد بادر الجيش بالتهليل والتكبير والدعاء.

وفى اليوم التالى قام السلطان بتوزيع جيشه البرى أمام الأسوار الخارجية للمدينة، مشكلاً ثلاثة أقسام رئيسية تمكنت من إحكام الحصار البرى حول

مختلف الجهات، كما أقام الفاتح جيوشاً احتياطية خلف الجيوش الرئيسية، وعمل على نصب المدافع أمام الأسوار، ومن أهمها المدفع السلطانى العملاق الذى أقيم أمام باب طب قابى ، كما وضع فرقاً للمراقبة فى مختلف المواقع المرتفعة والقريبة من المدينة، وفى نفس الوقت انتشرت السفن العثمانية فى المياه المحيطة بالمدينة، إلا أنها لم تستطع الوصول الى القرن الذهبى بسبب وجود السلسلة الضخمة التى منعت أية سفينة من دخوله بل وتدمر كل سفينة تحاول الدنو والاقتراب، واستطاع الأسطول العثمانى أن يستولى على جزر الأمراء فى بحر مرمرة.

وحاول البيزنطيون أن يبذلوا قصارى جهدهم للدفاع عن القسطنطينية ووزعوا الجنود على الأسوار، وأحكموا التحصينات وأحكم الجيش العثمانى قبضته على المدينة، ولم يخل الأمر من وقوع قتال بين العثمانيين المهاجمين والبيزنطيين المدافعين منذ الأيام الأولى للحصار، وفتحت أبواب الشهادة وفاز عدد كبير من العثمانيين بها خصوصاً من الأفراد الموكلين بالاقتراب من الأبواب.

وكانت المدفعية العثمانية تطلق مدافعها من مواقع مختلفة نحو المدينة ، وكان لقذائفها ولصوتها الرهيب دور كبير فى إيقاع الرعب فى قلوب البيزنطيين وقد تمكنت من تحطيم بعض الأسوار حول المدينة، ولكن المدافعين كانوا سرعان ما يعيدون بناء الأسوار وترميمها.

ولم تنقطع المساعدات المسيحية من أوروبا ووصلت إمدادات من جنوة مكونة من خمس سفن وكان يقودها القائد الجنوى جستنيان يرافقه سبعمائة مقاتل متطوع من دول أوروبية متعددة واستطاعت سفنهم أن تصل إلى العاصمة البيزنطية العتيقة بعد مواجهة بحرية مع السفن العثمانية المحاصرة للمدينة وكان لوصول هذه القوة أثر كبير فى رفع معنويات البيزنطيين، وقد عين قائدها جستنيان قائداً للقوات المدافعة عن المدينة.

وقد حاولت القوات البحرية العثمانية تخطى السلسلة الضخمة التى تتحكم

فى مدخل القرن الذهبى والوصول بالسفن الإسلامية إليه، وأطلقوا سهامهم على السفن الأوروبية والبيزنطية ولكنهم فشلوا فى تحقيق مرادهم فى البداية وارتفعت الروح المعنوية للمدافعين عن المدينة.

ولم يكل القس ورجال الدين النصارى، فكانوا يطوفون بشوارع المدينة، وأماكن التحصين ويحرضون المسيحيين على الثبات والصبر، ويشجعون الناس على الذهاب الى الكنائس ودعاء المسيح والسيدة العذراء أن يخلصا المدينة، وأخذ الإمبراطور قسطنطين يتردد بنفسه على كنيسة أيا صوفيا لهذا الهدف.

استبسل العثمانيون المهاجمون على المدينة وعلى رأسهم محمد الفاتح وصمد البيزنطيون بقيادة قسطنطين صموداً بطولياً فى الدفاع وحاول الإمبراطور البيزنطى أن يخلص مدينته وشعبه بكل ما يستطيع من حيلة، فقدم عروضاً مختلفة للسلطان ليغريه بالانسحاب مقابل الأموال أو الطاعة، أو غير ذلك من العروض التى قدمها ، ولكن الفاتح رحمه الله يرد بالمقابل طالباً تسليم المدينة ، وأنه فى هذه الحالة لن يتعرض أحد من أهلها ولا كنائسها للأذى، وكان مضمون الرسالة: فليسلم لى إمبراطور مدينة القسطنطينية وأقسم بأن جيشى لن يتعرض لأحد فى نفسه وماله وعرضه ومن شاء بقى فى المدينة وعاش فيها فى أمن وسلام ومن شاء رحل عنها حيث أراد فى أمن وسلام أيضاً.

كان الحصار لايزال ناقصاً ببقاء مضيق القرن الذهبى فى أيدى البحرية البيزنطية، ومع ذلك فإن الهجوم العثمانى كان مستمراً دون هوادة حيث أظهر جنود الانكشارية شجاعة فائقة، وبسالة نادرة، فكانوا يقدمون على الموت دون خوف فى أعقاب كل قصف مدفعى، وفى يوم ١٨ أبريل تمكنت المدافع العثمانية من فتح ثغرة فى الأسوار البيزنطية عند وادى ليكوس فى الجزء الغربى من الأسوار ، فاندفع إليها الجنود العثمانيون بكل بسالة محاولين اقتحام المدينة من الثغرة، كما حاولوا اقتحام الأسوار الأخرى بالسلالم التى ألقوها عليها، ولكن المدافعين عن المدينة بقيادة جستنيان استماتوا فى الدفاع عن الثغرة والأسوار، واشتد القتال بين الطرفين ، وكانت الثغرة ضيقة وكثرة السهام والنبال

والمقذوفات على الجنود المسلمين، ومع ضيق المكان وشدة مقاومة الأعداء وحلول الظلام أصدر الفاتح أوامره للمهاجمين بالانسحاب بعد أن أثاروا الرعب فى قلوب أعدائهم متحينين فرصة أخرى للهجوم.

وفى اليوم نفسه حاولت بعض السفن العثمانية اقتحام القرن الذهبى بتحطيم السلسلة الحاجزة عنه، ولكن السفن البيزنطية والأوروبية المشتركة، إضافة الى الفرق الدفاعية المتمركزة خلف السلسلة الضخمة من المدافعين عند مدخل الخليج، استطاعوا جميعاً صد السفن الإسلامية وتدمير بعضها، فاضطرت بقية السفن إلى العودة بعد أن فشلت فى تحقيق مهمتها.

بعد هذه المعركة بيومين وقعت معركة أخرى بين البحرية العثمانية وبعض السفن الأوروبية التى حاولت الوصول إلى الخليج، حيث بذلت السفن الإسلامية جهوداً كبيرة لمنعها ، وأشرف الفاتح بنفسه على المعركة من على الساحل وكان قد أرسل إلى قائد الأسطول وقال له: إما أن تستولى على هذه السفن وإما أن تغرقها، وإذا لم توفق فى ذلك فلا ترجع إلينا حياً لكن السفن الأوروبية نجحت فى الوصول إلى هدفها ولم تتمكن السفن العثمانية من منعها، رغم الجهود العظيمة المبذولة لذلك وبالتالى غضب السلطان محمد الفاتح غضباً شديداً فعزل قائد الأسطول بعد ما رجع إلى مقر قيادته فاستدعاه وعنف محمد الفاتح قائد الأسطول بالطه أوغلى واتهمه بالجبن، وتأثر بالطة أوغلى لهذا وقال: إنى استقبل الموت بجنان ثابت، ولكن يؤلمنى أن أموت وأنا متهم بمثل هذه التهمة. لقد قاتلت أنا ورجالى بكل ماكان فى وسعنا من حيلة وقوة، ورفع طرف عمامته عن عينه المصابة.

أدرك محمد الفاتح عند ذلك أن الرجل قد أعذر، فتركه ينصرف واكتفى بعزله من منصبه، وجعل مكانه حمزة باشا.

لقد ذكرت كتب التاريخ أن السلطان محمد الفاتح كان يراقب هذه المعارك البحرية وهو على جواده وقد اندفع نحو البحر حتى غاص حصانه إلى صدره

وكانت السفن المتقاتلة على مرمى حجر منه فأخذ يصيح لبطله أوغلى بأعلى صوته: ياقبطان! ياقبطان! ويلوح له بيده، وضاعف العثمانيون جهودهم فى الهجوم دون أن يؤثروا فى السفن تأثيراً بينا.

كانت للهزائم البحرية للأسطول العثمانى دور كبير فى محاولة بعض مستشارى السلطان وعلى رأسهم الوزير خليل باشا اقناعه بالعدول عن الاستيلاء على القسطنطينية والرضا بمصالحة أهلها دون السيطرة عليها وبالتالى رفع الحصار عنها، ولكن السلطان أصر على محاولة الفتح واستمر فى قصف دفاعات المدينة بالمدافع من كل جانب ، وفى الوقت نفسه كان يفكر بجدية فى إدخال السفن الإسلامية إلى القرن الذهبى ، خصوصاً أن الأسوار من ناحية القرن الذهبى متهاوية، وبالتالى سيضطر البيزنطيون إلى سحب بعض قواتهم المدافعة عن الأسوار الغربية من المدينة وبهذا التفريق للقوات المدافعة ستتهيأ فرصة أكبر فى الهجوم على تلك الأسوار بعد أن ينقص عدد المدافعين عنها.

ولاحت للسلطان فكرة بارعة وهى نقل السفن من مرساها فى بشكطاش إلى القرن الذهبى، وذلك بجرها على الطريق البرى الواقع بين الميناءين مبتعداً عن حى غلطة خوفاً على سفنه من الجنوبيين، وقد كانت المسافة بين الميناء نحو ثلاثة أميال، ولم تكن أرضاً مبسوطة سهلة ولكنها كانت وهاداً وتلالاً غير ممهدة.

جمع محمد الفاتح أركان حربه وعرض عليهم فكرته، وحدد لهم مكان معركته القادمة، فتلقى منهم كل تشجيع، وأعربوا عن إعجابهم بها.

بدأ تنفيذ الخطة، وأمر السلطان محمد الثانى فمهدت الأرض وسويت فى ساعات قليلة وأتى بألواح من الخشب دهنت بالزيت والشحم، ثم وضعت على الطريق الممهد بطريقة يسهل بها انزلاج السفن وجرها، وكان أصعب جزء من المشروع هو نقل السفن على انحدار التلال المرتفعة، الا أنه بصفة عامة كانت السفن العثمانية صغيرة الحجم خفيفة الوزن.

وجرت السفن من البسفور إلى البر حيث سحبت على تلك الأخشاب المدهونة

بالزيت مسافة ثلاثة أميال ، حتى وصلت إلى نقطة آمنة فأنزلت فى القرن الذهبى، وتمكن العثمانيون فى تلك الليلة من سحب أكثر من سبعين سفينة وإنزالها فى القرن الذهبى على حين غفلة من العدو، بطريقة لم يسبق إليها السلطان الفاتح قبل ذلك ، وقد كان يشرف بنفسه على العملية التى جرت فى الليل بعيداً عن أنظار العدو ومراقبته.

كان هذا العمل عظيماً بالنسبة للعصر الذى حدث فيه بل معجزة من المعجزات ، تجلى فيه سرعة التفكير وسرعة التنفيذ، مما يدل على عقلية العثمانيين الممتازة، ومهارتهم الفائقة وهمتهم العظيمة. لقد دهش الروم دهشة كبرى عندما علموا بها، فما كان أحد ليستطيع تصديق ما تم. لكن الواقع المشاهد جعلهم يذعنون لهذه الخطة الباهرة.

ولقد كان منظر هذه السفن بأشرعتها المرفوعة تسير وسط الحقول كما لو كانت تمخر عباب البحر من أعجب المناظر وأكثرها إثارة ودهشة. ويرجع الفضل فى ذلك إلى الله سبحانه وتعالى ثم إلى همة السلطان وذكائه المفرط، وعقليته الجبارة ، وإلى مقدرة المهندسين العثمانيين، وتوافر الأيدى العاملة التى قامت بتنفيذ ذلك المشروع الضخم بحماس ونشاط.

وقد تم كل ذلك فى ليلة واحدة واستيقظ أهل المدينة البائسة صباح يوم ٢٢ أبريل على تكبيرات العثمانيين المدوية، وهتافاتهم المتصاعدة، وأناشيدهم الإيمانية العالية، فى القرن الذهبى، وفوجئوا بالسفن العثمانية وهى تسيطر على ذلك المعبر المائى، ولم يعد هناك حاجز مائى بين المدافعين عن القسطنطينية وبين الجنود العثمانيين، ولقد عبر أحد المؤرخين البيزنطيين عن عجبه من هذا العمل فقال: ما رأينا ولا سمعنا من قبل بمثل هذا الشىء الخارق، محمد الفاتح يحول الأرض إلى بحار وتعبر سفنه فوق قمم الجبال بدلاً من الأمواج، لقد فاق محمد الثانى بهذا العمل الإسكندر الأكبر.

ظهر اليأس فى أهل القسطنطينية وكثرت الإشاعات والتنبؤات بينهم،

وانتشرت شائعة تقول: ستسقط القسطنطينية عندما تُرى سفن تمخر اليابسة" .

وكان لوجود السفن الإسلامية فى القرن الذهبى دور كبير فى إضعاف الروح المعنوية لدى المدافعين عن المدينة الذين اضطروا لسحب قوات كبيرة من المدافعين عن الأسوار الأخرى لكى يتولوا الدفاع عن الأسوار الواقعة على القرن الذهبى إذ إنها كانت أضعف الأسوار ، ولكنها فى السابق تحميها المياه، مما أوقع الخلل فى الدفاع عن الأسوار الأخرى.

وقد حاول الإمبراطور البيزنطى تنظيم أكثر من عملية لتدمير الأسطول العثمانى فى القرن الذهبى إلا أن محاولته المستميتة كان العثمانيون لها بالمرصاد حيث أفشلوا كل الخطط والمحاولات.

واستمر العثمانيون فى دك نقاط دفاع المدينة وأسوارها بالمدافع، وحاولوا تسلُّق أسوارها، وفى الوقت نفسه انشغل المدافعون عن المدينة فى بناء وترميم ما يتهدم من أسوار مدينتهم ورد المحاولات المكثفة لتسلق الأسوار مع استمرار الحصار عليهم مما زاد فى مشقتهم وتعبهم وإرهاقهم وشغل ليلهم مع نهارهم وأصابهم اليأس.

كما وضع العثمانيون مدافع خاصة على الهضاب المجاورة للبسفور والقرن الذهبى، مهمتها تدمير السفن البيزنطية والمتعاونة معها فى القرن الذهبى والبسفور والمياه المجاورة مما عرقل حركة سفن الأعداء وأصابها بالشلل تماماً.

عقد الملك قسطنطين ومعاونوه ومستشاروه فى المدينة اجتماعاً، فأشاروا عليه بالخروج بنفسه من المدينة والتوجه لطلب النجدات من الأمم المسيحية، والدول الأوروبية ، ربما تأتى الجيوش النصرانية ، فيضطر محمد الفاتح لرفع الحصار عن مدينتهم، ولكنه رفض هذا الرأى وأصر على أن يقاوم إلى آخر لحظة ولايترك شعبه فى المدينة حتى يكون مصيره ومصيرهم واحداً، وأنه يعتبر هذا واجبه المقدس وأمرهم ألا ينصحوه بالخروج أبداً واكتفى بإرسال وفود تمثله إلى مختلف أنحاء أوروبا لطلب المساعدة ورجعت تلك الوفود تجر خلفها أذيال الخيبة

وكانت الأجهزة الاستخباراتية للدولة العثمانية قد اخترقت القسطنطينية وما حولها بحيث أصبحت القيادة العثمانية على علم تام بما يدور حولها.

ضاعف السلطان محمد الثانى الهجوم على الأسوار وجعله مركزاً وعنيفاً، ضمن خطة أعدها بنفسه أيضاً لإضعاف العدو، وكررت القوات العثمانية عملية الهجوم على الأسوار ومحاولة تسلقها مرات عديدة بصورة بطولية بلغت غاية عظيمة من الشجاعة والتضحية والتفانى ، وكان أكثر ما يرعب جنود الإمبراطور قسطنطين صيحاتهم وهى تشق عنان السماء وتقول: الله أكبر الله أكبر فتنزل عليهم كالصواعق المدمرة.

وشرع السلطان محمد الفاتح فى نصب المدافع القوية على الهضاب الواقعة خلف غلطة، وبدأت هذه المدافع فى دفع قذائفها الكثيفة نحو الميناء وأصابت احدى القذائف سفينة تجارية فأغرقتها فى الحال، فخافت السفن الأخرى واضطرت للفرار، واتخذت من أسوار غلطة ملجأ لها، وظل الهجوم العثمانى البرى فى موجات خاطفة وسريعة هجمة تلو الأخرى وكان السلطان محمد الفاتح يوالى الهجمات وإطلاق القذائف فى البر والبحر دون انقطاع ليلاً ونهاراً من أجل إنهاك قوى المحاصرين، وعدم تمكينهم من أن ينالوا أى قسط من راحة وهدوء بال، وهكذا أصبحت عزائمهم ضعيفة ونفوسهم مرهقة كليلة، وأعصابهم متوترة مجهودة تثور لأى سبب، وأصبح كل واحد من الجنود ينظر إلى صاحبه ويلاحظ على وجهه علامات الذل والهزيمة والفشل، وشرعوا يتحدثون علناً عن طرق النجاة والإفلات بأرواحهم وما يتوقعونه من العثمانيين إذا ما اقتحموا عليهم مدينتهم.

واضطر الإمبراطور قسطنطين إلى عقد مؤتمر ثان، اقترح فيه أحد القادة مباغتة العثمانيين بهجوم شديد عنيف لفتح ثغرة توصلهم بالعالم الخارجى وبينما هم فى مجلسهم يتدارسون هذا الاقتراح، قطع عليهم أحد الجنود اجتماعهم وأعلمهم بأن العثمانيين شنوا هجوماً شديداً مكثفاً على وادى ليكونس، فترك قسطنطين الاجتماع ووثب على فرسه، واستدعى الجند الاحتياطى ودفع بهم إلى مكان القتال، واستمر القتال إلى آخر الليل حتى انسحب العثمانيون.

وكان السلطان محمد -رحمه الله- يفاجئ عدوه من حين لآخر بفن جديد من فنون القتال والحصار، وحرب الأعصاب وبأساليب جديدة وطرق حديثة مبتكرة غير معروفة للعدو.

ففى المراحل المتقدمة من الحصار لجأ العثمانيون إلى طريقة عجيبة فى محاولة دخول المدينة حيث عملوا على حفر أنفاق تحت الأرض من مناطق مختلفة إلى داخل المدينة وسمع سكانها ضربات شديدة تحت الأرض أخذت تقترب من داخل المدينة بالتدريج، فأسرع الإمبراطور بنفسه ومعه قواده ومستشاروه إلى ناحية الصوت وأدركوا أن العثمانيين يقومون بحفر أنفاق تحت الأرض، للوصول إلى داخل المدينة، فقرر المدافعون الإعداد لمواجهتها بحفر أنفاق مماثلة مقابل أنفاق المهاجمين لمواجهتهم دون أن يعلموا، حتى إذا وصل العثمانيون إلى الأنفاق التى أعدت لهم ظنوا أنهم وصلوا إلى سراديب خاصة وسرية تؤدى إلى داخل المدينة ففرحوا بهذا، ولكن الفرحة لم تطل إذ فاجأهم الروم، فصبوا عليهم ألسنة النيران والنفط المحترق والمواد الملتهبة ، فاختنق كثير منهم واحترق قسم آخر وعاد الناجون منهم أدراجهم من حيث أتوا.

لكن هذا الفشل لم يفت فى عضد العثمانيين ، فعاودوا حفر أنفاق أخرى ، وفى مواضع مختلفة، من المنطقة الممتدة بين أكرى فبو وشاطئ القرن الذهبى وكانت مكاناً ملائماً للقيام بمثل هذا العمل، وظلوا على ذلك حتى أواخر أيام الحصار وقد أصاب أهل القسطنطينية من جراء ذلك خوف عظيم وفزع لايوصف حتى صاروا يتوهمون أن أصوات أقدامهم وهم يمشون إن هى أصوات خفية لحفر يقوم به العثمانيون، وكثيراً ما كان يخيل لهم أ ن الأرض ستنشق ويخرج منها الجند العثمانيون ويملأون المدينة ، فكانوا يتلفتون يمنة ويسرة، ويشيرون هنا وهناك فى فزع ويقولون : هذا تركى ، ....هذا تركى ويجرون هرباً من أشباح يحسبونها أنها تطاردهم ، وكثيراً ماكان يحدث أن تتناقل العامة الإشاعة فتصبح كأنها حقيقة واقعة رآها أحدهم بعينى رأسه وهكذا داخل سكان القسطنطينية فزع شديد أذهب وعيهم، حتى لكأنهم سكارى وماهم بسكارى ،

فريق يجرى، وفريق يتأمل السماء، ومجموعة تتفحص الأرض، والبعض ينظر فى وجوه البعض الآخر فى عصبية زائدة وفشل ذريع.

ولم يكن عمل العثمايين هذا سهلاً ، فإن هذه الأنفاق التى حفروها قد أودت بحياة كثير منهم، فماتوا اختناقاً واحتراقاً فى باطن الأرض، كما وقع الكثير منهم فى بعض هذه المحاولات فى أسر الروم، فقطعت رؤوسهم وقذف بها إلى معسكر العثمانيين.

لجأ العثمانيون إلى أسلوب جديد فى محاولة الاقتحام وذلك بأن صنعوا قلعة خشبية ضخمة شامخة متحركة تتكون من ثلاثة أدوار، وبارتفاع أعلى من الأسوار، وقد كسيت بالدروع والجلود المبللة بالماء لتمنع عنها النيران، وأعدت تلك القلعة بالرجال فى كل دور من أدوارها ، وكان الذين فى الدور العلوى من الرماة يقذفون بالنبال كل من يطل برأسه من فوق الأسوار، وقد وقع الرعب فى قلوب المدافعين عن المدينة حينما زحف العثمانيون بهذه القلعة واقتربوا بها من الأسوار عند باب رومانوس، فاتجه الإمبراطور بنفسه ومعه قواده ليتابع صد تلك القلعة ودفعها عن الأسوار، وقد تمكن العثمانيون من لصقها بالأسوار ودار بين من فيها وبين النصارى عند الأسوار قتال شديد واستطاع بعض المسلمين ممن فى القلعة تسلق الأسوار ونجحوا فى ذلك، وقد ظن قسطنطين أن الهزيمة حلت به، إلا أن المدافعين كثفوا من قذف القلعة بالنيران حتى أثرت فيها وتمكنت منها النيران فاحترقت، ووقعت على الأبراج البيزنطية المجاورة لها فقتلت من فيها من المدافعين، وامتلأ الخندق المجاور لها بالحجارة والتراب.

ولم ييأس العثمانيون من المحاولة بل قال الفاتح وكان يشرف بنفسه على ما وقع: غداً نصنع أربعاً أخرى.

زاد الحصار وقوى واشتد حتى أرهق من بداخل المدينة من البيزنطيين، فعقد زعماء المدينة اجتماعاً ٢٤ مايو داخل قصر الإمبراطور وبحضوره شخصياً، وقد لاح فى الأفق بوادر يأس المجتمعين من إنقاذ المدينة حيث اقترح بعضهم على

الإمبراطور الخروج بنفسه قبل سقوط المدينة لكى يحاول جمع المساعدات والنجدات لإنقاذها أو استعادتها بعد السقوط، ولكن الإمبراطور رفض ذلك مرة أخرى وأصر على البقاء داخل المدينة والاستمرار فى قيادة شعبه وخرج لتفقد الأسوار والتحصينات.

وأخذت الإشاعات تهيمن على المدينة وتضعف من مقاومة المدافعين عنها، وكان من أقواها عليهم ما حدث فى يوم ١٦ جمادى الأولى الموافق ٢٥ مايو، حيث حمل أهل المدينة تمثالاً للسيدة مريم العذراء بزعمهم، وأخذوا يتجولون به فى ضواحى المدينة، يدعونه ويتضرعون الى العذراء أن تنصرهم على أعدائهم، وفجأة سقط التمثال من أيديهم وتحطم، فرأوا فى ذلك شؤما ونذيراً بالخطر، وتأثر سكان المدينة وخصوصاً المدافعين عنها، وحدث فى اليوم التالى ٢٦ مايو هطول أمطار غزيرة مصحوبة ببعض الصواعق، ونزلت إحدى الصواعق على كنيسة آيا صوفيا، فتشاءم البطريرك ، وذهب الى الإمبراطور وأخبره أن الله تخلى عنهم وأن المدينة ستسقط فى يد المجاهدين العثمانيين، فتأثر الإمبراطور حتى أغمى عليه.

وكانت المدفعية العثمانية لا تنفك عن عملها فى دك الأسوار والتحصينات، وتهدمت أجزاء كثيرة من السور والأبراج وامتلأت الخنادق بالأنقاض، التى يئس المدافعون من إزالتها وأصبحت إمكانية اقتحام المدينة واردة فى أية لحظة، إلا أن اختيار موقع الاقتحام لم يحدد بعد.

أيقن محمد الفاتح أن المدينة على وشك السقوط، ومع ذلك حاول أن يكون دخولها بسلام؛ فكتب إلى الإمبراطور رسالة دعاه فيه إلى تسليم المدينة دون إراقة دماء، وعرض عليه تأمين خروجه وعائلته وأعوانه وكل من يرغب من سكان المدينة إلى حيث يشاؤون بأمان، وأن تحقن دماء الناس فى المدينة ولا يتعرضوا لأى أذى ويكونوا بالخيار فى البقاء فى المدينة أو الرحيل عنها، ولما وصلت الرسالة إلى الإمبراطور جمع المستشارين وعرض عليهم الأمر ، فمال بعضهم الى التسليم وأصر آخرون على استمرار الدفاع عن المدينة حتى الموت، فمال

الإمبراطور إلى رأى القائلين بالقتال حتى آخر لحظة، فرد الإمبراطور رسول الفاتح برسالة قال فيها: إنه يشكر الله إذ جنح السلطان إلى السلم وأنه يرضى أن يدفع له الجزية أما القسطنطينية فإنه أقسم أن يدافع عنها إلى آخر نفس فى حياته فإما أن يحفظ عرشه او يدفن تحت أسوارها، فلما وصلت الرسالة إلى الفاتح قال: حسناً عن قريب سيكون لى فى القسطنطينية عرش أو يكون لى فيها قبر.

وعمد السلطان بعد اليأس من تسليم المدينة صلحاً إلى تكثيف الهجوم وخصوصاً القصف المدفعى على المدينة، حتى أن المدفع السلطانى الضخم انفجر من كثرة الاستخدام، وقتل المشتغلون عليه وعلى رأسهم المهندس المجرى أوربان الذى تولى الإشراف على تصميم المدفع، ومع ذلك فقد وجه السلطان بإجراء عمليات التبريد للمدافع بزيت الزيتون، وقد نجح الفنيون فى ذلك ، وواصلت المدافع قصفها للمدينة مرة أخرى، بل تمكنت من توجيه القذائف بحيث تسقط وسط المدينة بالإضافة الى ضربها للأسوار والقلاع.

عقد السلطان محمد الفاتح اجتماعاً ضم مستشاريه وكبار قواده بالإضافة إلى الشيوخ والعلماء، وقد طلب الفاتح من المجتمعين الإدلاء بآرائهم بكل صراحة دون تردد، فأشار بعضهم بالانسحاب ومنهم الوزير خليل باشا الذى دعا إلى الانسحاب وعدم إراقة الدماء والتحذير من غضب أوروبا النصرانية فيما لو استولى المسلمون على المدينة، إلى غير ذلك من المبررات التى طرحها، وكان متهماً بمواطأة البيزنطيين ومحاولة التخذيل عنهم، وقد قام بعض الحضور بتشجيع السلطان على مواصلة الهجوم على المدينة حتى الفتح واستهان بأوروبا وقواتها، كما أشار إلى تحمس الجند لإتمام الفتح، وما فى التراجع من تحطيم لمعنوياتهم الجهادية، وكان من هؤلاء أحد القواد الشجعان ويدعى زوغنوش باشا وهو من أصل ألبانى كان نصرانياً فأسلم حيث هون من شأن القوات الأوروبية على السلطان.

وذكرت كتب التاريخ موقف زوغنوش باشا فقالت: ما إن سأله السلطان الفاتح

عن رأيه حتى استوفز فى قعدته وصاح فى لغة تركية تشوبها لكنة أرناؤوطية: حاشا وكلا أيها السلطان، أنا لا أقبل أبداً ما قاله خليل باشا، فما أتينا هنا إلا لنموت لا لنرجع. وأحدث هذا الاستهلال وقعاً عميقاً فى نفوس الحاضرين، وخيم السكون على المجلس لحظة ثم واصل زوغنوش باشا كلامه فقال: إن خليل باشا أراد بما قاله أن يخمد فيكم نار الحمية ويقتل الشجاعة ولكنه لن يبوء إلا بالخيبة والخسران. إن جيش الإسكندر الكبير الذى قام من اليونان وزحف إلى الهند وقهر نصف آسيا الكبيرة الواسعة لم يكن أكبر من جيشنا فإن كان ذلك الجيش استطاع أن يستولى على تلك الأراضى العظيمة الواسعة أفلا يستطيع جيشنا أن يتخطى هذه الكومة من الأحجار المتراكمة، وقد أعلن خليل باشا أن دول الغرب ستزحف إلينا وتنتقم ولكن ما الدول الغربية هذه؟ وهل هى الدول اللاتينية التى شغلها ما بينها من خصام وتنافس، هل هى دول البحر المتوسط التى لاتقدر على شىء غير القرصنة واللصوصية؟ ولو أن تلك الدول أرادت نصرة بيزنطة لفعلت وأرسلت إليها الجند والسفن، ولنفرض أن أهل الغرب بعد فتحنا القسطنطينية هبوا إلى الحرب وقاتلونا فهل سنقف منهم مكتوفى الأيدى بغير حراك، أو ليس لنا جيش يدافع عن كرامتنا وشرفنا؟

يا صاحب السلطنة ، أما وقد سألتنى رأيى فلأعلنها كلمة صريحة، يجب أن تكون قلوبنا كالصخر ، ويجب أن نواصل الحرب دون أن يظهر علينا أقل ضعف أو خور، لقد بدأنا أمراً فواجب علينا أن نتمه، ويجب أن نزيد هجماتنا قوة وشدة ونفتح ثغرات جديدة وننقض على العدو بشجاعة. لا أعرف شيئاً غير هذا، ولا أستطيع أن أقول شيئاً غير هذا .

وبدأت على وجه الفاتح أمارات البشر والانشراح لسماع هذا القول، والتفت إلى القائد طرخان يسأله رأيه فأجاب على الفور : إن زوغنوش باشا قد أصاب فيما قال وأنا على رأيه ياسلطانى. ثم سأل الشيخ آق شمس الدين والمولى الكورانى عن رأيهما. وكان الفاتح يثق بهما كل الثقة فأجابا أنهما على رأى

زوغنوش باشا وقالا: يجب الاستمرار فى الحرب، وبالغاية الصمدانية سيكون لنا النصر والظفر.

وسرت الحمية والحماس فى جميع الحاضرين وابتهج السلطان **الفاتح** واستبشر بدعاء الشيخين بالنصر والظفر ولم يملك نفسه من القول: **من كان** من أجدادى فى مثل قوتى؟

لقد أيد العلماء الرأى القائل بمواصلة الجهاد كما فرح السلطان حيث **كان** يعبر عن رأيه ورغبته فى مواصلة الهجوم حتى الفتح، وانتهى الاجتماع **بتعليمات** من السلطان أن الهجوم العام والتعليمات باقتحام المدينة باتت وشيكة وسيأمر بها فور ظهور الفرصة المناسبة وأن على الجنود الاستعداد لذلك.

فى يوم الأحد ١٨ جمادى الأولى ٢٧ من مايو وجه السلطان محمد الفاتح الجنود إلى الخشوع وتطهير النفوس والتقرب إلى الله تعالى بالصلاة وعموم الطاعات والتذلل والدعاء بين يديه، لعل الله أن ييسر لهم الفتح، وانتشر هذا الأمر بين عامة المسلمين، كما قام الفاتح بنفسه ذلك اليوم بتفقد أسوار المدينة ومعرفة آخر أحوالها، وما وصلت إليه وأوضاع المدافعين عنها فى النقاط المختلفة، وحدد مواقع معينة يتم فيها تركيز القصف العثمانى، تفقد فيها أحوالهم وحثهم على الجد والتضحية فى قتال الأعداء، كما بعث إلى آل غلطة التى وقفت على الحياد مؤكدا عليهم عدم التدخل فيما سيحدث ضامنا لهم الوفاء بعهده معهم، وأنه سيعوضهم عن كل ما يخسرونه من جراء ما يحدث. وفى مساء اليوم نفسه أوقد العثمانيون ناراً كثيفة حول معسكرهم وتعالت صيحاتهم وأصواتهم بالتهليل والتكبير، حتى خيل للروم أن النار قد اندلعت فى معسكر العثمانيين، فإذا بهم يكتشفون أن العثمانيين يحتفلون بالنصر مقدما، مما أوقع الرعب فى قلوب الروم، وفى اليوم التالى ٢٨ مايو كانت الاستعدادات العثمانية على أشدها والمدافع ترمى البيزنط بنيرانها، والسلطان يدور بنفسه على المواقع العسكرية المختلفة متفقدا وموجها ومذكرا بالإخلاص والدعاء والتضحية والجهاد.

وكان الفاتح كلما مر بجمع من جنده خطبهم وأثار فيهم الحمية والحماس ، وأبان لهم أنهم بفتح القسطنطينية سينالون الشرف العظيم والمجد الخالد ، والثواب الجزيل من الله تعالى وستسد دسائس هذه المدينة التى طالما مالأت عليهم الأعداء والمتآمرين وسيكون لأول جندى ينصب راية الإسلام على سور القسطنطينية الجزاء الأوفى والإقطاعات الواسعة.

وكان علماء المسلمين وشيوخهم يتجولون بين الجنود ويقرأون على المجاهدين آيات الجهاد والقتال وسورة الأنفال ، ويذكرونهم بفضل الشهادة فى سبيل الله وبالشهداء السابقين حول القسطنطينية وعلى رأسهم أبو أيوب الأنصارى ويقولون للمجاهدين : لقد نزل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عند هجرته إلى المدينة فى دار أبى أيوب الأنصارى ، وقد قصد أبو أيوب إلى هذه البقعة ونزل هنا ، وكان هذا القول يلهب الجند ويبعث فى نفوسهم أشد الحماس والحمية.

وبعد أن عاد الفاتح إلى خيمته ودعا إليه كبار رجال جيشه أصدر إليهم التعليمات الأخيرة ، ثم ألقى عليهم الخطبة التالية: "إذا تم لنا فتح القسطنطينية تحقق فينا حديث من أحاديث رسول الله ومعجزة من معجزاته وسيكون من حظنا ما أشاد به هذا الحديث من التمجيد والتقدير فأبلغوا أبناءنا العساكر فردا فردا، أن الظفر العظيم الذى سنحرزه سيزيد الإسلام قدرا وشرفا ، ويجب على كل جندى أن يجعل تعاليم شريعتنا الغراء نصب عينيه فلا يصدر عن أحد منهم ما يجافى هذه التعاليم ، وليتجنبوا الكنائس والمعابد ولا يمسوها بأذى ، ويدعوا القسس والضعفاء والعجزة الذين لا يقاتلون .

وفى هذا الوقت كان الإمبراطور البيزنطى يجمع الناس فى المدينة لإقامة ابتهال عام دعا فيه الرجال والنساء والصبيان للدعاء والتضرع والبكاء فى الكنائس على طريقة النصارى لعله أن يستجاب لهم فتنجو المدينة من هذا الحصار ، وقد خطب فيهم الإمبراطور خطبة بليغة كانت آخر خطبة خطبها ، حيث أكد عليهم بالدفاع عن المدينة حتى لو مات هو ، والاستماتة فى حماية

النصرانية أمام المسلمين العثمانيين ، وكانت خطبة رائعة كما يقول المؤرخون أبكت الجميع من الحاضرين ، كما صلى الإمبراطور ومن معه من النصارى الصلاة الأخيرة فى كنيسة آياصوفيا أقدس الكنائس عندهم ثم قصد الإمبراطور قصره يزوره الزيارة الأخيرة فودع جميع من فيه واستصفحهم وكان مشهدا مؤثرا وقد كتب مؤرخو النصارى عن هذا المشهد ، فقال من حضره، لو أن شخصا قلبه من خشب أو صخر لفاضت عيناه بالدموع لهذا المنظر.

وتوجه قسطنطين نحو صورة يزعمون أنها صورة المسيح معلقة فى أحد الغرف فركع تحتها وهمهم ببعض الدعوات ثم نهض ولبس المغفر على رأسه وخرج من القصر عند نحو منتصف الليل مع زميله ورفيقه وأمينه المؤرخ فرانتزتس ثم قاما برحلة تفقدية لقوات النصارى المدافعة ولاحظوا حركة الجيش العثمانى النشطة المتوثبة للهجوم البرى والبحرى . وقبيل ذلك الليل بقليل رذت السماء رذا خفيفا كأنما كانت ترش الأرض رشا فخرج السلطان الفاتح من خيمته ورفع بصره إلى السماء وقال: لقد أولانا الله رحمته وعنايته فأنزل هذا المطر المبارك فى أوانه فإنه سيذهب بالغبار ويسهل لنا الحركة.

عند الساعة الواحدة صباحا من يوم الثلاثاء ٢٠ جمادى الأولى سنة ٨٥٧هـ الموافق ٢٩ مايو ١٤٣٥م بدأ الهجوم العام على المدينة بعد أن أصدرت الأوامر للمجاهدين الذين علت أصواتهم بالتكبير وانطلقوا نحو الأسوار ، وخاف البيزنطيون خوفا عظيما ، وشرعوا فى دق نواقيس الكنائس والتجأ إليها كثير من النصارى وكان الهجوم النهائى متزامنا بريا وبحريا فى وقت واحد حسب خطة دقيقة أعدت بإحكام ، وكان المجاهدون يرغبون فى الشهادة ولذلك تقدموا بكل شجاعة وتضحية وإقدام نحو الأعداء ونال الكثير من المجاهدين الشهادة ، وكان الهجوم موزعا على كثير من المناطق ، ولكنه مركز بالدرجة الأولى فى منطقة وادى ليكوس ، بقيادة السلطان محمد الفاتح نفسه ، وكانت الكتائب الأولى من العثمانيين تمطر الأسوار والنصارى بوابل من القذائف والسهام محاولين شل حركة المدافعين ، ومع استبسال البيزنطيين وشجاعة العثمانيين كان الضحايا من

الطرفين يسقطون بأعداد كبيرة، وبعد أن أنهكت الفرقة الأولى الهجومية كان السلطان قد أعد فرقة أخرى فسحب الأولى ووجه الفرقة الثانية ، وكان المدافعون قد أصابهم الإعياء ، وتمكنت الفرقة الجديدة ، من الوصول إلى الأسوار وأقاموا عليها مئات السلالم فى محاولة جادة للاقتحام ، ولكن النصارى استطاعوا قلب السلالم واستمرت تلك المحاولات المستمية من المهاجمين ، والبيزنطيون يبذلون قصارى جهودهم للتصدى لمحاولات التسلق ، وبعد ساعتين من تلك المحاولات أصدر الفاتح أوامره للجنود لأخذ قسط من الراحة ، بعد أن أرهقوا المدافعين فى تلك المنطقة ، وفى الوقت نفسه أصدر أمرا إلى قسم ثالث من المهاجمين بالهجوم على الأسوار من نفس المنطقة وفوجئ المدافعون بتلك الموجة الجديدة بعد أن ظنوا ان الأمر قد هدأ وكانوا قد أرهقوا ، فى الوقت الذى كان المهاجمون دماء جديدة معدة ومستريحة وفى رغبة شديدة لأخذ نصيبهم من القتال كما كان القتال يجرى على قدم وساق فى المنطقة البحرية مما شتت قوات المدافعين وأشغلهم فى أكثر من جبهة فى وقت واحد، ومع بزوغ نور الصباح أصبح المهاجمون يستطيعون أن يحددوا مواقع العدو بدقة أكثر ، وشرعوا فى مضاعفة جهودهم فى الهجوم وكان المسلمون فى حماسة شديدة وحريصين على إنجاح الهجوم ، ومع ذلك أصدر السلطان محمد الأوامر إلى جنوده بالانسحاب لكى يتيحوا الفرصة للمدافع لتقوم بعملها مرة أخرى حيث أمطرت الأسوار والمدافعين عنها بوابل من القذائف ، وأتعبتهم بعد سهرهم طوال الليل ، وبعد أن هدأت المدفعية جاء قسم جديد من شجعان الانكشارية يقودهم السلطان نفسه تغطيهم نبال وسهام المهاجمين التى لا تنفك عن محاولة منع المدافعين عنها وأظهر جنود الانكشارية شجاعة فائقة وبسالة نادرة فى الهجوم واستطاع ثلاثون منهم تسلق السور أمام دهشة الأعداء ، ورغم استشهاد مجموعة منهم بمن فيهم قائدهم فقد تمكنوا من تمهيد الطريق لدخول المدينة عند طوب قابى ورفعوا الأعلام العثمانية. مما زاد فى حماس بقية الجيش للاقحام كما فتّوا فى عضد الأعداء ، وفى نفس الوقت أصيب قائد المدافعين جستنيان بجراح بليغة دفعته

إلى الانسحاب من ساحة المعركة مما أثر فى بقية المدافعين ، وقد تولى الإمبراطور قسطنطين قيادة المدافعين بنفسه محل جستنيان الذى ركب أحد السفن فارا من أرض المعركة ، وقد بذل الإمبراطور جهودا كبيرة فى تثبيت المدافعين الذين دب اليأس فى قلوبهم من جدوى المقاومة، فى الوقت الذى كان فيه الهجوم بقيادة السلطان شخصياً على أشده، محاولاً استغلال ضعف الروح المعنوية لدى المدافعين.

وقد واصل العثمانيون هجومهم فى ناحية أخرى من المدينة حتى تمكنوا من اقتحام الأسوار والاستيلاء على بعض الأبراج والقضاء على المدافعين فى باب أدرنة ورفعت الأعلام العثمانية عليها، وتدفق الجنود العثمانيون نحو المدينة من تلك المنطقة، ولما رأى قسطنطين الأعلام العثمانية ترفرف على الأبراج الشمالية للمدينة، أيقن بعدم جدوى الدفاع وخلع ملابسه حتى لايعرف ، ونزل عن حصانه وقاتل حتى قتل فى ساحة المعركة.

وكان لانتشار خبر موته دور كبير فى زيادة حماس المجاهدين العثمانيين وسقوط عزائم النصارى المدافعين وتمكنت الجيوش العثمانية من دخول المدينة من مناطق مختلفة وفر المدافعون بعد انتهاء قيادتهم، وهكذا تمكن المسلمون من الاستيلاء على المدينة وكان الفاتح رحمه الله مع جنده فى تلك اللحظات يشاركهم فرحة النصر، ولذة الفوز بالغلبة على الأعداء من فوق صهوة جواده وكان قواده يهنئونه وهو يقول : الحمد لله ليرحم الله الشهداء ويمنح المجاهدين الشرف والمجد ولشعبى الفخر والشكر.

كانت هناك بعض الجيوب الدفاعية داخل المدينة التى تسببت فى استشهاد عدد من المجاهدين ، وقد هرب أغلب أهل المدينة إلى الكنائس ولم يأت ظهيرة ذلك اليوم الثلاثاء ٢٠ جمادى الأولى ٨٥٧هـ الموافق ٢٩ من مايو ١٤٥٣م، إلا والسلطان الفاتح فى وسط المدينة يحف به جنده وقواده وهم يرددون : ما شاء الله ، فالتفت إليهم وقال : لقد أصبحتم فاتحى القسطنطينية الذى أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهنأهم بالنصر ونهاهم عن القتل، وأمرهم

بالرفق بالناس والإحسان إليهم ، ثم ترجل عن فرسه وسجد لله على الأرض شكراً وحمداً وتواضعاً لله تعالى.

توجه محمد الفاتح الى كنيسة آيا صوفيا وقد اجتمع فيها خلق كبير من الناس ومعهم القسس والرهبان الذين كانوا يتلون عليهم صلواتهم وأدعيتهم، وعندما اقترب من أبوابها خاف النصارى داخلها خوفاً عظيماً، وقام أحد الرهبان بفتح الأبواب له فطلب من الراهب تهدئة الناس وطمأنتهم والعودة إلى بيوتهم بأمان، فاطمأن الناس وكان بعض الرهبان مختبئين فى سراديب الكنيسة فلما رأوا تسامح الفاتح وعفوه خرجوا وأعلنوا إسلامهم، وقد أمر الفاتح بعد ذلك بتحويل الكنيسة الى مسجد وأن يعد لهذا الأمر حتى تقام بها أول جمعة قادمة، وقد أخذ العمال يعدون لهذا الأمر ، فأزالوا الصلبان والتماثيل وطمسوا الصور بطبقة من الجير وعملوا منبراً للخطيب.

وقد أعطى السلطان للنصارى حرية إقامة الشعائر الدينية واختيار رؤسائهم الدينيين الذين لهم حق الحكم فى القضايا المدنية، كما أعطى هذا الحق لرجال الكنيسة فى الأقاليم الأخرى ولكنه فى الوقت نفسه فرض الجزية على الجميع.

ومن أشهر آثار الفاتح وصيته لابنه وهو على فراش الموت والتى تعبر أصدق التعبير عن منهجه فى الحياة، وقيمه ومبادئه التى آمن بها والتى يتمنى من خلفائه من بعده أن يسيروا عليها:

ها أنذا أموت، ولكنى غير آسف لأنى تارك خلفاً مثلك. كن عادلاً صالحاً رحيماً ، وابسط على الرعية حمايتك بدون تمييز، واعمل على نشر الدين الإسلامى، فإن هذا هو واجب الملوك على الأرض، قدم الاهتمام بأمر الدين على كل شىء، ولا تفتر فى المواظبة عليه، ولا تستخدم الأشخاص الذين لا يهتمون بأمر الدين، ولا يجتنبون الكبائر وينغمسون فى الفحش، وجانب البدع المفسدة، وباعد الذين يحرضونك عليها ، وسع رقعة البلاد بالجهاد واحرس أموال بيت المال من أن تتبدد، إياك أن تمد يدك إلى مال أحد من رعيتك إلا بحق الإسلام،

واضمن للمعوزين قوتهم، وابذل إكرامك للمستحقين .وبما أن العلماء هم بمثابة القوة المبثوثة فى جسم الدولة، فعظم جانبهم وشجعهم ، وإذا سمعت بأحد منهم فى بلد آخر فاستقدمه إليك وأكرمه بالمال. حذار حذار لا يغرنك المال ولا الجند، وإياك أن تبعد أهل الشريعة عن بابك، وإياك أن تميل إلى أى عمل يخالف أحكام الشريعة، فإن الدين غايتنا ، والهداية منهجنا وبذلك انتصرنا.خذ منى هذه العبرة: حضرت هذه البلاد كنملة صغيرة، فأعطانى الله تعالى هذه النعم الجليلة، فالزم مسلكى، وأحذ حذوى ، واعمل على تعزيز هذا الدين وتوقير أهله ولا تصرف أموال الدولة فى ترف أو لهو، فإن ذلك من أعظم أسباب الهلاك.

(٢)

طارق بن زياد

لحظة لن ينساها التاريخ



حمد القائد العربى الكبير الله وأثنى عليه ثم قال :

" أيها الناس أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر . واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة وأنتم لا وزر " أى لا ناصر ومعين " لكم إلا سيوفكم ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدى عدوكم. وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ذهب ريحكم " ضاعت قوتكم " وتعوّضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم . فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة . وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت . وإنى لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة " مكان حصين " ولا حملتكم دونى على خطة أرخص متاع فيها النفوس . أبدأ بنفسى . واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى فما حظكم فيه بأوفر من حظى . وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الخيرات العميمة ، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك - أمير المؤمنين - من الأبطال عربانا ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا (أختان : جمع ختن ، والصهر القريب المحرم للزوج أو الزوجة كالأب والعم والأخ) ثقة منه بارتياحكم للطعان ، وسماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان ، ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصا لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم ، والله تعالى ولىّ إنجادكم (نصركم وإعانتكم) على ما يكون لكم ذكرا فى الدارين " فى الدنيا والآخرة " .

واعلموا أننى أول مُجيب لما دعوتكم إليه، وأنى عند مُلتقى الجمعين حامل نفسى على طاغية القوم لذريق، فقاتله - إن شاء الله -، فاحملوا معى، فإن هلكت بعده، فقد كفيتكم أمره، ولم يعوزكم بطلب عاقد تسندون أموركم إليه، وإن هلكت قبل وصولى إليه؛ فاخلفونى فى عزيمتى هذه، واحملوا بأنفسكم عليه، واكتفوا الهمَّ من الاستيلاء على هذه الجزيرة بقتله؛ فإنهم بعده يُخذلون).

هذه اللحظة الفاصلة والفارقة فى حياة الأمة الإسلامية فى فترة من أزهى عصورها ، تجسدها خطبة طارق بن زياد عند دخول الأندلس ، وهى اللحظة التى تلتها لحظة أروع هى لحظة انتصاره وانتصار الإسلام والمسلمين معه .

إنها الخطبة الشهيرة التى ألقاها طارق بن زياد - المتوفى سنة ثلاث وتسعين هجرية - فى جنوده المسلمين ، وهو يحثهم على الجهاد ويرغبهم فى فتح الأندلس ، ويكشف لهم عن عظمة المهمة وجسامة المواجهة فى صدق وصراحة نادرين ، ويفعل الكلام فى جنود طارق فعل السحر ، وتصبح تجليات البيان عونا على تجليات البطولة والانتصار .

هذا هو طارق بن زياد القائد العسكرى الأموى فاتح الأندلس ، وقائد أول الجيوش الإسلامية التى دخلت شبه جزيرة أيبيريا ، و يعتبر طارق بن زياد من أشهر القادة العسكرين فى التاريخ ويحمل جبل طارق جنوب إسبانيا اسمه تخليدا له ، و توفى عام ٧٢٠ م.

ولد طارق بن زياد فى القرن الأول الهجرى -٥٠هـ- فى خنشلة فى الجزائر فى قبيلة نفزة، أسلم على يد موسى بن نُصَير أمير إفريقيا، فكان من أشد رجاله، وكان أول نشأته، أثناء ولاية زهير بن قيس على إفريقيا. فلما قُتل زهير فى طبرق، عام ٧٦هـ، عُين طارق أميرًا على برقة غير أنه لم يلبث طويلاً فى هذا المنصب، إذ إنه سرعان ما اختير قائدًا لجيش موسى بن نصير، فأبلى بلاء حسنًا فى حروبه. وظهرت لموسى قدرته فى اقتحام المعارك، ومهارته فى قيادة الجيش، فولاه على مقدمة جيوشه بالمغرب. وهكذا أتيح لطارق بن زياد أن يتولى قيادة جيوش موسى، ويشترك معه فى دخول بقية بلاد المغرب، والسيطرة على حصون المغرب الأقصى حتى المحيط الأطلسى.

وما زال يقاتل ,و يفتح مدائنهم حتى بلغ مدينة (الحسيمة) قصبة بلادهم، وأم مدائنهم فحاصرها حتى دخلها، وأسلم أهلها. ولم يمض على ولاية موسى للمغرب عدة أعوام، حتى خضع له المغرب بأسره، ولم تستعص عليه سوى مدينة

سبتة، لمناعتها وشدة تحصنها. وكان يتولى إمارتها حاكم من قبل الدولة البيزنطية، يعرف بالكونت جوليان، ويسميه مؤرخو العرب يليان المسيحى.

فتح طارق بن زياد الأندلس عام ٧١١ م عبر مضيق جبل طارق (المغرب على اليمين وإسبانيا على اليسار).

و كان يليان هذا - برغم تبعيته للدولة البيزنطية - يتوجه فى طلب المعونة إلى مملكة القوط بالأندلس، فتمده الحكومة القوطية بالمؤن والأقوات عن طريق البحر. وقاتله موسى وطارق فألفياه فى نجدة وقوة وعدة، فلم يمكنهما التغلب عليه، فرجعا إلى مدينة طنجة، ومن هناك أخذا يغيران على ما حول سبتة، ويضيقان عليها الخناق دون جدوى، إذ كانت سفن القوط تختلف إلى سبتة بالميرة (المؤونة) والإمداد. فلما يئس موسى من دخول سبتة، أقام قائده طارق بن زياد واليًا على مدينة طنجة حتى تتاح له فرصة مراقبة مدينة سبتة من كثب، وترك تحت تصرف طارق تسعة عشر ألفًا من البربر بأسلحتهم وعددهم الكاملة، مع نفر قليل من العرب ليعلموهم القرآن وفرائض الإسلام. أما موسى، فقد عاد إلى القيروان.

آثر طارق أن يكسب صداقة عدوه يليان مادام قد عجز عن دخول مدينته الحصينة. ويُذكر أن طارقًا كان يراسل يليان ويلاطفه حتى تهادنا. ثم حدث فى الجانب الآخر القوطى (الأندلس) أمر لم يكن فى الحسبان: ذلك أن رودريجو (لذريق) - أحد قواد الجيش القوطى - وثب على العرش، وخلع الملك غيطشة، وتولى مكانه، ثم إن لذريق اعتدى جنسيا على ابنة يليان التى كانت فى بلاط الملك غيطشة، الأمر الذى أثار غضب يليان، وجعله يأتى بنفسه إلى طارق بن زياد ويعرض عليه مساعدته فى الاستيلاء على الأندلس. ولم يتردد طارق فى الاتصال فورًا بمولاه موسى بن نصير بالقيروان، الذى اتصل بدوره بالخليفة الوليد بن عبد الملك يطلب استشارته وإذنه، ونصحه الخليفة الوليد بألا يعتمد على يليان بل يرسل من المسلمين من يستكشف الأمر، فأرسلت سرية طريف التى عادت بالبشائر والغنائم.

واستجابة لأمر الخليفة بدأ موسى بن نصير فى تجهيز حملة صغيرة لعبور البحر إلى إسبانيا، وكان قوامها خمسمائة جندى يقودهم قائد من البربر يدعى "طريف بن مالك"؛ لاستكشاف الأمر واستجلاء أرض الإسبان، وقدم يليان لهذه الحملة أربع سفن أقلتهم إلى إسبانيا، فعبرت البحر ونزلت هناك فى منطقة سميت بجزيرة طريف، نسبة إلى قائد الحملة، وكان ذلك فى (رمضان ٩١هـ= يوليو ٧١٠م) وجاست الحملة خلال الجزيرة الخضراء، وغنمت كثيرًا ودرست أحوال إسبانيا، ثم قفلت راجعة إلى المغرب، وقدم قائدها إلى موسى بن نصير نتائج حملته.

فأنس موسى إلى يليان، وازداد إقدامًا على التوسعات، ثم استدعى مولاه طارقًا، وأمّره على سبعة آلاف من البربر وثلاثمائة من العرب. وأبحرت الحملة من طنجة فى ٥ من رجب عام ٩٢هـ، إبريل ٧١١م، فى أربع سفن، وظلت هذه السفن تنقل جنود طارق إلى جبل كالبى الذى عُرف بعد ذلك بجبل طارق حتى كمل نقلهم وتوافوا جميعهم لديه.

وقع على لذريق خبر اقتحام المسلمين ساحل الأندلس الجنوبى، ودخولهم الجزيرة الخضراء، وقوع الصاعقة، فانزعج وكر راجعًا إلى جنوبى إسبانيا، وزحف إلى قرطبة فى جيش جرّار بلغت عدته - وفقًا للروايات العربية - نحو مائة ألف. فكتب طارق إلى موسى يستمده، ويخبره أنه دخل الجزيرة الخضراء، وملك المجاز إلى الأندلس، وغنم بعض أعمالها حتى البحيرة، وأن لذريق زحف إليه بما لا قبل له به. فأرسل موسى إليه مددًا مؤلفًا من خمسة آلاف من المسلمين، كملت بهم عدة من معه اثنى عشر ألفًا.

وأقبلت فى الوقت نفسه جيوش لذريق حتى عسكرت غربى طريف، بالقرب من بحيرة خندة، على طول نهير برباط الذى يصب فى البحر الذى سمّاه المسلمون وادى لكة. وبالمقابل، أخذ طارق فى الاستعداد للمعركة الحاسمة. فاختار موقعًا مناسبًا فى وادى لكة، يستند فى أجنحته على موانع طبيعية تحميه، ونظم قواته، وقيل إنه أصدر أوامره بإحراق السفن ولكن ذلك محل خلاف لدى المؤرخين.

وقام فى أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله. ثم حث المسلمين على الجهاد، ورغَّبهم فيه، واستثار حماستهم.

وأقبل لذريق فى جموعه وهم نحو مائة ألف ذوى عدة وعدد، وهو على سريره، وعليه مظلّة مكللة بالدّر والياقوت والزبرجد، وحوله غابة من البنود والأعلام. وأقبل طارق وأصحابه، عليهم الزّرَدُ، من فوق رؤوسهم العمائم البيض، وبأيديهم القسى العربية، وقد تقلدوا السيوف، وشرعوا الرماح.

ففى أواخر رمضان من عام ٩٢هـ (١٩ يوليو/ تموز ٧١١ م) وقعت معركة وادى لكة بين قوات الدولة الأموية تحت إمرة طارق بن زياد وجيش الملك القوطى الغربى رودريغو الذى يعرف فى التاريخ الإسلامى باسم لذريق. انتصر الأمويون انتصارا ساحقا أدى لسقوط دولة القوط الغربيين وبالتالى سقوط معظم أراضى شبه الجزيرة الأيبيرية تحت سلطة الخلفاء الأمويين. وقد سميت المعركة باسم النهر التى وقعت بالقرب منه وعلى ضفافه وهو نهر وادى لكة الذى يسمى بالإسبانية جواديليتى. ويطلق بعض المؤرخين على المعركة مسمى معركة سهل البرباط أو معركة شذونة، أو معركة دى لاجونا دى لاخاندا بالإسبانية.

انضم لجيش طارق بن زياد الكونت يليان وبعض كبار الدولة القوطية من أعداء لذريق وعدد من جنودهم. تلاقى الجمعان قرب نهر وادى لكة. دامت المعركة ٨ أيام وقاوم القوط مقاومة عنيفة فى بادئ الأمر إلا أن انسحاب لواءين (أحدهما بقيادة أخيه الأرشيدوق أوباس) من أصل ٣ ألوية من جيش لذريق أدى لضعضعة الأمور وإرباك الجيش.

يذكر أن لذريق اختفى أثره بعد المعركة، ويجمع أغلب الرواة على أنه مات كما يجمع أغلب المؤرخين على مقتل كل وجهاء البلاد ما عدا الأستورياسى بيلايو الذى هرب دون أن يشارك فى القتال واتجه شمالا. ولاذت فلول أعداء المسلمين بالجبال.

لقد كان الموقف خطيرًا، فقد كانت أوامر موسى بن نصير دقيقة وواضحة،

وتنص على عدم تجاوز منطقة الساحل، خوفًا على المسلمين من الضياع فى هذا المحيط الواسع من شبه الجزيرة الأندلسية. غير أن بقاء طارق عند حدود الساحل، ومع ما هو عليه موقف قواته من الضعف، أمر بالغ الخطورة، فإتاحة الفرصة أمام فلول القوط، قد تسمح لهم بإعادة تجميع قواتهم. فسارع طارق ودخل إشبيليا، وأستجة، وأرسل من دخل قرطبة ومالقة، ثم طليطلة (عاصمة الأندلس) وتوجه شمالاً فعبر وادى الحجارة وواديًا آخر سمى فج طارق وسقطت عدة مدن فى يده، منها مدينة سالم التى يقال إن طارقًا عثر فيها على مائدة سليمان. وعاد إلى طليطلة سنة ٩٣هـ بعد أن أخضع كل ما اعترضه من مُقاومات، ولكن، وإلى الشمال من طليطلة، كانت قوات القوط تتجمع لمعركة جديدة.

وكتب طارق لموسى: -لقد زحف إلىّ ما لا طاقة لى به - وأسرع موسى، فقاد جيشه المكون من ثمانية عشر ألفًا من المقاتلين فالتقى طارق بموسى بن نصير فى طليطلة، ويقال بأنه وبَّخه على مخالفته أوامره بل الأرجح أنه عاتبه فى رفق على تسرعه فى اقتحام الأندلس من وسطها دون السيطرة على شرقيها وغربيها. وذكر ابن حيان أن موسى رضى عن طارق، وأمّره على مقدمة الجيش، وأمره بالتقدم أمامه، ثم تبعه موسى بجيشه، فارتقى طارق إلى الثغر الأعلى، ودخل سرقسطة عام ٩٦هـ، ٧١٤م وأوغل فى البلاد، وغنم الغنائم الضخمة، ثم اتجه نحو ماردة متبعًا الطريق الرومانى الذى يربط سرقسطة ببرشلونة، ثم يتصل بعد ذلك بالطريق المؤدى إلى أربونة على ساحل البحر الأبيض.

وبعد أن استراح القائدان قليلا فى طليطلة عاودا التوسعات مرة ثانية، وزحفا نحو الشمال الشرقى، واخترقا ولاية أراجون، ودخلا سرقسطة وطركونة وبرشلونة وحصن لودون على وادى ردونة (نهر الرون) وغيرها من المدن، ثم افترقا، فسار طارق ناحية الغرب، واتجه موسى شمالا، وبينما هما على هذه الحال من التوسع والتوغل، وصلتهما رسالة من الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموى، يطلب عودتهما إلى دمشق، فتوقفت التوسوعات عند النقطة التى انتهيا

إليها، وعادا إلى دمشق، تاركين المسلمين فى الأندلس تحت قيادة عبد العزيز بن موسى بن نصير، الذى شارك أيضا فى الغزو، بضم منطقة الساحل الواقعة بين مالقة وبلنسية، وأخمد الثورة فى إشبيلية وباجة.

وبدأت الأندلس -منذ غزوها طارق- تاريخها الإسلامى، وأخذت فى التحول إلى الدين الإسلامى واللغة العربية، وظلت وطنا للمسلمين طيلة ثمانية قرون، حتى سقطت غرناطة آخر معاقلها فى يدى الإسبان المسيحيين سنة (٨٩٧هـ = ١٤٩٢م) وتم طرد جميع المسلمين واليهود أو قتلهم أو إجبارهم على اعتناق الكاثوليكية التى فرضت ديانة رسمية على الناس.

توجه طارق بن زياد بصحبة موسى بن نصير إلى دمشق ومعه أربعمائة من أفراد الأسرة المالكة وجموع من الأسرى والعبيد والعديد من النفائس. ولما وصلا طبريا فى فلسطين، طلب منهما سليمان ولى العهد التأخّر حتى يموت الخليفة الوليد الذى كان يصارع الموت. لكنهما تابعا تقدّمهما ودخلا مع الغنائم إلى دمشق.

(٣)

فرانكلين روزفلت ..

لحظة الانتصار على الخوف !!



" الشىء الوحيد الذى يجب أن نخاف منه هو الخوف نفسه" .. هذه هى المقولة الشهيرة لفرانكلين روزفلت ، وربما تكون هى أكثر ما ساعده على قيادة الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية ، وانتزاع لحظة الانتصار من براثن النازى هتلر وحلفائه !!

فرانكلين روزفلت هو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الثانى والثلاثون، وكان ينتمى إلى الحزب الديمقراطى. تولى الحكم من تاريخ ٤ مارس ١٩٣٣ إلى ١٢ أبريل ١٩٤٥ وذلك لأنه أعيد انتخابه أربع مرات متتالية، إذ توفى فى العام الأول من ولايته الرابعة.

صُنف من أعظم ثلاثة رؤساء لأمريكا. عاصر الحرب العالمية الثانية حيث قاد الحلفاء إلى النصر على الرغم من شلله. وتوفى ١٢ أبريل ١٩٤٥ .

فعندما ضربت اليابان الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربور استنهض روزفلت الأمة الأمريكية فشحذت كل قواها لتدحر القوة اليابانية الهائلة والنازية الباطشة وفى خلال عامين استطاعت قوات الحلفاء بقيادة الولايات المتحدة من إحراز النصر. بل واستسلام ألمانيا النازية واليابان الإمبراطورية وصدق قائد البحرية اليابانية الذى قال يوم تحطم الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربور: أخشى أننا أخرجنا المارد من القمقم.

وُلد روزفلت فى هايد بارك فى نيويورك. وتلقى أول دروسه على أيدى مدرسين خصوصيين، ثم التحق بجامعة هارفارد ، وتخرج فيها عام ١٩٠٤. وعقب تخرجه التحق بكلية الحقوق بجامعة كولومبيا (١٩٠٤-١٩٠٧)، ولكنه لم يتخرج فيها، إذ فشل فى اجتياز الامتحان.

ينحدر فرانكلين ديلانو روزفلت من أصل هولندى فرنسى. أُنتخب جده الأكبر، نيكولاس روزفلت ، عمدة لمدينة نيويورك (١٦٩٨-١٧٠١). أما والده، جيمس روزفلت (١٨٢٨-١٩٠٠)، فكان يعمل محامياً وخبيراً مالياً، ومات إثر إصابته بمرض قلبى، عندما كان فرانكلين فى أولى سنوات دراسته بجامعة هارفارد.

أما والدته سارة "سالى" ، فقد ماتت عن عمر يناهز ٨٧ عاماً، أثناء الفترة الثالثة لتولى ابنها الرئاسة. وعنها ورث روزفلت ثروة، تقدر بـ٩٢٠ ألف دولار. وكان لفرانكلين أخ واحد من والده، اسمه جيمس روزفلت الصغير، وكان يعمل سكرتيراً أولاً فى سفارة أمريكا فى فيينا، ثم بعد ذلك فى لندن.

تزوج روزفلت من إليانور فى عام ١٩٠٥ وكسيدة أولى، عملت إليانور روزفلت على مساندة الدفاع عن حقوق السود، إلى حد أنها استقالت من منظمة بنات الثورة الأمريكية احتجاجاً على رفضهم السماح للمغنية السوداء ماريان أندرسون الغناء فى إحدى الحفلات. وبعد وفاة زوجها، عينها الرئيس ترومان عضواً فى أول وفد أمريكى، يشارك فى اجتماعات الأمم المتحدة (١٩٤٦ - ١٩٥٢)، ثم عملت بعد ذلك رئيسة للجنة حقوق الإنسان بالأمم المتحدة. إلى أن ماتت فى السابع من نوفمبر عام ١٩٦٢.

ورُزق روزفلت ابنة واحدة، هى آنا اليانور روزفلت وكانت تعمل صحفية وموظفة علاقات عامة. وله أربعة أبناء هم: جيمس روزفلت (١٩٠٧-١٩٩١)، الذى كان رجل أعمال، ثم انتخب عضواً فى مجلس النواب بالكونجرس، إلى جانب عمله كاتباً. واليوت روزفلت (١٩١٠-١٩٩٠)، وكان رجل أعمال كذلك، ثم انتخب عمدة، وكان أيضاً يعمل بالكتابة والتأليف. وفرانكلين د. روزفلت "الصغير"(١٩١٤-١٩٨٨) ، وكان رجل أعمال ومزارع، ثم انتخب عضواً فى الكونجرس. وأخيراً جون اسبنوول روزفلت (١٩١٦ - ١٩٨١)، الذى كان تاجراً وسمساراً بالبورصة .

مصادر ومراجع

مصادرومراجع

- فتح القسطنطينية وسيرة السلطان محمد الفاتح . د.محمد مصطفى .

- الفتوح الإسلامية عبر العصور - د. عبدالعزيز العمري .

- تاريخ الدولة العثمانية - د. علي حسون .

- تاريخ الدولة العلية العثمانية - محمد فريد بك.

- محمد الفاتح - سالم الرشيدي .

- فتح القسطنطينية- محمد صفوت.

- محمد الفاتح ، عبدالسلام فهمي .

- من أشهر المحاكمات التاريخية - بيركنهد - تعريب المستشار محمد زكي إسحق .

- باكستان وحكم العائلات- أحمد زيدان- الجزيرة.

- كتاب " ميراث من الرماد : تاريخ وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية " - تيم فينير.

- كتاب " إيران بين التاج والعمامة" - السفير أحمد مهابة - دار الحرية .

- صَدَّام الأسطورة التي خلقها الأمريكان ثم سحقوها بأقدامهم - وداد فاخر.

- انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ واغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم .. جريمة تلد أخرى - الحوار المتمدن . ٩ فبراير ٢٠٠٥.

- إيطاليا في عهد موسوليني : الحياة في ظل الديكتاتورية - تأليف : ريتشارد بوسورث - دار بنجوين لندن - ٢٠٠٦.

- كتاب قصة الاستبداد - د. فاضل الأنصاري.

- كتاب سيكولوجية الطغاة - د. خالص جلبي.

- كتاب ليالي الشيطان الأخيرة - فالنتين بيكول - مترجم - دار طلاس.

- إعدام الطاغية "روبسبير" ! - قصيمي نت - ٢٦ يوليو ٢٠٠٧ .

- كتاب تاريخ الدولة العلية العثمانية محمد فريد وجدي: - تحقيق إحسان عباس- دار النفائس ببيروت - ١٩٩٨.

- خيانة على أسوار فيينا.. في ذكرى هزيمة المسلمين - مصطفى عاشور - إسلام أون لاين .

- الديكتاتور يتحدث..ولكن بعد فوات الأوان - د. حمزة زوبع -١ ديسمبر ٢٠٠٣.

- إيطاليا في عهد موسوليني : الحياة في ظل الديكتاتورية - تأليف : ريتشارد بوسورث - دار بنجوين لندن - ٢٠٠٦.

- إعدام موسوليني - عايدة خالدي - مجلة " آفاق " - ٢٨ أبريل ٢٠٠٦.

. آخر أيام الخندق : وثيقة الزواج ووصية الموت - سمير عطا الله - صحيفة "الشرق الأوسط " .

. كتاب " داخل خندق هتلر " - يواكيم فيست.

. إعدام موسوليني - عايدة خالدي - ٢٨مجلة " آفاق " - أبريل ٢٠٠٦.

. عندما طردت برن موسوليني ! -سويس أنفو - ٣٠ يونيو ٢٠٠٣.

- كتاب : " كيف ماتوا " - خليفة بن إسماعيل الإسماعيلِ

فهـــــرس الكتـــاب

المحتويات

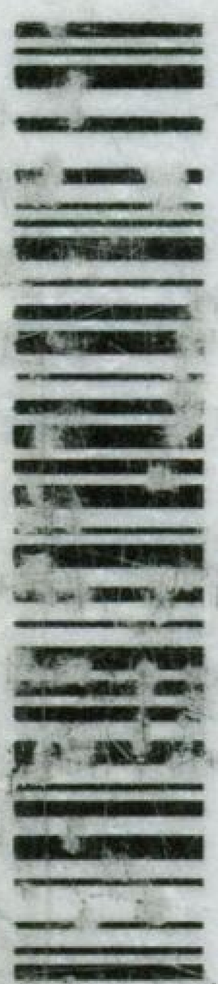
الموضوع	الصفحة
تقديم	5
الفصل الأول : لحظة التنازل عن العرش	9
(١)	
السلطان بايزيد الثاني .. تنازل لابنه مكرهاً !!	11
(٢)	
السلطان محمد الرابع .. تنازل لأخيه مجبرا !!......	15
(٣)	
الملك إدوارد الثامن .. تنازل بسبب مطلقة أحبها !!..	19
(٤)	
نابليون بونابرت .. تنازل مذل بعد عظمة !!..........	29
(٥)	
فاروق الأول .. خياران أحلاهما مُرٌّ !!..............	33
الفصل الثاني : لحظة الانتحار..............................	45
(١)	
انتحار كليوباترا .. من أجل أنطونيو !!	47
(٢)	
زنوبيا ملكة تدمر .. الموت خير من حياة الذل !!	53
(٣)	
عليسة .. انتحرت حمايةً لملكتها !!	59
(٤)	
أدولف هتلر .. بيدي لا بيد أعدائي !!	63
(٥)	
جوزيف غوبلز .. انتحر الأصل فانتحر الظل !!	73

الموضوع	الصفحة
(٦)	
الرئيس " روه مو هيون " .. انتحر بالقفز من فوق الجبل !!	79
(٧)	
هانيبال .. الموت أشرف لي !!	85
(٨)	
ميلوسيفيتش .. لحظة الانتحار بالوراثة !!	89
الفصل الثالث : لحظة الإعدام	101
(١)	
تشارلز الأول .. سلم رأسه لأعدائه !!	103
(٢)	
لويس السادس عشر .. وماري أنطوانيت والمقصلة !!	105
(٣)	
ذو الفقار علي بوتو.. لحظة اشتهاء العسكر للسلطة !!	111
(٤)	
بينيتو موسوليني .. أعدموه وعلقوا جثته !!	117
(٥)	
صدام حسين .. أسرار اللحظة الأخيرة !!	129
(٦)	
ويليام والاس .. لحظة بكت فيها الإنسانية !!	141
(٧)	
عمر المختار .. أعظم ميتة وأعظم شهادة..............	145
(٨)	
تشي جيفارا .. لحظة خلدت صاحبها !!	157

الموضوع	الصفحة
(٩)	167
عبد الكريم قاسم .. لحظة عربية متكررة !!	
(١٠)	177
روبسبير .. وكما طارت رؤوس خصومه !!	
(١١)	
تشاوشيسكو .. لحظة بكى كالأطفال !!	187
الفصل الرابع : لحظة الاستسلام	191
(١)	
الإمبراطور العتيد هيروهيتو.. وقع وثيقة الاستسلام بدموعه !!	193
الفصل الخامس : لحظة الاستقالة القهرية	203
(١)	
ريتشارد نيكسون .. الاستقالة أو السجن !!	205
(٢)	
جون بروفمو .. لحظة الخزي والعار !!	214
(٣)	
أنطونى إيدن .. دفع ثمن فشل العدوان الثلاثي !!	221
(٤)	
جولدا مائير .. لحظة الاستفاقة المهينة !!	229
(٥)	
جون ميجور .. لحظة الاعتراف بالرذيلة !!	233
(٦)	
بيتر روبنسون .. لحظة الاعتراف بخيانة الزوجة !! ..	235
(٧)	
إيهود أولمرت .. لحظة جنوب لبنان !!	239

الفصل السادس : لحظة الهروب	245
(١)	
شاه إيران .. هرب ولم يبك عليه أحد !!	247
(٢)	
موبوتو سي سيكو .. حتى سائق التاكسي !!	253
الفصل السابع : لحظة الانتصار.............................	257
(١)	
محمد الفاتح .. لحظة تحقق البشارة النبوية	259
(٢)	
طارق بن زياد .. لحظة لن ينساها التاريخ	287
(٣)	
فرانكلين روزفلت.. لحظة الانتصار على الخوف	295
مصادر ومراجع	299
فهرس الكتاب	303

■ في حياة كل سياسي لحظة حاسمة فارقة تضعه أمام خيارين لا ثالث لهما.. إما الثبات أو الموت.. إما حياة الذل والهوان أو الانتحار.. إما الأسر والاعتقال أو الهرب والفرار.. إما الاستقالة واتقاء المزيد من الفضائح أو الاستسلام لمسلسل الانهيار والمضي فيه قدما. أو قتله أو تصفيته سياسيا أو جسديا. واللحظة الوحيدة -ربما- التي يتمناها كل سياسي وقت أن يتجرع فيها عدوه مرارة الهزيمة. وفي هذا الكتاب لحظات فاصلة من كل هذا ولكنها جميعها تنطوي على الكثير والكثير من العبر والدروس. في هذا الكتاب سنجد لحظة التنازل عن العرش التي مر بها السلطان بايزيد الثاني الذي تنازل لابنه مكرها والسلطان محمد وفاروق الأول ملك مصر الراحل الذي فضل حقن دماء شعبه على العرش. وفي الكتاب أيضا لحظة الانتحار كما سنرى في انتحار كليوباترا من أجل أنطونيو وزنوبيا ملكة تدمر وهانيبال العظيم الذي اعتبر الموت أشرف له من مرارة الأسر. والروماني تشاوشيسكو ولحظة إعدامه التي بكى فيها كالأطفال. وفي الكتاب أيضا سنطالع لحظة الاستسلام في حياة الزعماء والقادة السياسيين مثل إمبراطور اليابان الذي وقع وثيقة الاستسلام بدموعه. وأيضا لحظة الاستقالة القهرية مثل الرئيس الأمريكي نيكسون ومن قبله مواطنه أنطونى إيدن الذي دفع ثمن اشتراكه في العدوان الثلاثي على مصر ومن بعده الصهيونية جولدا مائير التي استقالت والإسرائيلي إيهود



لحظة سموها لحظة جنوب لبنان!!

وهنا في الكتاب سنطالع لحظة الهروب في حياة الزع

السياسيين، شاه إيران عند سقوط نظامه. وفي نهاية الكتاب

الانتصار وكيف ذاقها رجال عظماء مثل ألمانيا النازية في الح

الثانية.. واللحظة لمن يريد أن يتابع مسيرة التاريخ من خ

فاصلة غيرت مسار أحداثه.

I.S.B.N. 978-977-376-575-3



